معالم القرآن والسنة

MAᶜĀLIM AL-QUR'ĀN WA AL-SUNNAH

مجلة محكمة تصدرها كلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

A Refereed Journal Published by the Faculty of Quranic and Sunnah Studies
Islamic University College of Malaysia

ISSN: 1823 - 4356 (Vol.1 No.1 2005) السنة الأولى، العدد الأول، ٢٠٠٥

محتويات العدد

أبحاث اللغة العربية

القرآن الكريم: سجع أم فاصلة؟ ١١
سلمى أحمد

مادة التفسير إعداداً وتحريراً ٣١
مجاهد مصطفى بهجت

تطبيقات بلاغية في سورة البقرة ٥٧
أمة السلام علي الشامي

تكامل العلوم الإنسانية مع المقررات الشرعية ٩٩
عادل محمد عبد العزيز الغرياني

إسهامات السنة النبوية في بناء الحضارة الإنسانية ١٢٩
عفاف عبد الغفور حميد

ضوابط الرواية في ضوء القرآن الكريم: دراسة تحليلية ١٦٩
فتح الدين بيانوني

حديث ناقصات عقل ودين: إشكالية، أسباب وحلول ٢١١
محمد أبو الليث الخيرآبادي

الإمام أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي ومنهجه في التأليف ٢٤١
محمد مستقيم بن محمد ظريف

أبحاث اللغة الملايوية

261 Tokoh Pendidik Al-Quran di Malaysia: Haji Muhammad Nor Haji Ibrahim Khairul Anuar Mohamad & Syed Ahmad Tarmizi Syed Omar

www.kuim.edu.my

معالم القرآن والسنة

MAᶜĀLIM AL-QUR'ĀN WA AL-SUNNAH

مجلة محكمة تصدرها كلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

A Refereed Journal Published by the Faculty of Quranic and Sunnah Studies
Islamic University College of Malaysia

Vol. 1 • No. 1 • 2005 ISSN: 1823 - 4356 السنة الأولى • العدد الأول • ٢٠٠٥

Perpustakaan KUIM
Unit Arkib

ISSN: 1823-4356

© Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Islamic University College of Malaysia

All rights reserved, including the rights of reproduction in whole or in part in any form. All articles will follow a double-blind review by independent consulting editors. The Editorial Board has the right to edit articles. All published articles reflect the views of their authors and do not necessarily reflect the Faculty's thoughts, view or stand.

© كلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

جميع الحقوق محفوظة لكلية دراسات القرآن والسنة، ويحذر طبع أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزءاً أو تسجيله بأي وسيلة إلا بعد موافقة خطية من الناشر. ترسل البحوث إلى محكمين لإبداء الرأي، وللجنة النشر حق المراجعة والتصحيح، والبحوث لا تعبر إلا عن آراء أصحابها ولا تعبر عن رأي الكلية.

Publisher / الناشر

Faculty of Quranic and Sunnah Studies / كلية دراسات القرآن والسنة
Islamic University College of Malaysia / جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

Kolej Universiti Islam Malaysia
Bandar Baru Nilai
71800 Nilai
Negeri Sembilan
Tel: 06-7988407 Faks: 06-7988530
Web Site: http: //www.kuim.edu.my

Layout & Printing / تصميم وطباعة
Kaci Trading Sdn. Bhd.
(Co. Reg. No.: 520151-M)
Address: G B6 Jalan Sungai Pusu, Batu 8,
Central Complex, UIAM, Gombak,
53100, Kuala Lumpur, Malaysia
Tel: (603) 6186-4071 Fax: (603) 6186-4059

لجنة التحرير
EDITORIAL BOARD

رئيسة التحرير
(Chief Editor)
الدكتورة عفاف عبد الغفور حميد

مدير التحرير
(Executive Editor)
الدكتور عادل محمد عبد العزيز الغرياني

أعضاء هيئة التحرير
(Editors)
الدكتور محمد عبد الله نور
السيد محمد مستقيم بن محمد ظريف
السيد أحمد ترمذي بن سيد عمر العيدروس
السيد محمد فوزي محمد أمين

Faculty of Quranic and Sunnah Studies
كلية دراسات القرآن والسنة

Islamic University College of Malaysia
جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

Bandar Baru Nilai
71800 Nilai, Negeri Sembilan
Tel: 06-7988407 Faks: 06-7988530
Web Site: http: //www.kuim.edu.my

المستشارون
CONSULTING EDITORS

صاحب السعادة الأستاذ داتؤ الدكتور عبد الشكور الحاج حسين (مدير، جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا)

الأستاذ الدكتور الداتؤ السيد محمد عقيل المهدلي (مدير، المعهد الإسلامي بولاية قدح دار الأمان، ماليزيا)

الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات (جامعة الإمارات)

الأستاذ المشارك الدكتور أبو الليث الخيرآبادي (الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا)

الأستاذ المشارك الدكتور جمال أحمد بادي (الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا)

الأستاذة المشاركة الدكتورة جاويه ذاكير (الجامعة الوطنية الماليزية)

الأستاذ المساعد الدكتور عواد خلف (جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة)

الدكتور فتحي بن جمعة (الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا)

الدكتور فؤاد محمود رواش (الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا)

الدكتور محمد بن بشير (جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا)

الدكتور مصطفى شيخ ياحي (جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا)

الدكتور إحسان موسى بن حسن الربيعي (جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا)

الدكتور بدر المنير محمد نور (جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا)

الدكتور محمد عصري زين العابدين (جامعة العلوم الماليزية)

الدكتور عدنان محمد يوسف (جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا)

أسماء الباحثين في هذا العدد
LIST OF CONTRIBUTORS IN THIS ISSUE

الدكتورة سلمى أحمد
جامعة الوطنية الماليزية

الدكتور مجاهد مصطفى بهجت
جامعة الوطنية الماليزية

الدكتورة أمة السلام علي الشامي
جامعة حضر موت، اليمن

الدكتور عادل محمد عبد العزيز الغرياني
جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

الدكتورة عفاف عبد الغفور حميد
جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

الدكتور فتح الدين بيانوني
الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

الأستاذ المشارك الدكتور محمد أبو الليث الخيرآبادي
الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

محمد مستقيم محمد ظريف
جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

خير الأنوار محمد
جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

السيد أحمد ترمذي سيد عمر
جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

شروط النشر بالمجلة

١. تقبل البحوث بثلاث لغات (العربية والإنجليزية والملايوية) على أن يقدم الباحث ملخصاً بلغتين غير لغة البحث.
٢. أن تكون البحوث في إطار القرآن والسنة وعلومهما، والتاريخ والسيرة، وكذلك البحوث في إطار استخدام تكنولوجيا المعلومات في مجال القرآن والسنة، على أن تكون البحوث في مجال تخصص الباحث.
٣. أن يلتزم البحث بالمحافظة على العقيدة الإسلامية، ولا يتجاوز الثوابت الشرعية، مع عدم الإساءة والتجريح للشخصيات والهيئات.
٤. التزام البحث بالمنهج العلمي في توثيق المعلومات وخصوصاً التخريج للحديث النبوي، مع ضبط الآيات القرآنية بالشكل من برنامج الحاسوب.
٥. تقبل المراجعات والدراسات النقدية العلمية للكتب والبحوث المنشورة، مع ضرورة الالتزام بالمنهج العلمي في ذلك.
٦. ألا يكون البحث منشوراً أو مقبولاً للنشر في مجلة أخرى، ولا مستلاً من رسالة علمية (للماجستير أو الدكتوراه) أو ما يعادلهما.
٧. يتراوح عدد صفحات البحث بين (١٥-٢٠)، وحجم الصفحة (A4)، ورقم الخط (١٦)، ونوع الخط Traditional Arabic، والمسافة بين الأسطر ١,٥.
٨. الهوامش في أسفل الصفحة متسلسلة للبحث كله، ورقم الخط (١٢).
٩. يقدم الباحث نسختين من البحث مع قرص الحاسوب (الدسكت).
١٠. المجلة غير ملزمة بإعادة البحث وإرجاعه إلى صاحبه في حالة عدم نشره.

ترسل البحوث على العنوان الآتي

Chief Editor
Journal Maᶜālim al-Qur'ān wa al-Sunnah
Faculty of Quranic and Sunnah Studies
Kolej Universiti Islam Malaysia
Bandar Baru Nilai
71800 Nilai
Negeri Sembilan
Tel: 06-7988407 Faks: 06-7988530
Web Site: http: //www.kuim.edu.my

معالم القرآن والسنة
مجلة محكمة
السنة الأولى ◆ العدد الأول ◆ ٢٠٠٥

رئيسة التحرير

كلمة التحرير

الحمد لله جاعل القرآن معجزة هذا الدين، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم لتبيان كتاب الله الكريم، وعلى آله وصحبه الغر المحجلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فانطلاقاً من اهتمام القائمين على جامعة العلوم الإسلامية، والمسؤولين عن كلية دراسات القرآن والسنة في تنشيط حركة البحث العلمي ونشره، تنبت هذه الدوحة المباركة (معالم القرآن والسنة) ليجد المعنيّون والمتخصصون في كتاب الله الخالد وسنة نبيه المطهرة ثمرة ناضجة، وظلالاً وارفة يقطفون هذا النتاج ويستروحون في أفيائها.

تأتي هذه الباكورة مستمدة من معين القرآن الذي لا ينضب ولا تنقضي عجائبه، وكنوز السنة المشرفة التي تتضمن منهاج حياتنا وسعادة البشرية.. وهي بحوث تسعى لبيان أهمية هذين الأصلين العظيمين، والكشف عن مراميهما وغاياتهما، وتسليط الضوء عليهما للعودة إليهما والاستهداء بهما، وعسى أن نؤدي هذه الأمانة خير أداء، ونحسن القيام بها سائرين على خطا الآباء والأجداد..ولنصل بها إلى الطريق الأكمل، والسبيل الأقوم، والمستوى الأمثل..

ويأتي هذا العدد الأول بعد الإعداد له باستكتاب المتخصصين في جامعتنا والجامعات الإسلامية الماليزية الأخرى وبعض الجامعات العربية، فكانت هذه

البحوث ممثلة لهذه المصادر المتنوعة من داخل جامعتنا والجامعة الوطنية الماليزية، والجامعة الإسلامية العالمية، وجامعة حضرموت.

وهذه البحوث التسعة في إطار القرآن والسنة: الثلاثة الأول عن القرآن، والخمسة الأخيرة عن السنة النبوية وبينهما بحث عن التكامل بين العلوم الإنسانية والاجتماعية والمقررات الشرعية.

يتناول البحث الأول "سجع أم فاصلة" قضية قديمة جديدة تتصل بالإعجاز البلاغي المتميز في القرآن، والاتفاق الذي في آخرها إن شابه أساليب العرب لكنه يتفوق عليها في عدم الإسراف والمبالغة فيه، وقد وضحت الباحثة اختلاف العلماء في ذلك، فمنهم من جوّز مجئ السجع في القرآن ومنهم من منع، مع أدلتهم، وأظهرت انفراد الفاصلة ببعض المميزات، وخلصت إلى أن تسمية مقاطع القرآن بالفاصلة أرجح لأنها بحروفها المتقاربة أو المتماثلة تعظّم من وقعها في السمع وترسخ القرآن في الأذهان، وهو دليل على إعجازه.

والبحث الثاني "مادة التفسير إعداداً وتحريراً"، محاولة تسعى لتقديم مادة العلوم الشرعية على نحو يوافق مدارك الدارسين من غير العرب في إعداد نص التفسير وتحريره بما يقرب فهم النص للطالب، ويعينه على استيعابها، مع ملاحظة التدرج بهم في اختيار السور من كتاب الله مراعياً مستوى الطالب العلمي، وقد اعتمد الباحث على جهود المتخصصين في التفسير في العصر الحديث وأفاد منها لاختيار المنهج والطريقة المناسبة في إعداد كتاب التفسير مما سجله في خلاصته وخاتمته.

أما البحث الثالث "تطبيقات بلاغية في سورة البقرة" فهو يلقي الضوء على جانب من بلاغة القرآن من خلال الأمثلة التطبيقية في هذه السورة، وقد مهدت الباحثة لهذه الدراسة بتوطئة عن البلاغة والبيان والمجاز العقلي واللغوي والبديع، وتضمنت الدراسة محورين: الأول: البيان وتناولت فيه التشبية والاستعارة والمجاز المرسل والكناية، والثاني: البديع وتناولت فيه الجناس وتوافق الفواصل والمحسنات

المعنوية كالطباق والمقابلة.

وجاء الرابع "التكامل بين العلوم الإنسانية والاجتماعية والمقررات الشرعية" ليبرز واقع الدراسات الإسلامية والاجتماعية في الدول الإسلامية، والبحث عن وسائل إمكانية تحقيق التكامل بينها لفائدة المجالين، بعد أن أصيبت ولا تزال بانفصام كبير بينهما أدّى إلى أزمة فكرية بين المسلمين، يسعى المخلصون من علماء الأمة تجاوزها بناءً على نظرة الإسلام التكاملية للعلوم، وباتت استفادة كل واحد منهما بما تتضمنه الأخرى من الإيجابيات أمراً مطلوباً في العصر الحاضر.

أما البحوث المتصلة بالسنة النبوية، فجاء البحث الخامس "إسهامات السنة النبوية في بناء الحضارة الإنسانية" ليبرز -بعد بيان مفهوم الحضارة- إسهام السنة في الحضارة العالمية، من خلال محورين: الأول في بناء السنة للمجتمع أفراداً وأسراً وجماعات، والثاني في بناء السنة للعلوم التي خدمت الإنسانية، وقد نشأت بفضل تشجيع الإسلام على العلم وبالأخص السنة النبوية القائمة على التوحيد والأخلاق.

والبحث السادس "ضوابط الرواية في ضوء القرآن الكريم" يتلمس الضوابط المتعلقة بعملية الرواية من خلال استقراء آيات القرآن في جانب نقل الأخبار ونشرها بما ينطوي عليه من مبادئ تشكل قاعدة رئيسية بني عليها علم مصطلح الحديث، ثم الرد على المستشرقين في دعواهم من أن الرواية كانت تمضي في الأيام الأولى من الإسلام دون ضابط أو قيد مما أدى إلى انتشار الوضع في الحديث.

وفي البحث السابع "حديث ناقصات عقل ودين: إشكالية، أسباب، وحلول" حاول الباحث إماطة اللثام عن الإشكال في العصور المتأخرة في فهم الحديث، فاستخدم لاتهام الإسلام ورسوله بإهانة المرأة والحط من شأنها، وقد بين الباحث معنى نقصان العقل والدين في ضوء النصوص الأخرى، لأن الرسول ﷺ أعد النساء «شقائق الرجال» والحديث جاء ملاطفة ومزاحاً -لا نقصاً حقيقياً- لما ينتاب المرأة من تغيير في المزاج في ظروف معينة.

وجاء البحث الثامن "الإمام أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي ومنهجه في التأليف" ليبرز هذا العالم بتناول حياته العلمية مركزاً على منهجه في مجال الحديث، ويتمثل ذلك بطرح الآراء ونقدها وتحليلها ثم الترجيح بينها مع ذكر الدليل من غير تعصب، وهو يخالف أحياناً مذهب الحنفية ويرد على من تعصب من العلماء.

ثم البحث التاسع والأخير باللغة الماليزية عن "أحد علماء القرآن في ماليزيا: الحاج محمد نور بن إبراهيم" حيث يتناول مساهمة هذا العالم في نشأة معاهد التحفيظ في ماليزيا، وبيان جهوده في مجال التربية، ونبوغ المتفوقين الكبار على يديه، وبيان منهجه الذي وضعه في تعليم القرآن وحفظه.

نرجو أن تكون مادة هذا العدد موافقة لعنوانها ومنسجمة مع خطة الكلية وبرنامجها، ومحققة رغبة المتخصصين في دراسات القرآن والسنة، متطلعين إلى الوصول إلى الأمثل والأكمل في طموح علمي يسعى للبلوغ إلى البحث العلمي الرصين في حقل الدراسات الجامعية مما تسعى إليه الجامعات الإسلامية وتنشده، ونجدد الدعوة للباحثين المتخصصين في المشاركة بالكتابة في الأعداد القادمة من المجلة، على النهج المذكور في شروط النشر، وفي إطار دراسات القرآن والسنة، سائلين الله تعالى الإخلاص في العلم والعمل، وهدايته وتوفيقه إلى طريقه المستقيم، إنه خير مسؤول وأكرم مأمول. والحمد لله رب العالمين..

معالم القرآن والسنة
مجلة محكمة
السنة الأولى ◆ العدد الأول ◆ ٢٠٠٥

سلمى أحمد*

القرآن سجع أم فاصلة؟

المقدمة

إن الله سبحانه وتعالى قد أودع من أسرار الإعجاز في كتابه ما لا تستوعبه العقول، ولا تستنفده كثرة الدراسات، ولهذا سألقي الضوء حول أسلوب القرآن من حيث كونه سجعاً أم فاصلة.

وغني عن البيان أن الكتب التي تفردت بالبحث في دراسة هذا الموضوع عدد لا بأس بها مثل كتاب (إعجاز القرآن) للباقلاني، و(سر الصناعتين) لأبي هلال العسكري و(المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لابن الأثير إلا أنها كانت دراسة سريعة لم تظهر بوضوح كون القرآن فاصلة أم سجع. فلذا سوف أحدد في هذه المقالة أيهما أنسب للقرآن الفاصلة أم السجع ولماذا؟

ولكي يتجلى لنا هذا الموضوع فقد بدأته بتوضيح معنى كل من الفاصلة والسجع ثم بيان وظيفتهما من حيث اللفظ والمعنى ويليهما أقسام الفواصل والسجع.

معنى الفاصلة والسجع

اختلف الآراء في كون القرآن سجعاً أم فاصلة فانقسموا إزاء هذه القضية

* دكتورة بقسم الدراسات العربية والحضارة الإسلامية، في الجامعة الوطنية الماليزية.

قسمين: منهم من يرى جواز مجيء السجع في القرآن، ومنهم من منع أن يكون في القرآن سجع، ولهم في ذلك حجج وأسباب سوف أفصلها فيما يلي.

الفاصلة كلمة مأخوذة من الفَصْل بمعنى الحاجز بين الشيئين.[١] واصطلاحاً هي الكلام المنفصل مما بعده، مكونة من حروف متفقة أو متشاكلة في نهاية الآية.[٢]

والسجع عند أهل اللغة: هو موالاة الكلام على وزن واحد.[٣] أو هو اتفاق الفاصلتين في الحرف الأخير.[٤] وللسجع عدة أركان منها:

١. القرينة: وهي قطعة من الكلام جعلت مزاوجة للأخرى.
٢. الفاصلة: وهي الكلمة الأخيرة من القرينة.
٣. الروي: وهو الحرف الأخير من الفاصلة.
٤. فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز، موقوفاً عليها بالسكون في حالة الوقف.[٥]

ومثل هذا التعريف قد يتفق مع الفاصلة في بعض مفاهيمها، ونماذجها كثيرة في القرآن. فمن هنا أجاز بعض العلماء على أن يكون في القرآن سجع. ولكن تسمية نهاية الآيات المتفقة الحروف سجعاً لم يكن محل اتفاق بين العلماء، فمنهم من أجازه ومنهم من منعه.

الذين أجازوا ورود السجع في القرآن كثيرون منهم:، أبو هلال العسكري (ت حوالي ٤٠٥هـ)، ابن الأثير (ت٦٣٤هـ)، وابن سِنان الخفاجي (ت٤٧٣هـ) فقد

---

[١] ابن منظور. د.ت. *لسان العرب*. مصر: دار المعارف. ص ٣٤٢٢.

[٢] الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيِّب. ١٩٨١. *إعجاز القرآن*. تحقيق: السيد أحمد صقر. القاهرة: دار المعارف. ص ٦١؛ القطّان، منّاع. ٢٠٠٠م. *مباحث في علوم القرآن*. القاهرة: مكتبة وهبه. ص ١٤٥.

[٣] الباقلاني. ص ٥٧.

[٤] الجرجاني. محمد علي بن محمد. ١٩٨١. *الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة*. تحقيق: عبد القادر حسين. مصر: دار نهضة. ص٢٩٨.

[٥] الجندي، علي. د.ت. *صور البديع*. بيروت: دار الفكر العربي. ج١. ص ١٩٥-١٩٦.

بنوا مذهبهم على الأمور الآتي:

يقول أبو هلال العسكري: "جميع ما في القرآن الكريم مما يجري على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين المعنى وصفاء اللفظ، وتضمن الطلاوة والماء لما يجري مجراه من كلام الخلق".[١]

ويقول ابن الأثير: "لو كان مذموماً -يعني السجع- لما ورد في القرآن الكريم. فإنه قد أتى بالكثير منه حتى إنه ليؤتى بالسورة كلها مسجوعة، كسورتي الرحمن والقمر وغيرهما.. وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور".[٢]

وابن سِنان الخفاجي -كان من أشد النقاد حماساً لإثبات السجع في القرآن- فقد بنى منهجه بالتفرقة بين الفواصل والأسجاع مبيناً بأن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول. أما الفواصل ما يكون متماثل الحروف ومنها ما يكون متقارب الحروف. والقرآن الكريم ورد فيه النوعان: المتماثل الحروف، والمتقارب. فالمتماثل مثل مطالع سور الطور، طه، الفجر كل أولئك جائز أن يسمى سجعاً لأن فيه معنى السجع، أما المتقارب كمطلع سورة الفاتحة لايسمى سجعاً لأن حروفه غير متماثلة.[٣]

ثم لجأ هؤلاء المجيزون باستخراج أمثلة من القرآن تدعم فكرتهم، منها القرآن ورد فيه تقديم موسى على هارون في موضع،[٤] وفي آخر قُدِّم هارون على موسى.[٥] وموسى إذا قُدِّم على هارون فذلك جار على الأصل عندهم، لأن موسى أفضل من هارون. وإذا قُدِّم هارون على موسى فذلك عندهم إلا لفضيلة السجع. لأن

---

[١] أبو هلال، الحسن بن سهل العسكري. ١٩٨١. *سر الصناعتين*. بيروت: دار الكتب العلمية. ص ٢٤٩.

[٢] ابن الأثير، ضياء الدين. د.ت. *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*. تحقيق د. أحمد الحوفي وبدوي طبانه. مصر: دار النهضة. ج١. ص ٢١٠.

[٣] الخفاجي، ابن سنان عبد الله بن محمد١٩٨٢. *سر الفصاحة*. بيروت: دار الكتب العلمية. ص ١٩٤-١٩٧.

[٤] كما في قوله تعالى ﴿ربِّ موسى وهارون﴾ الشعراء، ٤٨.

[٥] كقوله تعالى ﴿قالُوا آمَنَّا بِربِّ هارون ومُوسى﴾ طه ٢٠: ٧٠.

الفواصل يه جارية على الإلف.[١]

أما المانعون من مجيء السجع في القرآن فهم كثيرون أيضاً، أولهم الأشاعرة، ثم تابعهم كثير من العلماء مثل الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، وابن خلدون (ت٨٠٦هـ) والرمَّاني وغيرهم، لهؤلاء ردود على حجج وأسباب المجيزين كما مهدوا أسباباً أخرى لمذهبهم.

فالأشعرية[٢] بنوا حجتهم في الامتناع من تسمية القرآن سجع بالتفرقة بين السجع والفاصلة. السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحال المعنى عليه. والفاصلة هي التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها. فمن هنا قالوا: الفواصل بلاغة والسجع عيباً.[٣]

والقاضي أبو بكر الباقلاني -أحد أنصار الأشعرية- قد قام بالردَّ على من أثبت السجع في القرآن قائلاً: "وهذا الذي يزعمونه غير صحيح، ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز".[٤]

كما أكد الباقلاني على أنه لو كان في القرآن سجع لكان مذموماً في بعض المواضع، لمجيئه على غير شرط السجع الحسن، وهو ما كان متقارب الحروف، ولعدم استواء مقاطعه في الطول أحياناً وهذا غير محمود، لأن له منهجاً محفوظاً وطريقاً مضبوطاً مَن أخلَّ به وقع الخلل في كلامه.[٥]

---

[١] الباقلاني. ص ٨٦.

[٢] الأشعرية: مذهب كلامي. وهم أتباع أبي الحسن الشعري. ويقال لهم أيضاً الأشاعرة. هذا المذهب سائد في أنحاء الخلافة العباسية. ومن أئمة الأشعرية الباقلاني، والإسفراييني، والغزالي، والشهرستاني وغيرهم (إبراهيم زكي خورشيد وغيره. موجز دائرة المعارف الإسلامية. مركز الشارقة للإبداع الفكري. ط١. ١٩٩٨. ج٣. ص ٨٠١-٨٠٢).

[٣] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. د. ت. *الإتقان في علوم القرآن*. بيروت: المكتبة الثقافية. ج٢. ص ٩٧.

[٤] الباقلاني. ص ٥٧.

[٥] المرجع نفسه. ص ٥٩

بالإضافة إلى ذلك ردَّ الباقلاني على رأي من زعم بأن تقديم هارون على موسى في الآية القرآنية ماهو إلا لفضيلة السجع مبيناً بأن تقديم موسى على هارون مرة وتأخيره عنه أخرى ليس من أجل السجع، وإنما هو إيراد للقصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً، وهذا من الأمر الصعب الذي تظهر فيه البلاغة.[١]

وممن امتنع كون القرآن سجعاً أيضاً ابن خلدون، حيث قال: أما القرآن -وإن كان من المنثور- إلاَّ أنه خارج عن الوصفين وليس يسمى مرسلاً مطلقاً ولا مُسجَّعاً، بل تفصيلَ آياتٍ ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها، ثم يُعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها. ويثنَّى من غير التزام حروف يكون سجعاً ولا قافية. وتسمى آخر الآيات فيه فواصل إذ هي ليست أسجاعاً، ولا التُزِمَ فيها ما يُلتزم في السجع ولا هي أيضاً قوافي.[٢]

ويبدو من قول ابن خلدون أنه أول من أطلق تسمية "الفاصلة" المشتقة من استعمال القرآن نفسه لهذه المادة -حيث وردت في سورة فصلت، آية: ٣ قوله تعالى ﴿كتابٌ فُصِّلتْ آياته﴾-، وطرق أهم قضايا هذه الفكرة وقد كان موفقاً في ذلك أيما توفيق.

ومن أدلة المانعين أيضاً قولهم: أن السجع أصله من "سجع الطير" فشرف القرآن ألا يستعار لشيء فيه لفظ أصله مهمل، وأن القرآن وصف لله فلا يجوز وصفه بما لم يرد الإذن به شرعاً.[٣]

وقد تساءل بعض المانعين بأن السجع لو كان محموداً فلما لم يأتي القرآن كله مسجوعاً؟ أجاب السيوطي موضحاً بأن القرآن نزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعاداتهم وكان الفصيح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعاً، لما فيه من أمارات

---

[١] المرجع نفسه. ص ٦١.

[٢] ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي. ١٩٦٧. *تاريخ العلامة ابن خلدون*. بيروت: دار الكتاب اللبناني. ج١. ص ١٠٩٤.

[٣] السيوطي. ج٢. ص ٩٧.

التكلف والاستكراه.[١]

من خلال العرض السابق يتجلى لنا أن الخلاف بين نفاة السجع ومجوزيه كان خلافاً لفظياً فقط. ولكن كلاهما متفقان على أن القرآن منزه عن التكلف والتوعر والتقليد. ومن هنا نستطيع القول بأن اختيار لفظ الفاصلة للقرآن دون السجع كان أجدر، وذلك للتفرقة بين كلام الله سبحانه وتعالى وكلام الناس. ويظهر لنا ذلك من خلال المقارنة بينهما من حيث الوظيفة والنوعية.

وظيفة السجع والفاصلة

السجع في كلام العرب له وظيفة واحدة وهي الوظيفة اللفظية. أما الفاصلة في القرآن الكريم وظيفتان، إحداهما لفظية والأخرى معنوية.

الوظيفة اللفظية للسجع والفاصلة:

يتفق السجع مع الفاصلة على أنهما يقومان بتحسين الكلام. كقول صعصعة بن صُوحان في وصف الحليم: "من ملك غضبه فلم يفعل، وسُعي إليه بحق أو باطل فلم يقبل، ووجد قاتل أبيه وأخيه فصفح و لم يقتل"[٢]. إن ألفاظ السجع المنتهي بحرف اللام في كل من كلمة –يفعل، يقبل، يقتل– أدت إلى تساوي الإيقاع في نهاية كل عبارة.

أما الفاصلة فقد تخطو أكثر من ذلك فهي تشعر النفس بالراحة عند تلاوتها وأن السكوت عليها تدل على كمال المعنى أو قارب الكمال. كما في قوله تعالى: ﴿وإذا قِيلَ لهمُ اسْجدوا للرَّحمَن قالُوا وما الرَّحْمن أَنَسجُدُ لِمَا تأْمُرُنَا وزادَهمْ نُفُورا . تبارَكَ الذي جَعَلَ في السَّماءِ بُرُوجاً وجعل فيها سِراجاً وقمَراً مُنيرا . وهو الَّذي جَعلَ الليل والنَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أرادَ أن يَذَّكَّرَ أوْ أرادَ شُكُورا﴾.[٣]

---

[١] المرجع نفسه والجزء. ص ٩٨.

[٢] المسعودي، علي بن الحسين بن علي. د.ت. *مروج الذهب ومعادن الجوهر*. بيروت: دار الكتب العلمية. ج٣. ص ٥٥.

[٣] القرآن، الفرقان ٢٥: ٦٠-٦٢.

ألفاظ الفواصل -نفوراً، مُنيراً، شُكوراً- في الآيات السابقة قد ألحقت فيها الألف، وهذه الألفات منقلبة عن تنوين في الوقف، حيث زيد على الراء لتساوي المقاطع مما يشهد الذوق بحسن السكوت عليها وجعل النفس تطرب عند تلاوتها.

وقد تطرب النفس عندما تلحق الفاصلة بحرفين أيضاً. كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ واللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ . قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ للهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَلا يَتَمَنَّونَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ واللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.[١]

نجد ألفاظ الفاصلة "الظالمين -في الآية الأولى والثالثة- والصادقين" قد انتهت بحرفين مكررين هما الياء والنون مما تجعل النفس تهبط بسهولة من بعد مد الألف قبلهما وتنتهي فيهما.

وقد نجد هذا النوع في السجع أيضاً مثل قول عمر بن الخطاب في رسالة كتبه إلى ابنه عبد الله بسبب غيبة غابها: "أما بعد! فإن من اتقى الله وقاه، ومن اتكل عليه كفاه"[٢]. نرى أن ألفاظ السجع -وقاه، وكفاه- قد انتهى كل واحد منهما بحرفين مكررين هما الألف والهاء مما جعل النَّفَس تعلو عند نطق الألف ثم تهبط وتنحدر عند النون.

وقد تأتي الفواصل مكررة بثلاثة أحرف. مثل قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.[٣]

---

[١] القرآن، الجمعة ٦٢: ٥-٧.

[٢] الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه. ١٩٤٠. *العقد الفريد*. تحقيق محمد سعيد العريان. القاهرة: مطبعة الاستقامة. ج ٣. ص١٠١.

[٣] القرآن، التغابن ٦٤: ٢-٣.

لفظ الفاصلة "بصير، المصير" قد تكررت فيهما حرف الصاد، والياء والراء فأحدثت بذلك إيقاعاً جميلا في نهاية كل آية.

هذا النوع موجود في سجع كلام العرب كقول ابن العميد -إمام كتاب المشرق في القرن الرابع الهجري- في رسالة كتبه إلى أبي عبد الله الطبري: كتابي ... لعددها من الأحوال الجميلة، وأعددت حظي منها في النعم الجليلة. إن لفظ "الجميلة والجليلة" قد تكررت فيهما حرف الياء واللام والتاء أحدثت بذلك إيقاعاً موسيقياً في نهاية العبارة. إلا أن الفاصلة برغم ذلك تؤذن بانتهاء الآية وتميز بينها وبين التي تليها، مما تدل على إحكام الربط ودقة النظم وجمال التلاؤم.

إلى جانب هذه الأنواع، نجد في القرآن فواصل مكررة بجميع حروفها، كقول الله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُون﴾[1]. فواصل هاتين الآيتين مكررة متساوية الحروف والمعنى. وهذا التكرار فن قولي معروف وأهم ما يؤديه في هاتين الآيتين هو تأكيد معنى تجنب كثرة الكلام وعدم التنفيذ بما يقوله -بالنسبة للمؤمنين- وإبراز هذا المعنى في معرض الوضوح والبيان بعد تكرارها مرة أخرى.

أما التكرار في السجع فقد عده بعض النقاد كابن الأثير قبيحاً واعتبره من التطويل. لأن التطويل هو الدلالة على المعنى بألفاظ يمكن الدلالة عليها بدونها.[2] فمن هنا يبدو أن السجع لاتقبل التكرار في اللفظ على عكس الفاصلة فإنها تزيد المعنى وضوحاً بعد تكرارها.

برغم اتفاق السجع مع الفاصلة في بعض الأمور -كما رأينا سابقاً- إلا أن الفاصلة قد تنفرد عنه ببعض المميزات وهي: أن الفاصلة تعين على تلاوة القرآن مرتلاً ومجوداً بأنغام آسرة ذات إيقاع جميل. ويتم ذلك باستعمال أنواع مختلفة من

---

[1] القرآن، الصف ٦١: ٢-٣.

[2] ابن الأثير. ج١. ص٢٠٠.

الفواصل، وهذه الأنواع قد توجد في السجع ولكنها عاجزة عن التنغيم أثناء قراءتها. ومن هذه الأنواع كالتالي:

١. اتحاد الفاصلتان في الوزن والقافية كقوله تعالى: ﴿وكتاب مَسْطُور . في رقٍّ منْشُور . والبَيْتِ المَعْمُور﴾[١]. وكقوله ﴿إنَّ إلَينا إيَابَهُم . ثم إنَّ علَينا حِسابَهُم﴾[٢].

٢. تختلف الفاصلتان في الوزن، ولكنهما متفقان في حروف السجع. كقوله تعالى ﴿ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لله وَقَاراً . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أطْواراً﴾[٣].

٣. تتساوى الفاصلتان في الوزن دون التقفية. كقوله تعالى ﴿وَنَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ . وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[٤].

٤. تختلف الفاصلتان وزناً وتقفية، ولكنهما متقاربان كقوله تعالى: ﴿الحمد لله ربِّ العالَمين . الرَّحْمَن الرَّحيم . مالِك يوم الدِّين . إيَّاك نعبدُ وإيَّاكَ نَسْتَعين . إهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيم . صِرَاطَ الَّذينَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالين﴾. نرى فاصلة هذه الآيات قد انتهت بحروف المد واللين وإلحاق النون أو الميم بها. وأن تقارب مخرج حرف النون والميم التي وقعت في فواصل آياتها قد مكنتها من إحداث النغم والتطريب. كما ذكر سيبويه: أن العرب إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء يريدون مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا.[٥]

وتقارب حروف المقاطع لا يجيزه أهل اللغة في السجع، كقول الباقلاني: "متى وقع أحد مصراعي البيت مخالفاً للآخر كان تخليطاً وخبطاً، وكذلك متى اضطرب

---

[١] القرآن، الطور ٥٢: ١-٤.

[٢] القرآن، الغاشية ٨٨: ٢٥-٢٦.

[٣] القرآن، نوح ٧١: ١٣-١٤.

[٤] القرآن، الغاشية ٨٨: ١٥-١٦.

[٥] سيبويه، عمرو بن قنبر. ١٣١٦. *الكتاب*. مصر: مطبعة بولاق. ج٢. ص ٢٩٨-٢٩٩.

أحد مصراعي الكلام المسجع وتفاوت كان خبطاً".[١]

ويبدو من تنوع الفواصل أن الكلام لا يحسن أن يكون مستمراً على نمط واحد، لما فيه من التكلف ولما في الطبع من المَلَل عليه ولذا وردت بعض آي القرآن متماثلة المقاطع وبعضها غير متماثل بخلاف السجع فإنه لا يحسن إلا إذا ورد مقاطع الكلام متماثلاً وذلك يدعو إلى التكلف.

وقد يستعمل القرآن في الفاصلة كلمة غريبة مع وجود غيرها القريب المعنى وذلك لمراعاة الموسيقى والنغمة. كقوله تعالى ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى . تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[٢]. وضح ابن الأثير بأن كلمة "ضيزى" وضعت في موضعها لا يسد غيرها مسدّها. وأكد على ذلك مبيناً بأننا إذا جئنا بلفظة في معنى هذه اللفظة قلنا "قسمة جائرة أو ظالمة" لأصبح الكلام كالشيء المعوز الذي يحتاج إلى تمام، وهذا لا يخفى على من له ذوق ومعرفة بذوق الكلام[٣].

وظيفة الفواصل المعنوية

أما الوظيفة المعنوية فالفواصل تنفرد عن السجع في هذه الناحية لأنها قد تكون خفية تحتاج إلى دقة النظر فهم معانيها والاطمئنان على صحتها وتناسبها بعكس السجع فإنه لا يحتاج إلى التدقيق في مقاطعه حتى يتسنى له الحصول على النتيجة. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعذِّبْهمْ فإنَّهُمْ عِبادُكَ وإنْ تَغْفرْ لهمْ فإنَّكَ أنتَ العَزيزُ الحَكِيم﴾[٤]. إذا تأملنا فاصلة هذه الآية تبدو لنا في الظاهر غير ملائمة للمقام، وكأنها تستلزم أن تكون الفاصلة هنا "إنك أنتَ الغفورُ الرَّحيم". لأن الآية تتحدث عن صفة

---

[١] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. ١٩٧٢. *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.، بيروت: المكتبة العصرية. ج١. ص ٥٧.

[٢] القرآن، النجم ٥٣: ٢١-٢٢.

[٣] ابن الأثير. ج١. ص ١٧٧.

[٤] القرآن، المائدة ٥: ١١٨.

الغفران لدى الله سبحانه وتعالى. ولكن إذا ما أنعمنا النظر نجد أن الله لا يغفر لمن يستحق العقاب إلا مَن ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو عزيز لا يغلب. إذن لفظ "الحكيم" قد وضع في موضعه فلا يُتهم في غفرانه لمن يستحق العقاب.

ومن روائع هذه الفاصلة أيضاً قوله سبحانه وتعالى الله: ﴿إِنَّ لكَ ألاَّ تَجوعَ فيها ولا تَعْرَى . وأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فيها ولا تَضْحى﴾[١]. تبدو الفاصلة في هذه الآية -بحسب الظاهر- أن المناسب هو اقتران الجوع بالظمأ لأنهما نظيران، والعُرى بالضحاء لأنهما نظيران كذلك، لكن خولف هذا الوضع، ومن أسباب هذه المخالفة إذا دققنا النظر في آية فإننا نجد أن اللبس يناسب الشبع في أنهما أمران ضروريان لا غنى لأحد عنهما، وأن الاستظلال مناسبة للري في كونهما تابعين لهما. فالري تابع للشبع، والاستظلال تابع للباس.

ومن هنا نستطيع القول، بأن كل آية من القرآن انتهت بفاصلة ملائمة لمعناها، مستقرة في مكانها، غير نافرة ولا قلقة، ولكن قد تضعف الأفهام عن إدراك سرها.

وقد نرى في بعض فواصل الآية أن الذواق المرهف للعربية يتمكن من إدراك الفاصلة وتركيبها كما ذكر ابن كثير[٢] أن زيد بن ثابت كان يكتب ما يُلي عليه الرسول ﷺ فأملى عليه الآية التالية ﴿ولَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ مِنْ سُلالَة مِنْ طِيْن . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِين . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً﴾[٣] وهنا نهض معاذ بن جبل فقال: "فتبارك الله أحسن الخالقين"، فضحك رسول الله ﷺ، فقال له معاذ: مم تضحك يا رسول الله؟ فقال: «بها خُتمتْ». وفعلاً ختمت تلك الآية بقوله ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِين﴾.

---

[١] القرآن، طه ٢٠: ١١٨-١١٩.

[٢] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٨٧. *تفسير القرآن العظيم*. بيروت: دار المعرفة. ج٣. ص ٢٥٢.

[٣] القرآن، المؤمنون ٢٣: ١٢-١٤.

أنواع الفواصل المعنوية

هذه النوعية من الفواصل تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

١. اختلاف الفواصل لاختلاف المعاني.

٢. اختلاف الفواصل مع اتحاد المعنى.

٣. اتفاق الفواصل مع اختلاف المعاني.

اختلاف الفواصل لاختلاف المعاني

ومن الآي التي وردت على هذا النوع من الفواصل قوله تعالى: ﴿وهوَ الذي جَعَلَ لكمُ النُّجومُ لتهتدُوا بها في ظُلُماتِ البَرِّ والبَحْرِ قدْ فَصَّلْنا الآيَاتِ **لقوْمٍ يَعلَمُون** . وهوَ الذي أنْشَأكمْ منْ نَفْسٍ واحدَةٍ فَمستَقرٌّ ومُسْتَوْدَعٌ قدْ فصَّلْنَا الآياتِ **لقوْمٍ يَفْقَهون** . وهو الذي أُنْزِلَ منَ السَّماءِ ماءً فأخْرَجْنا به نَباتَ كُلِّ شيءٍ فأخرَجْنا منهُ خَضِراً نُخْرِجُ منهُ حَبّاً مُتَراكباً ومنَ النَّخْلِ منْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانيَةٌ وجنَّاتٍ منْ أعْنابٍ والزَّيتونَ والرُّمَّانَ مُتشابهاً وغَيْرَ مُتَشابِهٍ، انظُروا إلى ثَمرِهِ إذا أثْمَرَ وَيَنْعِهِ، إنَّ في ذلكمْ لآيَاتٍ **لقَوْمٍ يُؤْمِنون**﴾[1].

هذه الآيات الثلاث تذكِّرنا ألواناً من نعم الله تعالى علينا. حيث نرى في الآية الأولى أنها تخبرنا عن حساب النجوم والأفلاك وهذا العلم مختص بالعلماء فناسب أن تكون فاصلتها ﴿لقَوْمٍ يَعْلَمُون﴾. والثانية تصور قدرة الله في خلق الإنسان من نفس واحدة وتكثيره وتدبير أمره في الحياة ثم القضاء عليه بالموت، وهذا الأمر يدرك بإمعان النظر والتأمل، وتكرار التفكر، فناسب أن تكون فاصلتها ﴿لقَوْمٍ يَفْقَهُون﴾ لأن التفقه أدق من مجرد العلم. أما الآية الثالثة فقد اختصت بمطالب الحياة في الدنيا من إنزال المطر وإنبات النبات والزروع والأشجار. وهذه النعم لا يستشعر بها إلا المؤمنون فناسب أن تكون الفاصلة ﴿لقَوْمٍ يُؤْمِنُون﴾. فالفواصل في الآيات الثلاث

---

[1] القرآن، الأنعام ٦: ٩٧-٩٩.

برغم اختلافها إلا أن كلا منها واقعة موقعها من البيان البليغ.

اختلاف الفواصل مع اتحاد المعنى

قد نجد في الآيات القرآنية ما يثير الدهشة وذلك أن الفاصلتين قد تختلفان والمحدِّث عنه واحد في الموضعين. ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوهَا **إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾[١]. وقوله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوهَا **إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[٢].

تتحد الآيتان السابقتان في الحديث عن نِعَم الله الكثيرة. ومع ذلك جاءت فاصلتهما مختلفة وكل منهما وقعت موقعاً مناسباً. وقد نقل الزركشي قول ابن المنير (ت٦٨٣هـ) عن سبب الاختلاف في الفاصلتين مع اتحاد الموضوع مبيناً بأن الله عندما يمنح الإنسان النعم الكثيرة فقد يأخذها، وأخذه لها يحصل له وصفان كونه ظلوماً وكونه كفاراً.

وتعليقاً على الآية الثانية أجاب الزركشي مستنداً بقول ابن المنير بأن الله هو معطي النعم الكثيرة للإنسان. فصفة العطاء لدى الخالق تدل على أن له وصفان: هو الغفور وهو الرحيم، حيث يقابل ظلم الإنسان بالمغفرة وكفره بالرحمة[٣]. فناسب إذن أن تكون الفاصلة في الآية الأولى ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾. وفي الثانية ﴿إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وإذا أنعمنا النظر في هاتين الآيتين نجد بعض التساؤلات حاصله: لماذا أثارت الفاصلة في الآية الأولى -سورة إبراهيم- وصف الإنسان؟ ولماذا أثارت في الثانية -سورة النحل- وصف الله سبحانه وتعالى؟

---

[١] القرآن، إبراهيم ١٤: ٣٤.

[٢] القرآن، النحل ١٦: ١٨.

[٣] الزركشي. ج١. ص ٨٦.

أرى أن من أسباب إيثار وصف الإنسان في سورة إبراهيم هو أن هذه السورة قد ذكرت العديد من مظاهر النعم، وروعيت فيها جانب الإنسان. فجاءت الفاصلة معبرة عن موقف الإنسان من النعم.

أما السبب في إيثار وصف الله في سورة النحل فهذا قد يعود إلى أن السورة تحدثت عن وحدانية الله وقامت بنفي كل من ادعى بوجود شريك له، فمن المناسب أن تأتي الفاصلة بالحديث عن وصف الله دون الإنسان.

اتفاق الفواصل مع اختلاف المعاني

هذا النوع على عكس المسألة السابقة، حيث يختلف موضوعا الآية وتأتي الفاصلتان متفقتين في الموضعين. كقول الله تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمَنوا لِيستأذِنكُمُ الذين مَلَكتْ أيمانُكمْ والذين لَمْ يبْلغوا الحُلُمَ منكمْ ثَلاثَ مرَّات مِن قبْلِ صلاةِ الفجْرِ وحينَ تَضَعون ثِيابَكمْ مِنَ الظَّهيرةِ ومِن بَعْدِ صلاةِ العِشاءِ ثلاثُ عَوْرات لكمْ ليسَ عليكم جُناحٌ بَعْدَهُنَّ، طَوَّافونَ عليكمْ بَعْضُكمْ علَى بعْضٍ كذلكَ يُبيِّنُ اللهُ لكُمُ الآياتِ **والله عَليمٌ حَكيم** . وإذا بَلغَ الأطْفالُ منكُمُ الحُلُمَ فَلْيسْتأذِنُوا كَمَا اسْتأْذَنَ الذينَ منْ قَبْلِهمْ كذلك يُبيِّنُ اللهُ لكمْ آياتِه **واللهُ عَليمٌ حَكيم**﴾[1].

نلاحظ اتفاق الفاصلتين في هاتين الآيتين، وذلك بسبب اتفاقهما في الغرض وهو التصوير عن أدب الاستئذان، وكذلك المناسبة في الموضعين واضحة لأن المعنى يعبر بأن الله عليم بما فيه صلاح المؤمن، حكيم فيما شرعه لهم. وتكرار الفاصلتين بألفاظ واحدة فيه تأكيد للإنذار من المخالفة ومبالغة في امتثال المكلفين بما أرشدوا إليه. وبهذا نرى أن الفواصل مناسبة للمعنى المذكور.

---

[1] القرآن، النور ٢٤: ٥٨-٥٩.

أقسام السجع والفواصل

تنقسم السجع والفواصل إلى أربعة أقسام وهي:

١. التمكين

وهو أن يمهد للقرينة تمهيداً تأتي به السجعة متمكنة في مكانها غير نافرة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى الكلام تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت لاختل المعنى، ولو سُكتَ عنها لأدركها السامع بطبعه[١]. ويظهر ذلك في سجع كلام العرب. كقول المهدي في إحدى خطبه: "فاجتنبوا ما خوفكم الله من شديد العقاب، وأليم العذاب، ووعيد الحساب".[٢] نلاحظ في هذه الخطبة أنها تأمرنا باجتناب كل ما يخوفنا الله منه، فبمجرد ذكر الخوف فقد تخطر في البال بأن الشيء المخيف هو العقاب الشديد، والعذاب الأليم، والحساب الوعيد وجعل كل ذلك في آخر المقاطع على الترتيب.

وفي القرآن الكريم نجد فواصل كل آية متمكنة فيها. كقوله تعالى: ﴿قالوا يا شُعَيبُ أصَلاتُكَ تأْمُرُكَ أنْ نتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا أو أنْ نَفْعَلَ في أموالِنا ما نشَاءُ إنكَ لأنتَ الحَليمُ الرَّشيدُ﴾[٣].

علق الزركشي على الآية السابقة مبيناً بأن الآية قد ذكرت في مقدمتها ما تتعلق بالعبادة، ثم تلتها ذكر التصرف في الأموال، فجاءت الفاصلة على الترتيب "الحليم"، ثم "الرشيد". فالحليم باعتبار العبادة، والرشيد باعتبار التصرف في الأموال.[٤]

---

[١] الزركشي. ج١. ص ٧٩.

[٢] الأندلسي. ج٤. ص ١٨٧.

[٣] القرآن، هود ١١: ٨٧.

[٤] الزركشي. ج١. ص ٨٠.

٢. التصدير

وهو ما يسمى أيضاً برد العجز على الصدر[١]. والمقصود به أن تكون اللفظة قد تقدمت مادتها في العبارة [٢]. وقد قسمه عبد الله بن المعتز ثلاثة أقسام[٣]:

أ. توافق آخر المقاطع مع آخر كلمة في صدر ما قبلها. لم أجد هذه النوعية في سجع كلام العرب. ولكن في فواصل الآي فهي موجودة. مثل قول الله تعالى: ﴿أولئكَ الذينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَة **بالهُدى** فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُم وما كانوا **مُهتَدين**﴾[٤].

ب. توافق المقاطع مع أول الكلمة. كقوله ﴿**وَهَبْ** لَنا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً، إنَّكَ أنتَ **الوَهاب**﴾[٥]. وفي السجع كقول عيسى عليه السلام للحواريين: "**تعملون** للدنيا وأنتم تُرزقون فيها بغير **عمل**".[٦]

ج. توافق المقاطع مع إحدى كلمات الوسط. كقول الله عز وجل ﴿ولقدِ **استُهْزِئَ** بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنهُمْ مَا كانُوا بِهِ **يَسْتَهْزِئُون**﴾.[٧] وفي الكلام المسجوع كقول علي بن أبي طالب يصف قدرة الله سبحانه وتعالى: "ولا **يقدر** أحد **قدرتَك**، ولا **يشكر** أحد حقَّ **شكرك**".[٨]

٣. التوشيح

وهو أن يكون معنى العبارة أو الآية مشيراً إلى هذه المقاطع أو الفواصل. مثال

---

[١] الجرجاني. ص ٢٩٥.

[٢] ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق. د.ت. *العمدة*. بيروت: دار الجيل. ج٢. ص ٣.

[٣] المرجع نفسه والصفحة.

[٤] القرآن، البقرة ١: ١٦.

[٥] القرآن، آل عمران ٦: ٨.

[٦] الأندلسي، ج٣. ص ٨٨.

[٧] القرآن، الأنعام ٦: ١٠.

[٨] الأندلسي. ج٤. ص ١٦٣.

ذلك كما أوردنا في خبر معاذ بن جبل مع الرسول ﷺ وكما في قوله تعالى: ﴿إنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ ونُوحاً وآلَ إبْرَاهِيمَ وآل عِمْرَانَ عَلَى العالَمين﴾[1]. إن الاصطفاء يقتضي أن تكون الفاصلة "العالمين" لأن المصطفى منه يجب أن يكون من جنس المصطفى، وجنس هؤلاء المصطفين هو العالمون. لم أحصل على مثال واحد لهذا النوع في سجع كلام العرب ولعل ذلك راجع إلى كون السجع المفضل هو النوع القصير المؤلف من ألفاظ قليلة، بحيث كلما أمعنت في القلة كان أفضل.[2]

ولما كان السجع المفضل هو ما يمتاز بالنوع القصير فالفاصلة تمتاز بكلا النوعين: فواصل السور القصيرة وفواصل السور الطويلة. فالفواصل في السور القصيرة عبارة عن كلمات مفردة تهدف إلى بيان معنى واحد سريعة التصور والإدراك. مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ . وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ . عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ . تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً . تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾. وقوله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ﴾.

نرى فواصل هذه الآيات كلها عبارة عن كلمات مفردة لها دور أساسي في تصوير المعنى الرئيسي في الآية. وهي بذلك لا مجال لذكر الأفكار الطويلة التي تحتاج إلى إطالة بناء الجملة أو الآية التي تصورها. فالفكرة الأساسية هنا تتطلب انتظام جميع الألفاظ لتأدية الفكرة السريعة الموجزة.

أما فواصل الآي الطوال فهي تأتي على شكل كلمة في جملة مستقلة تفيد معنى جديداً بعد استيفاء معنى ما تقدمها. كقول الله تعالى: ﴿وآتاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وإنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها إنَّ **الإنْسَانَ** لَظَلُومٌ كَفَّارٌ . وإذْ قَالَ إبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِناً واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أنْ نَعْبُدَ الأصْنَامَ . رَبِّ إنَّهُنَّ

---

[1] القرآن، آل عمران ٣: ٣٣.

[2] الجندي، علي. د. ت. *صور البديع*. د.م. دار الفكر العربي. ج١. ص ٢١٠.

أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيم﴾.[١]

فهذه ثلاث فواصل في ثلاث آيات وقعت الفاصلة فيها كلمة في جملة مستقلة بعد استيفاء المعاني الرئيسية لكل آية. ومثله قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ واللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً واللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ . يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَما يَذَّكَّرُ إلاَّ أُولُوا الأَلْبَاب﴾.[٢]

وهاتان آيتان جاءت الفاصلة فيهما كذلك كلمة في جملة أفادت معنى جديداً بعد استيفاء معنى ما تقدمها. فالآية الأولى وضح الله سبحانه وتعالى الفكرة الأصلية فيها وهي التحذير من الشيطان الذي يخوف الناس من الفقر وويصرفه عن الخير ويغريه بالمعاصي، وحري بأن يختمها بجملة تؤكد تلك المعاني وهو وصف الله بأنه واسع المغفرة لا يخفى عليه شيء من أمور الناس. وهكذا في الآية التالية حيث ذكرت الفكرة الأصلية التي تتعلق بإعطاء الحكمة لمن يشاء من عباده ثم أعقبها بجملة تؤكد معناها وهي أن ما ينتفع بالعظة والاعتبار بأعمال القرآن إلا ذوو العقول السليمة.

الخاتمة

بعد أن أمضينا شوطاً في هذا البحث ورأينا الفرق بين معنى الفاصلة والسجع واختلاف العلماء فيهما، ووظيفة كل منهما من حيث اللفظ والمعنى، وأنواع الفواصل، وأقسام السجع والفواصل، وإننا لنحسب أن أبرز ما أسفرت عنه هذا البحث كالآتي:

- أن تسمية مقاطع الآيات القرآنية بالفاصلة أرجح وأنسب من تسميتها بالسجع، لأن الفاصلة بحروفها المتقاربة أو المتماثلة تستطيع أن تعظم من وقعها في السمع وترسخ معاني الآيات القرآنية في الأذهان. بخلاف

---

[١] القرآن، إبراهيم ١٤: ٣٤-٣٦.

[٢] القرآن، البقرة ١: ٢٦٨-٢٦٩.

السجع فإن حسن إيقاعه لا تأتي إلا متماثلة الحروف.

- أن الفواصل المختلفة الحروف تعين على تلاوة القرآن مرتلاً ومجوداً بأنغام آسرة ذات إيقاع جميل بخلاف السجع فإنها عاجزة عن التنغيم.
- الفواصل في السور القصيرة عبارة عن كلمات مفردة تهدف إلى بيان معنى واحد سريعة التصور والإدراك. أما فواصل الآي الطوال فهي تأتي على شكل كلمة في جملة مستقلة تفيد معنى جديداً بعد استيفاء معنى ما تقدمها.

هذا هو إعجاز القرآن الكريم الذي ليس كمثله شيء. نسأل الله تعالى العفو عن الزلل إنه رحيم ودود.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

إبراهيم زكي خورشيد وغيره. ١٩٩٨. *موجز دائرة المعارف الإسلامية*. مركز الشارقة للإبداع الفكري.

الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه. ١٩٤٠. *العقد الفريد*. تحقيق محمد سعيد العريان. القاهرة: مطبعة الاستقامة.

ابن الأثير، ضياء الدين، د. ت. *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*. حققه د. أحمد الحوفي. بدوي طبانه. دار نهضة مصر.

ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي.١٩٦٧. *تاريخ العلامة ابن خلدون*. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

ابن رشيق، أبي علي الحسن بن رشيق.د. ت. *العمدة*. بيروت: دار الجيل.

ابن سنان الخفاجي، عبد الله بن محمد.١٩٨٢. *سر الفصاحة*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٨٧. *تفسير القرآن العظيم*. بيروت: دار المعرفة.

ابن منظور، محمد بن مكرَّم. د. ت. *لسان العرب*. مصر: دار المعارف.

أبو هلال العسكري، الحسن بن سهل. ١٩٨١. *سر الصناعتين*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الباقلاني، أبي بكر محمد بن الطيِّب. ١٩٨١. *إعجاز القرآن*. تحقيق: السيد أحمد صقر. القاهرة: دار المعارف.

الجرجاني، محمد علي بن محمد. ١٩٨١. *الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة*. تحقيق: عبد القادر حسين، دار نهضة مصر.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. ١٩٧٢. *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية.

سيبويه، عمرو بن قنبر. د. ت. *الكتاب*. تحقيق عبد السلام هارون. بيروت: عالم الكتب.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن.د.ت. *الإتقان في علوم القرآن*. بيروت: المكتبة الثقافية.

الجندي، علي. د. ت. *صور البديع*. دار الفكر العربي.

المسعودي، علي بن الحسين بن علي. د.ت. *مروج الذهب*. بيروت: دار الكتب العلمية.

القطّان، منّاع. ٢٠٠٠. *مباحث في علوم القرآن*. مكتبة وهبه.

معالم القرآن والسنة
مجلة محكمة
السنة الأولى ◆ العدد الأول ◆ ٢٠٠٥

مجاهد مصطفى بهجت*

مادة التفسير إعداداً وتحريراً

المقدمة

الحمد لله منزل الكتاب جاعله هدىً ونوراً للبشرية، والصلاة والسلام على البشير النذير والصادق الأمين رسول الله إلى العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين: وبعد،

فهذا بحث عن مادة التفسير-بعد تجربتي في تدريسي هذه المادة- يتناول طبيعة مادة التفسير ومفرداتها مما يدرس في الجامعات الإسلامية، وأسلوب إعدادها وكتابتها وتحريرها، ويأتي هذا البحث في تمهيد ومبحثين.

التمهيد: عن جهود العلماء المحدثين في التفسير.

المبحث الأول: إعداد المادة: منهجها ومفرداتها.

المبحث الآخر: تحرير المادة وصياغتها: أسلوب عرضها ولغتها.

ولا يخفى على الباحثين أن مادة التفسير من المقررات الأساسية في مناهج الدراسات الشرعية في الجامعات العربية والإسلامية، وتستقل أحياناً في أقسام دراسية مع الحديث النبوي كما في الأكاديمية الإسلامية في جامعة الملايو، وفي كلية الدراسات الإسلامية في الجامعة الوطنية الماليزية، وكلية معارف الوحي والعلوم

---

* أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الوطنية الماليزية (UKM)، قدم هذا البحث في الندوة الدولية بعنوان "نحو صياغة حديثة لمقررات الدراسة الشرعية" من ٧-٨ فبراير ٢٠٠٤ م أكاديمية الدراسات الإسلامية -جامعة ملايا- ماليزيا، بعد مراجعته وتعديله.

الإنسانية في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا.

وتأتي مادة التفسير بأصناف مختلفة في تلك الأقسام فقد تكون مقرراً عاماً لمستويين أو أكثر كما في الأقسام السابقة حيث يدرس فيها تفسير أجزاء من القرآن أو سور محددة، أو آيات من سور محددة.

وتأتي كذلك ضمن مادة التفسير الموضوعي، والتحليلي، ومناهج التفسير وغيرها[١]. وهذه المقررات الدراسية تخصصية أكثر من السابقة، ويعالج المقرر الأول ثلاثة محاور: موضوعاً واحداً من القرآن، وموضوعاً واحداً من سورة واحدة، وسورة واحدة ذات وحدة موضوعية[٢]، ويعالج المقرر الثاني التفسير المفصّل المعمق للآيات القرآنية في جوانبها المختلفة، وقد يكون أحياناً لآيات الأحكام التي تتضمن القضايا الفقهية، أما المقرر الأخير فيأتي أحياناً للمناهج القديمة والحديثة في التفسير، وأحياناً أخرى مقسماً عليهما، فالقسم الأول يعالج التفسير في زمن الصحابة والتابعين ثم مناهج التفسير واتجاهاته عبر العصور المختلفة كالمأثور والتفسير بالرأي والتفسير الفقهي والإشاري الصوفي، والعلمي والأدبي والبلاغي[٣].

والحقيقة إن البحث سيعالج مادة التفسير في المرحلة الأساسية، غير الموضوعي والتحليلي، ويسمى في بعض الأقسام بدراسات قرآنية وهو من متطلبات الأقسام وأحياناً من متطلبات الكلية، وسيعالج تدريس هذه المادة لطلبة الدراسات الإسلامية من غير العرب.

تمهيد: جهود المحدثين في التفسير

لا يختلف اثنان في أن كتاب الله تعالى اتصلت العناية به منذ نزوله وحتى وقتنا

---

[١] مثل الإسرائيليات في التفسير، والقصص في القرآن.

[٢] راجع: مصطفى مسلم. *مباحث في التفسير الموضوعي*. ص٣٥-٤١.

[٣] راجع الملحق رقم (١) قائمة بكتب التفسير القديمة.

الحاضر وسيبقى حتى قيام الساعة، وبذلت فيه من الجهود ما لم تبذل في غيره، واهتم به العلماء اهتماماً منقطع النظير ولذلك يصعب حصر ما كتب عنه قديماً وحديثاً، وتكفي الإشارة إلى كتابين كبيرين فهرسا للدراسات القرآنية وهما: معجم الدراسات القرآنية للدكتورة ابتسام مرهون الصفار ط١٩٨١م، ومعجم مصنفات القرآن الكريم للدكتور علي شواخ اسحق ط١٩٨٣م، وهناك دراسة علمية عن اتجاهات التفسير بعنوان: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد عبد الرحمن الرومي ط١٩٨١م.

وسأثبت في قائمتي ما ألف من كتب التفسير حديثاً -مما تيسر الوقوف عليها- لمحاولة معرفة اتجاهاتها وأهدافها، وبعضها تفاسير غير كاملة وبعضها مناهج وقواعد وتصورات نظرية لتفسير القرآن، وهذه هي عناوين أهم كتب التفسير الحديثة وأسماء المؤلفين:

١. روح المعاني: الآلوسي (ت١٨٥٤م).
٢. همیان الزاد: محمد بن يوسف اطفيّش (ت١٣٢٢هـ)، تفسير مذهبي إباظي.
٣. محاسن التأويل: القاسمي (ت١٩١٤م) وأهم مآخذه عن الرسول والصحابة ومطلق اللغة، ومقتضى معنى الكلام[١].
٤. تفسير المنار: محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ)، (غير كامل) عقلي يرفض تقليد السابقين، وهو على منهج شيخه محمد عبده، وتفسيره أدبي اجتماعي.
٥. تفسير الجواهر: الشيخ طنطاوي جوهري (١٣٥٨هـ)، تفسير علمي.
٦. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن: الشيخ محمد أمين الشنقيطي.
٧. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، وهو على نسق التفسير السابق.
٨. التفسير العصري القديم: عبد الفتاح الإمام، عصري ببيانه الواضح وبرهانه العلمي، وقديم باتّباع منهج السلف.
٩. نظرات حديثة في التفسير: محمد عبد الرحمن الجديلي (غير كامل) لستّ

[١] القاسمي. تفسيره. المقدمة: ج١ ص١٢-١٤.

سور قصيرة، يريد التفسير على منهاج أوحى بهما روح العصر لكي يعيد المجتمع الإسلامي العربي سيرته الأولى.

١٠. رسالتان في التفسير وسورة الفاتحة: الإمام حسن البنا يرى أن الحاجة ماسة إلى التفسير المفهم الذي تتضح به المعاني والمقاصد بحسب مدارك البشر.

١١. في ظلال القرآن: سيد قطب (تفسير دعوي أدبي).

١٢. تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي (غير كامل) ويعتمد المنهج اللغوي التحليلي.

١٣. تفسير الشيخ محمود شلتوت(غير كامل) ويؤكد ضرورة تنزيه التفسير عن تأويل المذاهب أو النظريات العلمية، ويذكر مقاصد السورة وأهدافها.

١٤. معارج التفكّر ودقائق التدبّر: الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني، وهو على منهاج كتابه: (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل).

١٥. التفسير البياني للقرآن: الدكتورة بنت الشاطئ (غير كامل) على نهج شيخها أمين الخولي الذي يرى أن الغرض الأول للتفسير هو: "تحقيق هداية القرآن ورحمته مبيناً لحكمة التشريع في العقائد والأخلاق والأحكام"، لكن المقصد الأسبق هو النظر في القرآن من حيث هو كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم[١].

١٦. نحو منهج لتفسير القرآن: الدكتور محمد الصادق عرجون، يدعو لوضع منهج لنوعين من التفسير:

أ. يبين الهداية القرآنية خلال معنى الآيات والبيان اللغوي مع مراعاة الأصول في نزول القرآن.

ب. يبين الهداية الإلهية من بحوث علمية وكونية واجتماعية... إلخ.

١٧. نظرات في كتاب الله: الشيخة زينب الغزالي الجبيلي.

---

[١] دائرة المعارف الإسلامية. ج٧. ص٧٥.

١٨. الأساس في التفسير: الشيخ سعيد حوا.

١٩. التفسير الواضح: د. محمد محمود حجازي.

٢٠. "من موضوعات سور القرآن الكريم": الشيخ عبد الحميد طهماز.

٢١. تفسير الرحمن وقصار السور: الدكتور شوقي ضيف (غير كامل).

٢٢. الظاهرة القرآنية: مالك بن نبي، يهدف إلى إصلاح مناسب للمنهج القديم في تفسير القرآن.

٢٣. دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم: عبد الوهاب أبو صفية الحارثي.

ومن كتب التفسير الحديثة: حدائق الروح لمحمد أمين الهرري في ٣٢جزءاً، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، وتفسير الشيخ بن باديس، وتفسيرالشيخ ولي الله الدهلوي، منهج قلبي نفسي، وتفسير الشيخ أبي الأعلى المودودي إلخ.

المبحث الأول: إعداد المادة منهجها ومفرداتها

تسعى الأقسام الدراسية في الكليات بالجامعات الإسلامية إلى تقديم المواد الدراسية لطلبتها محققة أكبر الأهداف في تكوينهم العلمي، ومن أبرز معايير هذه الأهداف أن تكون شاملة، وواضحة، وممكنة وواقعية، مناسبة لأعمار الطلبة، متوافقة مع فطرتهم.[١]

وإعداد مادة التفسير بمستوياته المختلفة ينبغي أن يراعي هذه الأهداف عند تقديمها، وبمقدار نجاح الأستاذ في طريقة تقديمه للمادة يكون نجاح الكلية والجامعة في برامجها وخططها العلمية.

والتفسير علم له قواعده وضوابطه، ومصدره النقل المأثور أو اللغة، وهنالك أكثر من ثلاثة عشر علماً ينبغي للمفسر أن يلم بها، وقد ذكرها الطوفي (٧١٦هـ)

---

[١] الصويغ، عبد المحسن. د.ت. *المناهج الشرعية في الجامعات الإسلامية*. ص٢٦-٢٩.

فيما يأتي: ١. علم الغريب ٢. علم التصريف ٣. علم الإعراب ٤. علم القراءات ٥. علم الموجودات أو علم الحكمة ٦. علم أصول الدين ٧. علم التاريخ، ٨. علم الوعظ ٩. علم الناسخ والمنسوخ ١٠. علم أصول الفقه ١١. علم الفقه ١٢. علم المعاني ١٣. علم البيان[١] وغيرها.

والسمين الحلبي (٧٥٦هـ) يرى أن أوثق العلوم بكتاب الله بعد تجويد ألفاظه بالتلاوة خمسة علوم، وهي: علم الإعراب، علم التصريف، علم اللغة، علم المعاني، علم البيان.

وقد ذكر السيوطي (٩١١هـ) خمسة عشر علماً للتفسير، منها العلوم التي سبق ذكرها، وأضاف عليها: ١. علم البديع ٢. أسباب النزول ٣. الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم ٤. علم الموهبة[٢].

وهناك فرق بين الفهم والتفسير، فيجب على كل مسلم أن يفهم كلام الله، ولكن لا ينبغي لكل واحد أن يكون مفسراً لكتاب الله، فكتاب الله فيه التشريع والقوانين والفقه وهو المرجعية لحياة المسلمين بكافة أنشطتها، فلا ينبغي أن نكلف كل مسلم بتفسيره وأن يلم بعلوم الدين واللغة حتى يكون أهلاً لذلك، فهذا ليس ميسوراً لكل واحد، لذا كان لا بدّ من وجود متخصصين بهذا العلم لمساعدة المسلم على فهم كتاب ربه، وتعدد وجوه التفسير فيه سعة للناس ومجال للاجتهاد.

وإذا أردنا أن نخطط للمادة ونحدد مفرداتها، فينبغي أن نجيب على هذا السؤال، ما التفسير الذي نحتاجه؟ أو ما التفسير المطلوب؟

لعل في الدراسات السابقة التي أدرجنا فيها المؤلفات الحديثة المتخصصة في التفسير الجواب على هذا السؤال، لأنها جميعاً تسعى لبيان ما نحتاجه، فبعض الدارسين يقول: إنه ما يحقق الفطرة البشرية في فهم عبارة النص وما يتبادر إلى

---

[١] الطوفي. د.ت. *الإكسير في علم التفسير*. ص١٧-٢٢.

[٢] السيوطي. *الإتقان*. ج٢. ص١٨٠-١٨١.

الذهن، وهذا ما عناه الزرقاني في قوله: "أما المعاني العامة التي يفهمها الإنسان عند الإطلاق فهي قدر يكاد يكون مشتركاً بين عامة الناس، وهو المأمور به للتدبر والتذكر، كما أنه المقصود من قوله تعالى: "ولقد يسرنا القرآن للذكر"[١]، وكذلك ينبغي مراعاة السياق في فهم المعنى يقول الزركشي: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له"[٢].

ويعرض الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في أوائل القرن المنصرم لأسباب ضعف التفسير في عصره، فيذكر أربعة وهي: الولع بالتوقيف والنقل خشية الغلط، والضعف في اللغة والبلاغة، وفي علوم ضرورية لمعرفة عظمتها العمرانية، وخروج بعض التفاسير إلى علوم متنوعة ضعيفة المناسبة للتفسير. وينتهي إلى الطريقة الصحيحة وهي: تفسير التراكيب القرآنية جرياً على تبيين معاني الكلمات القرآنية بحسب استعمال اللغة العربية، ثم أخذ المعاني من دلالة الألفاظ والتراكيب وخواص البلاغة، ثم استخلاص المعاني المدلولة منها بدلالات المطابقة والتضمن والالتزام، ولا يمنع هذا النقل عن أئمة المفسرين السلف والخلف مما ليس مجافياً للأصول ولا للعربية، وعليه أن يتجنب الاستطراد والاندفاع في أغراض ليست من مفادات تراكيب القرآن.[٣]

ويمكن استخلاص رأي أحد الباحثين في طبيعة التفسير المطلوب فيما يأتي[٤]:

١. التفسير القائم على الفهم الذي ينبثق من النص انبثاقاً عفوياً بالاعتماد على أصول التفسير (أسباب النزول، المناسبة، اللغة... الخ) مع الاستفادة من المأثور عن النبي ﷺ والصحابة ﷺ.

٢. التفسير القائم على فهم حاجة العصر وظروفه ومستجداته، فهو مرن قابل للتغير في بعض جوانبه (غير العقيدة، وثوابته الشرعية).

---

[١] الزرقاني. *مناهل العرفان*. ج١. ص ٥١٩.

[٢] الزركشي. *البرهان*. ج١ ص٣١٧. والسيوطي. *الاتقان* ج١ ص١٨٦

[٣] راجع: الطاهر بن عاشور. *أليس الصبح بقريب*. ص ٢١٥-٢٢٢. وراجع مقدمة تفسيره التحرير والتنوير..

[٤] الحارثي، عبد الوهاب. *دلالة السياق*. ص ١٠.

٣. التخلص من التفسيرات المذهبية والطائفية البعيدة عن المضمون والسياق، والروايات الاسرائيلية الكثيرة التي تبتعد عن الموضوع.

وقد لانجد التفسير الأمثل في كثير من التفاسير المذهبية لأنها تمثل وجهة نظر أصحابها، ولأن بعض التفاسير اللغوية والبلاغية والفقهية تبين وجهاً واحداً للتفسير.[١]

وفي دراسة لأحد المتخصصين في التفسير دعا فيها لمنهجية موحدة لتفسير القرآن معتمداً فيها على منهج صارم في:

١. مراعاة نظام الكلام في تسلسل المعاني وترابطها، والتناسب بين الآيات والسور لإظهار وحدة القرآن الموضوعية.

٢. اعتماد تفسير القرآن بالقرآن أصلاً لبيان المعاني لأنه تفسير صاحب الكلام لكلامه، ويقدم مثالين يوضح معنى فهم المعنى الصحيح خلالهما[٢].

ولا شك أن اتجاهات كثيرة حديثة في التفسير جديرة بالإفادة منها كتفسير القرآن بالقرآن عند الشيخ الشنقيطي وعبد الكريم الخطيب، ولتقريب الصورة من التفسير المثالي أعرض لعدد من مناهج التفاسير الحديثة وهي:

١. المنتخب في تفسير القرآن الكريم: وقد أعدته لجنة مصرية للعرب ثم دعت إلى ترجمته إلى اللغات الأخرى وجاء المنهج معتمداً على ما يأتي:

أ. الايجاز بحيث لا يزيد على ثلاثة أمثال المصحف.

ب. ذكر معنى الآية دون تحليل ألفاظها لغوياً.

ج. عدم التعرض لأسباب النزول إلا الضروري لتوضيح المعنى، ولا الأحكام الفقهية والحقائق العلمية إلا ما يقتضي النص، وهو يختار من التفسير ما يدفع التعارض[٣].

---

[١] المرجع السابق. ص ١٦، ١٩.

[٢] أحمد فرحات. *نحو منهجية موحدة لتفسير القرآن*. ص٩٥-١٠٢

[٣] راجع *المنتخب في تفسير القرآن الكريم*. المقدمة ص٣

٢. **القرآن الكريم: تلاوته ومعانيه:** كتاب منهجي أعد للمدارس العراقية لمراحلها المختلفة، يستوعب القرآن كله، ويتدرج فيه من جزء عمّ للمرحلة الابتدائية إلى آل عمران والبقرة في السادس ثانوي، والنساء والمائدة والأنعام للخامس، والأعراف إلى نهاية سورة يوسف للرابع.. إلخ بمعدل أربعة أجزاء لكل سنة في المرحلة الثانوية والمتوسطة، وتشير المقدمة إلى اعتماد التفسير على أمهات كتب التفسير والمعاجم، ومنهجه بعد ذكر الآيات ما يأتي:

أ. معاني الكلمات.

ب. المعنى العام، وقد قدم المعنى العام في بعض الأجزاء بشكل نقاط بما يناسب مستوى الطلبة[١].

٣. **تفسير المراغي للشيخ أحمد مصطفى المراغي:** يذكر عنه المؤلف أنه جاء يشاكل حاجة العصر في أسلوبه وطريقته، سهل المأخذ، تطمئن إليه النفس، ومنهجه بعد ذكر الآيات ما يأتي:

أ. شرح المفردات

ب. ذكر المعنى الجملي مع ذكر أسباب النزول.

ج. الإعراض عن ذكر مصطلحات العلوم[٢].

٤. **صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني:** يمكن استخلاص منهجه في تفسيره فيما يأتي:

أ. بين يدي السورة وهو البيان الإجمالي وتوضيح مقاصد السورة الأساسية، والمناسبة بين الآيات السابقة واللاحقة مع ذكر سبب النزول.

---

[١] *القرآن الكريم تلاوته ومعانيه*. المقدمة ص ٣

[٢] المراغي. *تفسير المراغي*. المقدمة ص١٨.

ب. اللغة مع بيان الاشتقاق خلال الشواهد العربية.

ج. التفسير مع ذكر الوجوه البلاغية والفوائد واللطائف[١].

٥. روح القرآن الكريم لعفيف عبد الفتاح طبارة: يتبع فيه الخطوات الآتية بعد ذكر الآيات:

أ. شرح المفردات الصعبة.

ب. المعنى الإجمالي.

ج. إيضاح ودروس[٢].

٦. التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي: ويعتمد منهجه بعد تقسيم الآيات إلى وحدات موضوعية على:

أ. بيان ما اشتملت عليه السورة إجمالاً، مع ذكر أسباب النزول.

ب. توضيح اللغويات والتفسير والبيان.

ج. الأحكام المستنبطة.

د. البلاغة والإعراب[٣].

٧. تفسير القرآن للناشئين للدكتور عبد الحليم عويس وعلي جبر: أراد منه المؤلفان إيقاظ المسلمين وتنبيههم إلى ضرورة العودة وتوثيق الصلة بكتاب الله تعالى لأنه معجزة وتربية وهداية، ويذكّران بكلمة إقبال التي نصحه بها أبوه: "اقرأ القرآن كأنه أنزل عليك"، وفيه دعوة للآباء والمربين لفعل ذلك مع أبنائهم وتلاميذهم،[٤]

---

[١] راجع: الصابوني. *صفوة التفاسير*. ج١ ص١٥.

[٢] راجع: طبارة، عفيف عبد الفتاح. *روح القرآن* في أجزائه المختلفة.

[٣] الزحيلي، وهبة. *التفسير المنير*. ج١. ص٩.

[٤] عبد الحليم عويس وعلي جبر. *تفسير القرآن للناشئين*. ص١٥.

وهو تفسير وجيز ويأتي المنهج معتمداً على ما يأتي:

أ. شرح الكلمات الغامضة، وبيان المعنى الدقيق.

ب. ما تتحدث عنه السورة.

ج. ما ترشدنا إليه السورة[١].

وفضلاً عن إمكانية الاستفادة من النماذج السبعة السابقة يمكن الاستفادة من نمط آخر في التأليف لتفسير القرآن وهو ما يسمى بمعاجم المفردات لإيجازها وتركيزها على بيان معاني مفردات القرآن الكريم، وتراثنا غني بهذا النوع من التآليف، ولعل من أبرز هذه المعاجم ما يأتي:

١. مفردات الراغب الأصفهاني (٥٠٣هـ).

٢. عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٧٥٦هـ).

٣. بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٨١٧هـ).

٤. معجم ألفاظ القرآن، مجمع اللغة العربية بمصر ١٩٧٠.

ولأهمية الكتاب الأول نذكر أبرز مزاياه:

١. ترتيب المعجم على المادة اللغوية والربط بين الكلمات في جذرها اللغوي مع بيان العلاقة بينهما.

٢. تتبع المعاني المجازية بعد ذكر المعاني الأصلية.

٣. تحري المعاني الصحيحة للكلمة مما يوهم بغير ذلك.

٤. اختيار المناسب من الكلمة ذات المعنيين (الأضداد).

والأصفهاني يقدم التعريفات الجامعة والقواعد الكلية، والأكثرية في استخدام القرآن للمفردات[٢].

وقد أعد بعض الباحثين المحدثين دراسة مستفيضة عن معاجم مفردات القرآن

---

[١] المرجع نفسه. ص١٧

[٢] أحمد فرحات. *معاجم مفردات القرآن*. ص١٠-١٦.

وتقدم في آخرها باقتراح يتضمن تأليف ثلاثة معاجم لمستويات مختلفة: ابتدائي ومتوسط في حجم لا يتجاوز المجلد الواحد، ومتقدم للعلماء والمتخصصين، وينبغي أن تعد هذه المعاجم على نظامين: الترتيب المعجمي، وترتيب السور والآيات[1].

وهكذا يمكن الإفادة من معاجم مفردات القرآن الكريم وكتب التفسير الحديثة في إعداد مادة التفسير بشرح المفردات الصعبة، وذكر المعنى الإجمالي العام، وتجاوز الإسرائيليات والآراء المذهبية ومصطلحات العلوم معتمدين على القرآن والسنة والمأثور من أقوال الصحابة.

المبحث الآخر: تحرير مادة التفسير وصياغتها

يندرج تحت تحرير النص وصياغته ثلاثة أمور:

١. جودة الصياغة ودقتها

ويكون ذلك بحسن اختيار الألفاظ والمفردات في شرح الكلمات الصعبة غير المفهومة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لتحقيق المعنى المراد من الآية وإيصاله لفهم الطالب المبتدئ ذي الذخيرة المحدودة من المفردات العربية، مع حسن اختيار للتراكيب السهلة وبناء الجمل القصيرة القريبة المأخذ السريعة التناول للمتعلم الجديد.

إن كتب التفسير القديمة الموجزة حققت الهدف من تأليفها بتقديم مادة علمية نافعة لغير المتخصصين، لإدراك معاني القرآن وفهمه دون الدخول في تفاصيل العقيدة والأحكام الشرعية وقصص الأنبياء مع أقوامهم.

ولعل من أبرز كتب التفسير المختصرة تفسير الجلالين المحلي والسيوطي، ولغة تفسيرهما وإن كانت مفهومة مقبولة، لكنها لا تخلو من بعض الصعوبات كوجود الغموض في بعض ما يرد، وفي تجاوز معاني بعض المفردات المعروفة عندهم.

---

[1] المرجع نفسه. ص٦٦-٦٧.

ففي تفسير سورة الفيل[١] نجد تفسيره لقوله تعالى كعصف مأكول: "كورق من زرع أكلته الدواب وداسته وأفنته" ولا شك أن الكلمة الأولى (أكلته) أقرب للمعنى لكلمة مأكول، ولكن كلمتي: داسته وأفنته أصعب من الكلمة الأولى.

أما الكلمات غير المفسرة أو المبينة معناها لعدم الحاجة لذلك فمن الأمثلة عليه: كلمة يحض، ويراؤون من سورة الماعون، وكلمة انحر من سورة الكوثر حيث يقول بالنسبة للكلمة الأولى "ولا يحض: نفسه ولا غيره، ويقول في بيان معنى الكلمة الثانية يراؤون: في الصلاة وغيرها[٢]، ومعنى الكلمة الثالثة انحر: نسكك[٣]، لكننا نجد التفسير للكلمات قريباً عند المراغي حيث يقول في معنى يحض: ولا يحث غيره، وفي معنى يراؤون: يفعلون أفعالاً ظاهرة بقدر ما يرى الناس.[٤] لكن تفسير المراغي نفسه لايخلو من بعض الصعوبات كقوله في تفسير سورة المسد، وهو يصف حمالة الحطب: "وكانت عضده في مشاكسة رسول الله ﷺ وإيذائه.. وقيل أنها كانت تحمل حزم الشوك والحسك والسعدان... وقصارى أمرها في تكليف نفسها المشقة الفادحة للإفساد بين الناس.[٥]

وقد نجد مثل هذه الصعوبة في التفاسير الحديثة نفسها، ففي تفسير سورة الفيل في "المنتخب في تفسير القرآن الكريم" يقول في معنى "كعصف مأكول": "ولم يبق منهم غير أثر كأنه غلاف بر ذهب لبه"[٦]، ولعل تفسير الجلالين القديم أقرب للفهم من تفسير المنتخب الحديث، فالعصف المأكول كالورق الذي أكلته الدواب أقرب من صورة حبة القمح الفارغة.

---

[١] تفسير الجلالين. ص٨٢٢

[٢] المرجع نفسه. ص٨٢٣

[٣] المرجع نفسه. ص٨٢٤

[٤] المراغي. *تفسير المراغي*. ص ٥٠٠. وتجاوز التفسير الواضح معنى كلمة يراؤون ج٣ ص٩٠٨.

[٥] المرجع نفسه. ص٥١٣.

[٦] *المنتخب في تفسير القرآن الكريم*. ص ٩٢٨

وفي تفسير ابن كثير لسورة الكوثر، وهو من التفاسير المتوسطة -إن لم تكن مختصرة- نجد بعض المفردات الصعبة في بيان معنى الكوثر حيث يقول عنه: نهر في الجنة... آنيته عدد النجوم.. فيختلج العبد منهم، حافتاه قباب اللؤلؤ، وتربته مسك أذفر، وحصباؤه اللؤلؤ. ويقول: نهر عليه قصر من اللؤلؤ والزبرجد... شاطئاه عليه درٌّ مجوف... مستمراً على دوام الآباد [١]، ومثل هذه الصعوبة في تفسير سورة الفلق، عند ذكره لحديث سحر الرسول ﷺ المتضمن كلمات صعبة كثيرة.

٢. ضبط الكلمات بالشكل وتقييدها بالحركات

لضبط الكلمات بالشكل اللازم -بما يدفع الغموض واللبس- أهمية كبيرة تصل إلى الضرورة وخاصة في آخر الكلمة، وما تحتاج إليه في وسط الكلمة وأولها، وإثبات الشدة على الحرف المضعّف، والتنوين في حالة النصب، وهمزة القطع على الألف في حالة الضم والفتح، وتحت الألف في حالة الكسر. وقد شبّه بعض الباحثين الحركات على الحروف بالنور الذي يضئ الكلمة[٢]، بل تصل الحاجة إلى هذه الحركات كحاجتنا إلى إشارات المرور في الطريق، ولا جرم فإن ضلالنا في ضبط الكلمات يفضي إلى ضلال في المعنى ثم ضلال في الدين. والقصة مأثورة عن سيدنا عمر ﷺ حين رأى قوماً لا يحسنون الرمي فقالوا: نحن قوم متعلمين؟! فقال سيدنا عمر: لخطؤكم في العربية أشد عليّ من خطئكم في الرمي.

ومن الأمور التي تحتاج للضبط -أكثر من غيرها- الآيات القرآنية، وقد تيسر أمر كتابتها مع الوسائل العلمية الحديثة وهو الحاسوب الذي يهيأ لنا عملية نسخ الآية القرآنية بسهولة ودقة متناهية، وما عاد لأحد عذر في عدم كتابتها بالخط

---

[١] ابن كثير. تفسره. ج٢ ص٦٨٣.

[٢] هو الأستاذ الدكتور خليل عساكر في بحث قدمه لمؤتمر عقد بمكة المكرمة سنة ١٩٧٦. ويرى الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني في تجاوز إثبات الحركات على الحروف تجاوزاً لشطر العربية. وهي خسارة فادحة وكبيرة!!

العثماني. ولا يخفى على أحد ضرورة الاعتماد على هذه الوسيلة لأنها تحلّ مشكلة حدوث الخطأ في كتابة الآية القرآنية فضلاً عن جماليتها بالرسم العثماني.

٣. وسائل الإيضاح وعلامات الترقيم

تعنى مناهج التربية باستخدام الوسائل التعليمية لتشخيص المعلومة وتثبيتها في الأذهان، ولم تزل هذه الوسائل تتطور مع تقدم وسائل التكنلوجيا في العصر الحديث، وما وسائل العرض الحديثة في الأفلام والرقائق الشفافة (slides) إلا مايؤيد هذا التوجه العلمي الناضج لتحقيق الأهداف التعليمية، ولكن مواكبة المختصين بالعلوم الشرعية واستخدامهم لهذه الوسائل أقل من المختصين في الأقسام العلمية.

وإذا استحضرنا نحن -المختصين بالعلوم الإسلامية- موقف المعلم الأول الرسول ﷺ وهو يوضح للصحابة ﷺ معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فيقول كما يروي ابن مسعود ﷺ أنه خط خطاً بيده ثم قال: "هذا سبيل الله مستقيماً"، وخط عن يمينه وشماله ثم قال: "هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه"[١].

إذا كنا نستحضر موقف قدوتنا وهو يقدم وسيلة إيضاحية بالرسم فلابد أن ندرك أهمية ذلك وخطورته ونحرص على تطبيقه وتحقيقه.

ووسائل الايضاح أنواع وأصناف من الدوائر والجداول (الخانات الأفقية) إلى التقسيمات والتفريعات في تصميم المادة وبنائها، إلى الصور والرسوم والمجسمات المعبرة عن المعاني النظرية المجردة[٢].

وفي مادة التفسير قدّم الشيخ العالم عبد الرحمن حسن حبنكة رعاه الله في قواعد تدبره الأمثل لكتاب الله عز وجل أربعين قاعدة نفيسة تعين على فهم آيات

---

[١] الصابوني. *مختصر تفسير ابن كثير*. ج١. ص٦٣٣.

[٢] راجع: رياض زكي قاسم. تقنيات التعبير العربي ص ٢٠٢، ٢٠٣. وراجع الملحق رقم(٢) من تقنيات التعبير العربي ص٢٢٠.

الله وتدبرها، ويمكن الإفادة من بعضها بما يناسب مدارك المتعلمين وأفهامهم. وأودع مع بعضها وسائل توضيحية نموذجاً لمضمون بعض السور من القرآن الكريم في هيئة مخطط (شجرة عناصر موضوع سورة الرعد تفصيلاً)[١]، ويمكن أن يقاس على هذا المخطط لتقديم نماذج أخرى لسور القرآن.

وقدّم جداول للسور المكية بحسب النزول، مع ذكر الآيات المدنية فيها إن وجدت، والعكس للسور المدنية بحسب النزول والآيات المكية فيها إن وجدت[٢]. وكذلك قدّم رسماً تقريبياً لمراتب التقوى والبر والاحسان، ودرجات المتقين والأبرار والمحسنين[٣].

والنماذج الثلاثة -المخطط والجداول والرسم- مما تعين على فهم الآيات وتفسيرها، والطالب المسلم غير العربي أحوج إلى إعداد الكتاب المتضمن لهذه الوسائل من غيره.

أما استخدام علامات الترقيم في الكتابة فله أهمية كبيرة لأنها رموز اصطلاحية توضع في النص وفق قواعد علمية لتساعد القارئ والسامع على فهم النص، وهي علامات تساعد في توضيح مضمون النص، وتنقل انفعلات المتكلم شفهياً، والكاتب للقارئ تحريرياً؛ وما رموز ضبط القرآن وعلاماته إلا وسائل دالة على الوقف والترقيق والتفخيم وغيرها من قواعد التجويد وأصولها[٤].

وقد توسع في استخدام علامات الترقيم في العصر الحديث وصارت ضرورية في الكتابة، لكنها أكثر ضرورة في الكتابة للمبتدئين والمتعلمين من غير العرب. وهكذا لابد من استخدام العلامات الضرورية كالنقطة والفاصلة والفاصلة المنقوطة،

---

[١] راجع: الميداني، عبد الرحمن حبنكة. *التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل*. ص٣٩. وراجع الملحق رقم (٣).

[٢] المرجع نفسه. ص ١٧٨-١٨٤. وراجع الملحق رقم(٤)

[٣] المرجع نفسه. ص٤٤٩. وراجع الملحق رقم (٥).

[٤] راجع تقنيات التعبير العربي ص١٦٣.

والشرطة والشرطة المائلة، والنقطتان ونقاط الحذف، وعلامة الاستفهام والتعجب وأنواع الأقواس المختلفة، والرموز الأخرى في إعداد الكتاب الدراسي.

وقد تنبهت بعض المؤسسات العلمية إلى أهمية إعداد الكتاب العلمي وصياغته وفق منهج يناسب الطالب غير العربي، وذلك خلال كتب قامت بإعدادها الخاص مع تأليفها، ويمكن أن نستخلص منهج مؤسسة البيان في نشر كتبها في:

١. التوسط في حجم الكتاب ليتناسب مع الفصل الدراسي الواحد، والاختصار في التعريفات وقصرها، مع وضوحها ودقتها.
٢. ترتيب الموضوعات متسلسلة مع فهم الطالب، وعرض المادة العلمية بأسلوب سهل.
٣. ضبط الكلمات بالتشكيل، واستخدام الوسائل التوضيحية الممكنة مع الاستعانة بالأرقام[١].

الخاتمة: الخلاصة والنتائج

ونخلص مما سبق إلى ضرورة مراعاة بعض الضوابط المنهجية في إعداد مادة التفسير للمراحل الأولية للطلبة المسلمين من غير العرب وهي:

١. تصنيف سور القرآن الكريم متدرجين من الأجزاء الأخيرة (قصار السور) إلى غيرها من السور المتوسطة والطويلة بمراعاة المستوى الدراسي.
٢. تقسيم السور غير القصيرة إلى وحدات موضوعية في مجموعة آيات متتابعة لتفسيرها بشكل متكامل.
٣. ذكر مقاصد السور الطويلة المتعددة في مقدمتها قبل تفسيرها، مع ذكر هدف السورة القصيرة الواحدة، ويرد ضمن ذلك سبب النزول والمناسبة بين الآيات.

---

[١] راجع *مقدمة المنهاج الحديث في علوم الحديث*. ص ٩-١٠

٤. ذكر معاني المفردات وتوضيحها بمفردات تتناسب مع معرفة الطلبة ومستواهم اللغوي.

٥. شرح الآيات بإيجاز وإجمال بما يوضح المراد منها، مع ذكر المستفاد من الآيات القرآنية بإيجاز، في العقيدة والأحكام والتوجيه والإرشاد.

٦. مراعاة أصول تحرير النصوص وصياغتها في إعداد مادة الكتب العلمية من حسن اختيار للألفاظ والمفردات، والحرص على ضبط الكلمات بالشكل اللازم، واستخدام علامات الترقيم المهمة، مع إعداد وسائل الإيضاح المساعدة على فهم الطالب.

والحمد لله رب العالمين

ملحق رقم (١)

من أبرز كتب التفسير القديمة ما يأتي:

١. تفسير: ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ).

٢. أحكام القرآن: أبو بكر الجصاص (ت٣٧٠هـ)، وفي هذا الباب:

أ. أحكام القرآن: ابن العربي الأندلسي (ت٥٤٣هـ).

ب. أحكام القرآن: الهراسي الشافعي (ت٥٧٠هـ)، وأوسعها:

ج. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (ت٦٧١هـ)

٣. تفسير: أبو الليث السمرقندي (ت٣٧٥هـ).

٤. الكشف والبيان: الثعلبي (ت٤٢٧هـ).

٥. الفوائد ودرر القلائد: الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ).

٦. معالم التنزيل: البغوي (ت٥١٠هـ).

٧. الكشاف عن حقائق التنزيل: الزمخشري (ت٥٣٨هـ).

٨. مجمع البيان: الطبرسي (ت٥٣٨هـ).

٩. المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي (ت٥٤٨هـ).
١٠. مفاتيح الغيب: الرازي (ت٦٠٦هـ).
١١. عرائس البيان: الشيرازي (ت٦٠٦هـ).
١٢. أنوار التنزيل: البيضاوي (ت٦٩١هـ).
١٣. مدارك التنزيل: النسفي (ت٧٠١هـ).
١٤. الإكسير في علم التفسير: سليمان عبد القوي الطوفي(ت٧١٦هـ).
١٥. لباب التأويل: الخازن (ت٧٤١هـ).
١٦. البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ).
١٧. تفسير ابن كثير (ت٧٧٤هـ).
١٨. التحرير والتحبير: ابن النقيب.
١٩. تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي (ت٨٦٤هـ)، وأكمله جلال الدين السيوطي (٩١١هـ).
٢٠. الجواهر الحسان: الثعالبي (ت٨٧٦هـ).
٢١. اللباب في علم الكتاب: عمر الدمشقي (٨٨٠هـ).
٢٢. غرائب القرآن: النيسابوري (ترأس المئة التاسعة للهجرة).
٢٣. الدر المنثور: السيوطي (ت٩١١هـ).
٢٤. إرشاد العقل السليم: أبي السعود (ت٩٧٣هـ).
٢٥. السراج المنير: الخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ).
٢٦. فتح القدير: الشوكاني (ت١٢٥٥هـ).

وهناك طائفة كبيرة من المؤلفات في معاني القرآن وشرح غريبها والأشباه والنظائر والمجاز يصل عددها إلى الستين[1] أذكر أبرز المؤلفين من القرون الأولى:

أ. من القرن الثاني: واصل بن عطاء ومقاتل بن سليمان، والرؤاسي، ويونس

---

[1] راجع *معاجم مفردات القرآن*. ص٣-٨.

ابن حبيب، والكسائي، والسدوسي.

ب. من القرن الثالث: اليزيدي، والنضر بن شمر، وقطرب، والفراء، وأبي عبيدة، والأخفش الأوسط، والحكيم الترمذي والأصمعي، والقاسم بن سلام، وابن سلام الجمحي، وابن قتيبة، والمبرد، وثعلب وابن كيسان.

ج. من القرن الرابع: الطبري المفسر، وسلمة بن عاصم، واليزيدي والزجاج، والأخفش الصغير، وابن الخياط، ونفطويه، وابن الأنباري وابن الجراح، والنحاس، وابن درستويه، وأبو علي الفارسي.

د. من القرن الخامس: الهروي، والمرزوقي، ومكي بن أبي طالب وابن مطرف الكناني.

وأبرز كتاب في هذا المجال مفردات الراغب الأصفهاني (ت٥٠٣هـ).

ملحق رقم (٢)

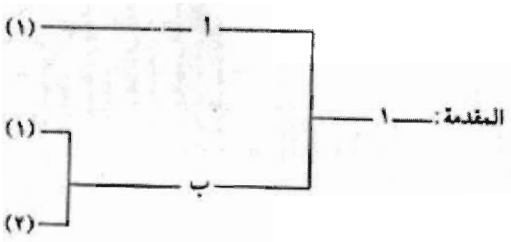
المقدمة:
١
أ
(١)
ب
(١)
(٢)

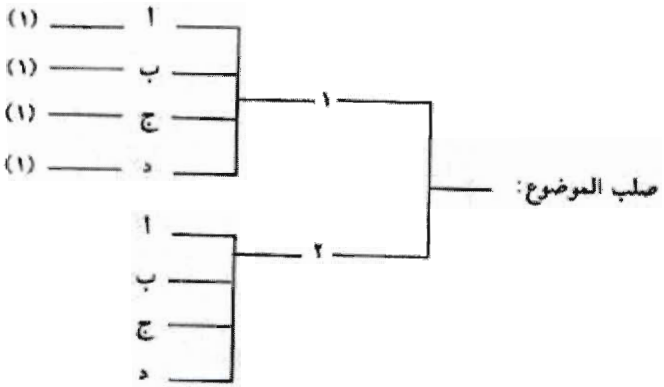
صلب الموضوع:
١
أ
(١)
ب
(١)
ج
(١)
د
(١)
٢
أ
ب
ج
د

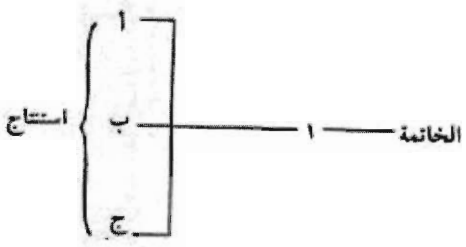
الخاتمة
١
استنتاج
أ
ب
ج

ملحق رقم (٣)

مخطط
شجرة عناصر موضوع سورة الرعد تفصيلاً

القرآن وجميع ما أنزل على محمد ﷺ حق
وهذا يستلزم الكلام حول العناصر التالية

(١) رسالة الحق

الأسس الكبرى لهذا الحق

(١) الإيمان بالله

قضية الإيمان بالله هي الأساس الأول والأعظم .

فالحكمة البالغة تقتضي وإقامة الأدلة على هذه القضية الكبرى .

وهذا ما تراه جملة آيات في السورة .

(٢) الإيمان باليوم الآخر

قضية الإيمان باليوم الآخر هي قضية الإيمان بالجزاء على الأعمال في الحياة الدنيا .

ورأى المشركون البعث فالحكمة البالغة تقتضي إثباته .

لذلك جاء في السورة ما يلي :

١ ـ إقامة الأدلة على البعث .

٢ ـ مناقشة منكري البعث وعرض أقوالهم حول هذه القضية مع دحضها بالحجة :

(١) إنكار البعث بصيغة التعجب منه فقط .

فحالت معالجة هذا القول بما يلي :

١ ـ بإقامة الدليل على قدرة الله العامة .

٢ ـ ببيان التسوية بين بدء الخلق وإعادته .

٣ ـ بإثبات إحاطة علم الله بكل صغيرة وكبيرة .

٤ ـ بالتلويح بتهديد المنكرين وبيان أنهم لا تخفى على الله منهم خافية .

(٢) مطالبة الرسول بأن يأتي بالمعجزات حسب تشهياتهم .

فحالت معالجة هذه المطالبة بما يلي :

بيان أن المعجزات التي سبق أن أجراها الله على يد رسوله محمد ﷺ كافية وساوية لما طلبوا ، ولا يخرق الله سننه الثابتة لمجرد تشهي المعاندين

(٣) استعجالهم العذاب على سبيل التحدي .

فحالت معالجة هذا الاستعجال بما يلي :

ببيان أن العذاب سيقع فهو من علم الله أن الحكمة تستدعي ذلك ولكن الحكمة الأبدية تقتضي الإمهال .

(٢) رسالة الصدق

ولقد أنكر الكافرون رسالة محمد ﷺ فاقتضى البيان ما يلي :

أن نعرض طائفة من أقوال المكذبين ومعالجتها

الاستهزاء بالله لاتخاذه محمداً بأن يكون له زوجات وبنو صلباً ونرية .

مجاراة لغرة أن جميع الأنبياء والرسل كذلك .

مخصائص البشرية لا تتنافى مع النبوة ولا الرسالة .

الإنكار بلا دليل

فحالت المعالجة بحسم النزاع وذلك بإعلان :

أنه لكفى الرسول شهادة الله له ، وشهادة من آمن به من علماء أهل الكتاب .

وتقتضي البيان تربية الرسول حول ما يحتمل أن تشد تجاه مشكلات الدعوة وتشمل التربية المؤمنين أيضاً .

(٣) مرسل إليهم

مؤمنون — كافرون

وقد جاء في السورة حول المرسل إليهم بيان العناصر التالية :

١ ـ المكذبون يستكثرون من دعوة الحق ومعها الأدلة القاطعة .

٢ ـ المكذبون يلجؤون إلى شركائهم ويستمكنون بخلقه باطلة .

٣ ـ الصراع يقوم بين المؤمنين والكافرين ، أي : بين الحق والباطل ، وبين أنصار الحق وأنصار الباطل .

فحالت المعالجة بما يلي :

١ ـ بالمقارنة بين الإيمان بالله الحق وبين الإيمان بشركاء المشركين ، وبتجاهاتهم وأعمالهم الفاسدة .

٢ ـ بضرب الأمثال لحال المؤمنين وحال الكافرين ، وحال الصراع بينهما .

٣ ـ ببيان عاقبة كلٍّ من المؤمنين والكافرين .

٤ ـ بعرض واقع حال المشركين وحال المؤمنين في عقائدهم وأخلاقهم وكفارهم في الحياة .

٥ ـ بالإشارة إلى بشائر النصر للمؤمنين ومقدمات الخذلان للكافرين .

٦ ـ بوصف عاقبة الكافرين ووصف عاقبة المؤمنين .

ملحق رقم (٤)

جدول المكي والمدني لسور القرآن المجيد

وأثبت في هذا الجدول ما أثبته علماء القراءات في المصاحف المعتمدة من شيخ المقارىء المصرية الشيخ محمد علي خلف الحسيني ؛ معتمداً فيما أثبته على أمهات كتب القراءات والتفسير على خلاف يسير في بعض ذلك:

السور المكية ونزيلها حسب النزول

رقم السورة بحسب النزول	اسم السورة	الآيات المدنية من السورة إن وجدت	ترتيبها في المصحف
١	العلق	مكّية كلها، وهي أوّل ما نزل من القرآن في أقوى الروايات	٩٦
٢	القلم	مكّية إلاّ الآيات من آية (١٧) إلى غاية آية (٣٣) ومن آية (٤٨) إلى غاية آية (٥٠) منها فمدنية	٦٨
٣	المزمل	مكية إلاّ الآيات (١٠) و(١١) و(٢٠) منها فمدنية	٧٣
٤	المدثر	مكية كلها	٧٤
٥	الفاتحة	مكية كلها	١
٦	المسد	مكية كلها	١١١
٧	التكوير	مكية كلها	٨١
٨	الأعلى	مكية كلها	٨٧
٩	الليل	مكية كلّها	٩٢
١٠	الفجر	مكية كلّها	٨٩
١١	الضحى	مكية كلّها	٩٣
١٢	الشرح	مكية كلّها	٩٤
١٣	العصر	مكية كلّها	١٠٣
١٤	العاديات	مكية كلّها	١٠٠
١٥	الكوثر	مكية كلّها	١٠٨
١٦	التكاثر	مكية كلّها	١٠٢

ملحق رقم (٥)

رسم تقريبي توضيحي لمراتب التقوى والبرّ والإحسان ودرجات المتقين والأبرار والمحسنين

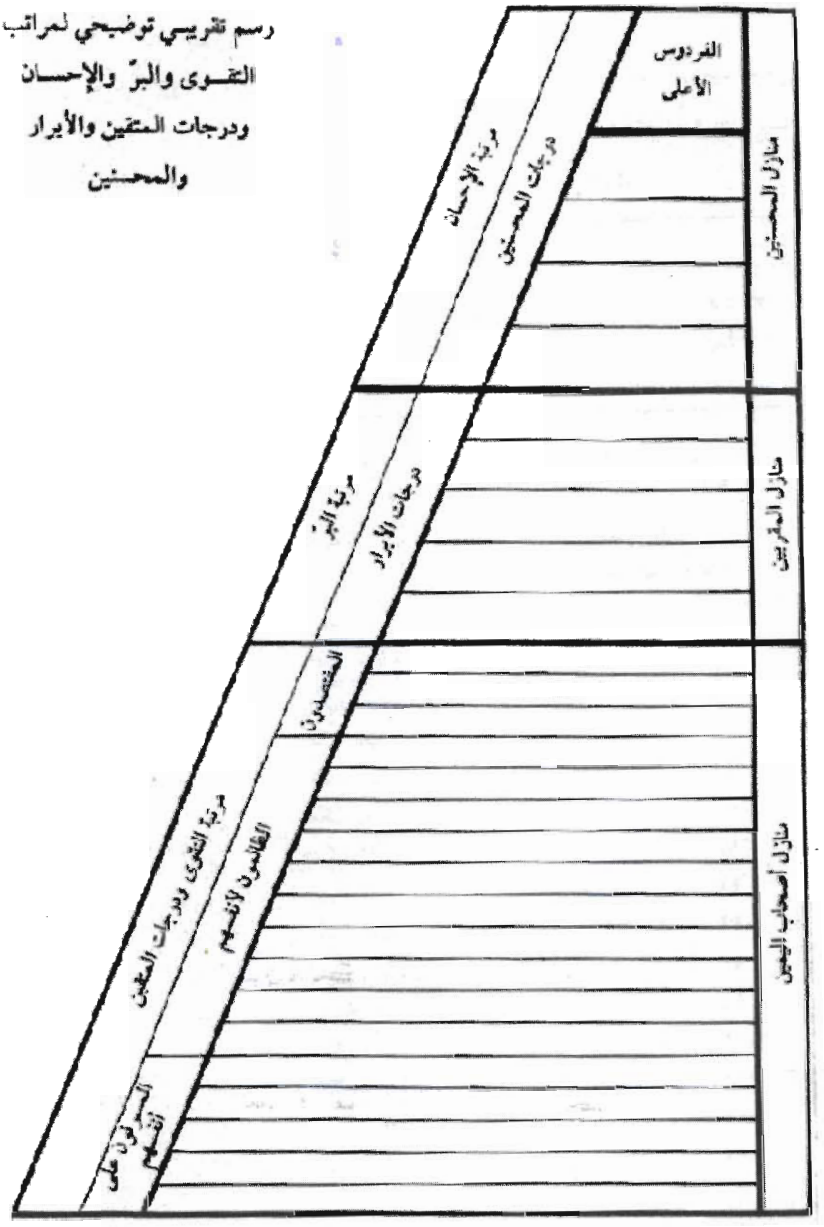

مصادر ومراجع البحث

ابن عاشور، محمد الطاهر. ٢٠٠٢م، *أليس الصبح بقريب*، قراءة وتقديم محمد الطاهر الميساوي، ماليزيا: دار التجديد.

أحمد حسن فرحات. ٢٠٠٠م، *معاجم مفردات القرآن*، بحث قدم لندوة عناية المملكة السعودية بالقرآن الكريم وعلومه.

أحمد حسن فرحات. ٢٠٠٣م، *نحو منهجية موحدة لتفسير القرآن*، بحث قدم في مؤتمر وحدة الأمة الإسلامية في القرن الواحد والعشرين.

تفسير الجلالين. ١٩٩٦م، القاهرة:ط دار الحديث.

الحارثي، عبد الوهاب أبو حنيفة. ١٩٨٩م، *دلالة السياق*، منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، ط١ عمان.

حجازي، محمد محمود. ١٩٩٣م، *التفسير الواضح*، بيروت: دار الجيل ط١٠.

رياض زكي قاسم. ٢٠٠٢م، *تقنيات التعبير العربي*، بيروت: دار المعرفة ط٢.

الزرقاني، عبد العظيم. *مناهل العرفان*.

الزركشي، بدر الدين. ١٩٨٨م، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت: دار الجيل.

السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ). ١٣٧٠هـ، *الإتقان في علوم القرآن*، القاهرة: مصطفى الحلبي ط٣.

الصابوني، محمد علي. ١٩٨٦م، *مختصر تفسير ابن كثير*،، بيروت: طدار القلم.

الصابوني، محمد علي. د ت، *صفوة التفاسير*، القاهرة: دار الصابوني ط٩.

الصويّغ، عبد المحسن عبد العزيز. ٢٠٠٢م، *المناهج الشرعية في الجامعات الإسلامية*، ماليزيا: طدار التجديد.

طبارة، عفيف عبد الرحمن. ١٩٨٦م، *روح القرآن الكريم*،، بيروت: طدار العلم للملايين.

الطوفي، سليمان عبد القوي ت ٧١٦هـ. ١٩٧٧م، *الإكسير في علم التفسير*، تحقيق د. عبد القادر حسين، مصر: مكتبة الآداب.

عبد الحليم عويس وعلي عبد المحسن جبر. ١٩٩٣م، *تفسير القرآن للناشئين*،، القاهرة: دار الصحوة للنشر.

لجنة من العلماء. ١٩٧٥م، *المنتخب في تفسير القرآن الكريم*: طالقاهرة: المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية.

المراغي، أحمد مصطفى. ١٩٩٨م، *تفسير المراغي*، لبنان: دار الكتب العلمية.

مصطفى مسلم. ١٩٨٩م، *مباحث في التفسير الموضوعي*، دمشق: طدار القلم.

الميداني، عبد الرحمن حبنكة. ١٩٨٩م، *التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل*، دمشق: دار القلم.

معالم القرآن والسنة
مجلة محكمة
السنة الأولى • العدد الأول • ٢٠٠٥

أمة السلام علي الشامي*

تطبيقات بلاغية في سورة البقرة

المقدمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على خير من نطق بالضاد، النبي العربي القرشي، جد الصبيحين وابن الذبيحين، خاتم الرسل، الهادي إلى الحق محمد بن عبد الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وبعد:

إن آيات القرآن الكريم مكونة من ألفاظ عربية، ألفها أرباب البلاغة والأدب، ومعانيه معروفة عند أولي العلم، تحدى الخالق عز وجل الأمم أن يأتوا بسورة من مثله؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ...﴾ (البقرة: ٢٣) ثم قال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ...﴾ (البقرة: ٢٤)، لقد عجز الجميع عن الإتيان بمثله، ولازالوا عاجزين وسيظلون.

إن البقرة من السور التي وردت في فضلها أحاديث كثيرة، جاء في الحديث النبوي الشريف "يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا، تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما"، وروى الحسن ابن أبي

* أستاذ اللغة العربية المساعد بجامعة حضرموت – كلية التربية للبنات.

الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أي القرآن أفضل؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «سورة البقرة». ثم قال «وأيها أفضل؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «آية الكرسي». كما روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش». وقد سماها صلى الله عليه وآله وسلم سنام القرآن، أخرج الطبراني وأبو حاتم وابن حيان في صحيحه، وابن مردويه عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إن لكل شيء سناما وإن سنام القرآن البقرة، وإن من قرأها في بيته ليلة لم يدخله الشيطان ثلاث ليال، ومن قرأها في بيته نهاراً لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام».[١] تعلمها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بفقهها وجميع ما تحتويه من العلوم في ثمانية أعوام، وفيها خمسمائة حكم، وخمسة عشر مثلا، ويقال أن آيات الرحمة والرجاء والعذاب تنتهي فيها معانيها إلى ثلاثمائة وستين معنى.[٢]

في هذه الوريقات ألقي نظرة على بعض أوجه البلاغة في هذه السورة الكريمة مسلطة الضوء على بعض موضوعات البيان والبديع راجية أن يكون في إسهامي بهذا البحث تقريباً لمعاني القرآن وبلاغته، ومشاركة في إعطاء أمثلة تطبيقية من القرآن الكريم في دروس البلاغة.

والله أسأل العفو والمغفرة، وعليه التكلان وهو المستعان في كل الأمور عاجله وآجله.

توطئة

الفصاحة هي الظهور والبيان، يقال: أفصح الصبح إذا ظهر، والكلام الفصيح ما كان واضح المعنى، سهل اللفظ جيد السبك، والبلاغة: تأدية المعنى بعبارة صحيحة

---

[١] سعيد حوى. *الأساس في التفسير*. د.م: دار السلام. ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م. ج١ ص٥٩.

[٢] انظر: أبو محمد بن غالب بن عطية الأندلسي. ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م. *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*.. المملكة المغربية: ط٢. ج١ ص٩٣.

فصيحة، لها في النفس أثر خلاب، مع ملائمة الكلام للموطن الذي يقال فيه.[١]

يقول إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني: لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، إن شرط البلاغة أن يكون المعنى الأول دليلاً على المعنى الثاني، ووسيطا بينك وبينه، متمكناً في دلالته، مستقلاً بوساطته، يَسْفُر أحسن سفارة، ويشير أبْيَن إشارة.[٢]

والأسلوب هو المعنى المصوغ في ألفاظ مؤلفة على صورة هي أقرب إلى نيل الغرض المقصود من الكلام، وأفعل في نفوس سامعيه. ويمتاز الأسلوب الأدبي بما فيه من خيال رائع، وتصوير دقيق، وتلمس لوجوه الشبه البعيدة بين الأشياء، وإلباس المعنوي ثوب المحسوس، وإظهار المحسوس في صورة المعنوي.[٣] وغالبا ما يدخل فيه المجاز، فما هو المجاز؟

المجاز: مَفْعَل، من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه أو عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة، أي جوز به موضعه الأصلي، بشرط أن يقع نقله على وجه يمكن معه ملاحظة الأصل.[٤] فالمجاز كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأول، أو كل كلمة جزت بها ما وضعت له إلى ما لم توضع له، نحو إطلاق اليد على النعمة.[٥] وهو ضربان:

١. مجاز من طريق اللغة؛ وهو الذي توصف به الكلمة المفردة، نحو: اليد في النعمة أو في البطش والقوة، والأسد في الإنسان، لأن المتكلم قد جاز باللفظة أصلها الذي وضعت له ابتداء في اللغة، وواقعها على غير ذلك، إما تشبيهاً، أو لصلة وملابسة بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه.

---

[١] الجارم وأمين. *البلاغة الواضحة*. ط٧. ص ٥، ٨.

[٢] عبد القاهر الجرجاني. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. *دلائل الإعجاز*. ص ١٨٦، ١٨٧.

[٣] الجارم وأمين. *البلاغة الواضحة*. ط٧. ص ١٢، ١٣.

[٤] الجرجاني، عبد القاهر. *أسرار البلاغة*. استانبول. ١٩٥٤م. ص ٣٦٥. بتصرف.

[٥] المرجع نفسه. ص٣٢٥-٣٢٦ بتصرف.

٢. مجاز من طريق المعقول دون اللغة، وهو الذي توصف به الجملة، ذلك أن الأوصاف اللاحقة للجمل، لا يصح ردها إلى اللغة، ولا وجه لنسبتها إلى واضعها، فإذا قلنا: خط أحسن مما وشاه الربيع، كنا قد ادعينا في ظاهر اللفظ أن للربيع فعلاً، وأنه شارك الحي القادر في صحة الفعل منه، وذلك تجوز من حيث المعقول لا من حيث اللغة.[١]

إن كل لفظ نقل عن موضعه فهو مجاز، وعلى اتساع اللفظ الذي يطلق ويراد به غير ظاهره، فإنه يدور على شيئين: الكناية والمجاز.

والكناية: هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه، فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه، نحو قولهم في طويل القامة: طويل النجاد، وفي المرأة المترفة المخدومة: نؤوم الضحى، وفي الشخص المضياف كثير الكرم: كثير رماد القدر. وقد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، وأن للاستعارة مزية وفضلا، وأن المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة. قد تجد الشيء وقع موقع المستعار ثم لا يكون مستعاراً، لأن التشبيه المقصود منوط به مع غيره، نحو قولهم: "أخذ القوس باريها"؛ فالقوس كناية عن الخلافة، والباري المستحق لها، ولا يجوز أن يقال: القوس مستعار للخلافة، والباري للخليفة؛ لأن الشبه مؤلف لحال الخلافة مع القائم بها من حال القوس مع باريها.

والشهرة في المجاز لشيئين: الاستعارة والتمثيل. ولا يكون التمثيل مجازاً إلا إذا جاء على حد الاستعارة، والاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه، وتجريه عليه، كأن تقول: زيد أسد، أو: زيد هو الأسد. أما التمثيل الذي يكون مجازاً لمجيئه على حد الاستعارة فكأن يقال للرجل الذي يتردد في الشيء بين فعله وتركه: مالي أراك

---

[١] المرجع السابق. ص ٣٧٦-٣٧٧ بتصرف.

تقدم رجلا وتؤخر أخرى.[١]

المجاز لا يكون في ذوات الكلم وأنفس الألفاظ، ولكن في أحكام أجريت عليها؛ فقوله تعالى ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ البقرة:الآية: ١٦، ليس المجاز في الآية في لفظة "ربحت" ولكن في إسنادها إلى التجارة.[٢] إن التشبيه والتمثيل والاستعارة جُلّ محاسن الكلام، كأنها أقطاب تدور عليها المعاني في تصرفاتها والتشبيه عام، والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً.[٣]

أما البديع فإن المستحسن منه ما جاء غير مخل بالمعنى، إذ لا نجد جناساً مقبولاً، ولا طباقا جيداً ولا سجعاً حسناً إلا كان المعنى هو الذي يطلبه ويستدعيه ويساق إليه.[٤] فالمحسنات البديعية إذا جاءت دون تكلف تلحظها في السياق تقرع ذهن السامع أو القارئ بطريقة عفوية تكسب الكلام رونقاً وجمالاً نادرين لهذا نرى النقاد يفاضلون بين بيت وآخر، ويفضلون قصيدة على أخرى، مثال ذلك قصيدة عمر بهاء الدين الأميري (أبوة) فإننا نلمس فيها مراعاة النظير ونجد الطباق والمقابلة تشكل لوحة فنية جميلة ترسم مجموعة من الأطفال يملأون الدار بالضجيج العذب، فهم يدرسون ويلعبون ويتباكون ويضحكون، يحزنون ويطربون يأكلون ويشربون، ينشدون ويتوعدون، يفرحون ويغضبون يهتفون ويتناجون يبتعدون ويقتربون، لقد صور ما يحسبه كثير من الناس مصدراً للضيق وعدم الراحة بطريقة تجعل القارئ يتلهف لرؤية هؤلاء الأطفال الذين هم سر الحياة وجمالها.[٥]

تناولت في هذه العجالة ما ورد في السورة من جناس، توافق فواصل -ويعبر عنه في البديع بالسجع- وهي محسنات لفظية، ثم تناولت من المحسنات المعنوية:

---

[١] الجرجاني. *دلائل الإعجاز*: ص ٥٢-٥٤. *وأسرار البلاغة*: ص ٢٢٨.

[٢] الجرجاني. *أسرار البلاغة*: ٢٠٤.

[٣] المرجع نفسه. ص ٢٦، ٨٤.

[٤] الجرجاني. *أسرار البلاغة*: ص ١٠ بتصرف.

[٥] أمين. بكري شيخ. *البلاغة العربية في ثوبها الجديد*. د.م. دار العلم للملايين. ١٩٨٧م. ص ٧٩.

الطباق والمقابلة.

أولاً: البيان

البيان في اللغة: الفصاحة واللسن؛ يقال: فلان أبْيَن من فلان أي أوضح وأفصح، وأبْيَن: أوضح في الدلالة على الشيء، واستبان؛ ظهر وعُرف، وفي الحديث الشريف "إن من البيان لسحراً".[١]

وفي الاصطلاح: علم يشمل، التشبيه - الاستعارة - الكناية - الحقيقة والمجاز اللغوي والعقلي.[٢]

التشبيه

هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى بأداة، وأركانه أربعة: مشبه، مشبه به، وجه الشبه، وأداة التشبيه.[٣] نحو، قوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) الآية: ١٧. أي مثل المنافقين، فالمشبه (هم) في مثلهم، والمشبه به، الذي استوقد ناراً، وأداة التشبيه الكاف، ووجه الشبه، عدم الاستفادة من الضياء والنور. وهذا من التشبيه التمثيلي الذي يكون وجه الشبه فيه منتزع من متعدد، ومنه قول بشار:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه

شُبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره بعد أن أضاءت ما حوله، فوقفوا متحيرين يتخبطون في الظلام، جزاء إعراضهم عن النور.[٤]

---

[١] الرازي. محمد بن أبي بكر. *مختار الصحاح*. ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م. مادة: ب-ي-ن.

[٢] الجارم وأمين. *البلاغة الواضحة*: ص ١٨، ٦٩، ٧٥، ١٢٣.

[٣] القزويني. الخطيب. *الإيضاح في علوم البلاغة*. ط٦. لبنان. ١٩٨٥م. ص ٣٢٨. الجارم وأمين. *البلاغة الواضحة*: ص ٢٠.

[٤] الزمخشري. أبو القاسم محمود. *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. بيروت: دار المعرفة. ص ١٩٥-٢٠٢.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنْ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنْ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ تشبيه تمثيلي آخر: شبه حالهم وما يدور في نفوسهم من اضطراب وقلق وخوف وحيرة بقوم أصابعهم في آذانهم من شدة الصواعق، وفيه تشبيه أشياء بأشياء، ووجه الشبه منتزع من متعدد[1]، ومنه قول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

صورة حسية حافلة بالحركة يرى فيها القارئ المطر هاطلاً غزيراً يصب من السماء يصحبه ظلام، يتخلل الظلام الصواعق القوية الشديدة التي تذهب بالأبصار، تقابلها صورة المنافقين في تيههم وقلقهم واضطرابهم، كلما جاءهم آيات الله بينات نكصوا على أعقابهم وعادوا إلى شياطينهم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ الآية: ٧٤ شبَّه قلوب اليهود بالحجارة وبما هو أشد قسوة من الحجارة؛ وصفت قلوبهم بالشدة والإعراض عن الهدى؛ فالمشبه قلوب اليهود والمشبه به الحجارة وما هو أشد قسوة من الحجارة، وأداة التشبيه الكاف.

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ الآية: ١٧١ فالكفار لا يسمعون من داعي الإيمان إلا نغمة الصوت، ولا يُعْملون أذهانهم أو يتفكرون في الآيات التي تقودهم إلى الحق وكأن عقولهم معطلة مثل البهائم. فالمشبه الكفار، وأداة الشبه الكاف ومثل، والمشبه به الذي ينعق بما لا يسمع.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ الآية: ٢٦١. أي مثل نفقة الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل باذرِ حبةٍ في أرض خصبة تخرج ساقا يتشعب منه سبع شعب في كل منها سنبلة. في الآية تشبيه صورة بصورة؛ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله

---

[1] الزمخشري. *الكشاف*: ص ٢٠٩-٢١٨.

(المشبه)، والمشبه به: حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، وأداة الشبه الكاف والاسم (مثل)، وهذا من التشبيه التمثيلي أيضا؛ تعرض الآية صورة حية للمتصدقين الذين ينفقون أموالهم ليلا ونهاراً ابتغاء مرضاة الله، بالحبة النامية الباذلة التي لا يخسر باذرها بل يكسب منها أضعافا مضاعفة.

قوله تعالى: ﴿... كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ الآية: ٢٦٤ فالمؤمن منهي عن التشبه بالكافر الذي ينفق ماله رياءً وسمعة، وفي الآية تشبيه صورة بصورة، ووجه الشبه منتزع من متعدد، والقرينة عدم الجدوى، وأداة التشبيه الكاف والمثل، والمشبه الكافر، والمشبه به حجر أملس لا يمسك الماء ولا ينبت الزرع؛ يقول سيد قطب في الظلال: "مشهد كامل مؤلف من منظرين متقابلين شكلاً ووضعا وثمرة، وفي كل منظر جزيئات، يتسق بعضها مع بعض من ناحية الرسم وفن العرض... نحن في المنظر الأول أمام قلب صلد: ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ فهو لا يستشعر نداوة الإيمان وبشاشته، ولكنه يغطي هذه الصلادة بغشاء من الرياء. هذا القلب المغشى بالرياء يمثله ﴿صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ حجر لا خصب فيه ولا ليونة، يغطيه تراب خفيف يحجب صلادته عن العين.. وذهب المطر الغزير بالتراب القليل، فانكشف الحجر بجدبه وقساوته، ولم ينبت زرعه، ولم يثمر ثمره..."[١]

ثم يأتي المشهد الثاني في الآية التي بعدها: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ الآية: ٢٦٥. المشبه: الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، أداة التشبيه: الحرف، والاسم (كمثل)، المشبه به: جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين، ووجه الشبه منتزع من متعدد وهو حصول الخير الكثير المضاعف، تشبيه تمثيلي كذلك

---

[١] سيد قطب. *في ظلال القرآن*. دار الشروق. ج١ص ٣٠٩،٣٠٨.

يعطينا لوحة فنية جميلة: "فقلب عامر بالإيمان، ندى ببشاشته. ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله... فالقلب المؤمن تمثله جنة. جنة خصبة عميقة التربة في مقابل حفنة التراب على الصفوان. جنة تقوم على ربوة في مقابل الحجر الذي تقوم عليه حفنة التراب... فإذا جاء الوابل لم يذهب بالتربة الخصبة هنا كما ذهب بغشاء التراب هناك، بل أحياها وأخصبها ونماها".[١]

في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ﴾ الآية: ٢٧٥. المشبه: الذين يأكلون الربا، أداة التشبيه: الكاف، المشبه به: الذي يتخبطه الشيطان من المس، وجه الشبه: الزيغ والضلال. والخبط: الضرب على غير استواء بل خبط عشواء. والمس: الجنون. يقول الزمخشري: "والمعنى: أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف... لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض ...".[٢]

ومن التشبيهات البليغة في السورة قوله تعالى: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ الآية: ٢٥ أي هذا الرزق مثل الذي رزقناه في الدنيا، فأداة التشبيه هنا محذوفة.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ الآية: ١٨٧.

شبه النهار بالخيط الأبيض، والليل بالخيط الأسود، وحذف أداة التشبيه، والمشبه وأتى بالمشبه به.

وقوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ شبه النساء بالأرض الخصبة التي تحرث فتأتي بالثمار.

المجاز اللغوي

من جاز المكان يجوزه إذا تعداه، وجاز الموضع: سلكه وسار فيه[٣]. وهو اللفظ

---

[١] قطب. *في ظلال القرآن*: ج١. ص٣٠٩.

[٢] الزمخشري. *الكشاف*. ج١. ص٣٩٩.

[٣] الرازي. *مختار الصحاح*. مادة: ج. و. ز.

المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي. قد تكون العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة وقد تكون غيرها، والقرينة قد تكون لفظية وقد تكون حالية[١].

ومن التعبيرات المجازية في السورة قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الْمَسْكَنَةُ﴾ الآية: ٦١. أي جعلت الذلة والمسكنة محيطة بهم ومشتملة عليهم، كما تشتمل القبة على الذين هم داخلها، وألصقت بهم كما يضرب الطين بالحائط[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ الآية: ٨١. أي استولت عليه كما يحيط السور بالأرض المسورة، كأن الخطيئة سور أحاط بالمذنب من جميع الجهات.

قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ الآية:٩٣. أي تداخلهم حب العجل والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبيغ، فيتشرب الثوب لون الصبغة التي وضعت فيه، ومكان الإشراب في الآية: قلوب اليهود.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ الآية: ١٤٣. أي لنعلم الثابت على الحق ممن هو على حرف، ينكص على عقبيه فيرتد عن دين الإسلام لقلقه وعدم ثباته[٣].

قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ الآية: ٢٢٣. أي مواضع حرثكم؛ يقول الزمخشري: ".. وهذا مجاز، شبههن بالمحارث.. ﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ تمثيل: أي فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها.. من الكنايات اللطيفة، والتحريضات المستحسنة..".[٤]

قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ الآية: ٢٥٠. تعبير

---

[١] الجارم وأمين. *البلاغة الواضحة*: ص ٧١.

[٢] الزمخشري. *الكشاف*: ج١. ص٢٨٥.

[٣] المرجع نفسه: ج١. ص٢٨٥.

[٤] المرجع نفسه: ج١. ص٣٦٢.

مجازي: أي هب لنا ما نثبت به في أثناء المعركة من قوة القلوب، وإلقاء الرعب في قلوب الأعداء كأن الصبر سائل -أو شيء مادي- يسكب أو يفرغ على الجنود في ساحة القتال، وثبات الأقدام؛ كناية عن عدم الفرار من العدو.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ﴾ الآية: ٢٧٥. شبه الذين يأكلون الربا بالشخص المجنون الذي لا يدري ماذا يفعل ولا كيف يتصرف؟ فيسير على غير هدى.

قد يضمر التشبيه فلا يصرح بشيء من أركانه، ويدل عليه ما يثبت للمشبه من أمر مختص بالمشبه به، دون أن يوجد أمر ثابت حساً أو عقلاً، فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنيا عنها[١].

الاستعارة

قد تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه فيسمى المشبه به مستعاراً له واللفظ مستعاراً.[٢]

الاستعارة من المجاز اللغوي، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، فعلاقتها المشابهة، ومن أقسامها:

١. **تصريحية**: ما صرح به بلفظ المشبه به. ومن أمثلتها:

١. في قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمْ اللَّهُ مَرَضًا﴾ الآية: ١٠. شبه سبحانه وتعالى النفاق الذي ملأ قلوبهم بالمرض الذي سيطر عليهم، وحذف المشبه (النفاق) وصرح بالمشبه به (المرض) على سبيل الاستعارة التصريحية[٣].

٢. كذا في الآية: ١٤ ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾. خلا فلان بفلان: انفرد

---

[١] القزويني. *الإيضاح في علوم البلاغة*: ص٤٤٤.

[٢] المرجع نفسه. ص٣٩٦.

[٣] أحمد مصطفى المراغي. *علوم البلاغة للمراغي*. بيروت: دار القلم. ص: ٥٢.

به، وخلا بمعنى مضى، ومنه القرون الخالية. شطن: بَعُدَ عن الخير والصلاح وتمرد على الحق[١]. شبه اليهود الذين كانوا يتآمرون على الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى المؤمنين، ويشجعون المنافقين على التمرد والعصيان بالشياطين، فحذف المشبه (اليهود) وصرح بالمشبه به (الشياطين) على سبيل الاستعارة التصريحية.

٣. وفي قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ الآية: ١٦. استعارة تصريحية، فقد أسند الربح إلى التجارة وإنما يكون الربح لأصحاب التجارة؛ وفي ذكر شراء الضلالة بالهدى مجاز، ثم كأن المبايعة قد وقعت على الحقيقة فوقعت الخسارة بنفي الربح والهداية، وهذا من المجاز المرشح الذي تساق فيه الكلمة على سبيل المجاز، ثم تلحق بكلمات فيها تأكيد للمعنى المراد[٢]. وفي الآية تأكيد للخسارة التي تلحق بهم ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

٤. قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ الآية: ١٨. صم: تصام عنه إذا لم يجبه، وضربه ضربة الأصم؛ أوجعه لأنه لا يسمع الأنين. والأبكم: الذي لا يستطيع الكلام، والأعمى: فاقد البصر[٣]. وفي الآية استعارة تصريحية؛ إذ شبه المنافقين بالصم البكم العمي، وحذف المشبه (المنافقين) وصرح بالمشبه به[٤].

٢. مكنية: ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه.[٥] ومن أمثلتها:

١. قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ الآية: ٥. الهدى: ضد الضلال،

---

[١] الزمخشري. *الكشاف*: ج١. ص١٨٤.

[٢] المرجع نفسه: ج١. ص١٩٠-١٩٣.

[٣] ابن منظور. ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م. *لسان العرب*. بيروت: دار صادر مادة: ص. م. م: ص٢٥٤.

[٤] الجارم، أمين. *البلاغة الواضحة*: ص٧٧. محيي الدين الدرويش. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. *إعراب القرآن وبيانه*. سوريا: دار ابن كثير.. ج١ ص٣٩، ٤٤.

[٥] الجارم، وأمين. *البلاغة الواضحة*: ص٧٧.

وفي لغة تميم؛ هديتها بمعنى دللتها، وفي لغة قيس: أهديتها جعلتها هدية. في قوله تعالى: "على هدى" استعارة مكنية، شبه المتقين بمن اعتلى صهوة جواد في هدايتهم، فحذف المشبه به "الجواد" وأتي بكلمة "على" للدلالة عليه.

٢. وقال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ الآية: ١٦. الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر، فكأن الهدى قد وضع في أيديهم -لتمكنهم منه- فتركوه واستبدلوا به الضلالة؛ وهي الجور في القصد، وفُقْد الاهتداء. والربح: الفضل -الزائد- على رأس المال. شبه الضلالة والهدى بالسلعة وحذف المشبه به وأتي بشيء من لوازمه وهو الشراء. أي اختاروا الضلالة وتركوا الهدى، ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى: استبدالها به، على سبيل الاستعارة المكنية. وكذا قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ الآية: ٩٠، شبه النفس بالسلعة ثم حذف المشبه به وجاء بما يدل عليه "اشتروا". وفي الآية:١٧٥ ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾.

٣. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ الآية: ٢٧. النقض: الفسخ وفك التركيب، والعهد -الموثق- شبه بالحبل ورمز له بشيء من لوازمه وهي النقض على سبيل الاستعارة المكنية.[١]

٤. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ الآية: ٤٩. يسومونكم: من سام السلعة إذا طلبها، أي يريدونكم على سوء العذاب، يقال: سامه خسفاً: إذا أولاه ظلماً، شُبهوا بالسلعة التي يتصرف بها البائع والمشتري، وحذف المشبه به وأتي بشيء من لوازمه، وهو سام على سبيل الاستعارة المكنية.

٥. قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ الآية: ٨٨. غلف: جمع أغلف، أي:

---

[١] الزمخشري. *الكشاف*: ج١ ص٢٦٨.

لا يعي ولا يفهم، فكأن القلوب مغشاة بأغطية؛ وقيل: جمع غلاف أي هي أوعية للعلم ليست بحاجة إلى علم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أي لا يتوصل إليها أو لا تفقه، مستعار من الأغلف الذي لم يختن.[١] شبه قلوبهم بالأوعية المقفلة، ثم حذف المشبه به (الأوعية) وأُتي بشيء من لوازمه وهو التغليف على سبيل الاستعارة المكنية.

٣. **تمثيلية:** هي تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي[٢]. ومن أمثلتها:

في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ الآية ٧. استعارة تمثيلية؛ إذ شبه الله عز وجل قلوبهم وأسماعهم بآنية مغطاة؛ خُتم على أغطيتها، فلا يمكن أن يدخل إلى جوفها شيء؛ فكأنها علب مختومة ملتحمة، إن قلوب الكفار وأسماعهم مقفلة لا يدخلها نور الهدى ولا ضياء الإيمان، كما أن أبصارهم لا ترى آيات الخالق عز وجل ومعجزاته المنتشرة في كل مكان، بل إن أبصارهم قد أحيطت بغشاوة فلا ترى غير الظلام. والخاتم: الطابع، ختم الإناء أو العلبة، لحمه حتى لا يستطيع النفوذ إليه أحد، وختم القرآن: أتمه وفرغ منه، وتختم بعمامته: تنقب بها حتى لا يراه أحد، وتختم بأمره كتمه.[٣] غشاوة: غطاء، استغشى بالثوب غطى نفسه به كي لا يرى شيئاً. إنها صورة جامدة مظلمة قاسية ترسم من خلال الختم على القلوب والأبصار والأسماع، والتغشية على العيون، فلا رجعة إلى الحق ولا عودة إلى الهداية[٤].

﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ﴾ الآية: ٩٣. شبه العجل بالثوب المصبوغ الذي تشربه اللون، وحذف المشبه به وهو الثوب الصبيغ، وأتى بشيء من لوازمه

---

[١] البغوي، *تفسير البغوي*. ج١. ص ٨٩-٩١. حسين بن أبي العز الهمداني (ت٦٤٣هـ). *الفريد في إعراب القرآن المجيد*. قطر - الدوحة. ١٩٩١م. ١،٣٢٥، ٣٣٣.

[٢] الجارم وأمين. *البلاغة الواضحة*: ص ٩٨.

[٣] الزمخشري: جار الله محمود بن عمر (ت٥٢٨هـ). *أساس البلاغة*. بيروت - لبنان: ١٩٩٦م. مادة ختم: ص١٠١.

[٤] سيد قطب. *في ظلال القرآن*: ج١. ص٤٢، ٤٦.

وهو التشرب؛ والمعنى تداخلهم حب العجل والحرص على عبادته كما يتداخل اللون الثوب والصبيغ، ويمكن أن نعدها من الاستعارة التمثيلية لأنها تشبيه حالة بحالة.

في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ الآية: ١٠١. النبذ: إلقاء الشيء باليد. استعار النبذ للأوامر التي تناسوها، وهي مثبتة عندهم في الكتاب، فكأن كتاب الله -في نظرهم- متاع يستغنى عنه، فحذف المشبه به وأتى بما يدل عليه وهو النبذ، فالاستعارة مكنية، ويمكن عدها تمثيلية، لأنها تشبه صورة بأخرى. والجامع عدم العناية، كما جعل عدم اتباعهم كتاب الله، كمن يعطي ظهره للمعرفة حتى لا يراها، مع سابق علمهم بصدق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكأنهم لا يعلمون.[١]

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ الآية: ٢٥٧. استعار الظلمات للكفر، والنور للإيمان؛ فالذي لا يؤمن بالله لا يرى الحق بل يتخبط في حياته مثل الذي يعيش في الظلام، والذي يؤمن بالله ويتبع أوامره يدرك ما يضره وما ينفعه فكأن نور الإيمان يهديه إلى الصراط المستقيم.

المجاز المرسل

هو كلمة استعملت في غير معناها الأصلي، لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. وتلك العلاقة إما أن تكون: سببية أو مسببة أو جزئية أو كلية أو حالية أو محلية أو اعتبار ما كان أو اعتبار ما سيكون.[٢]

---

[١] الزمخشري. *الكشاف*. ج١. ص٣٠٠.

[٢] الجارم وأمين. *البلاغة الواضحة*: ص١١٠.

في سورة البقرة أمثلة كثيرة عليه منها:

- قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ الآية: ٢. أي هذا الكتاب الكريم جعله الله مصيراً إلى التقوى، وعلاقته اعتبار ما سيؤول إليه المتقون.
- ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنْ الصَّوَاعِقِ﴾ الآية: ١٩. ذكر الأصابع، والمراد الأنامل، والإصبع الذي تسد به الأذن، هي في الغالب السبابة، فهو من باب ذكر العام دون الخاص، وعلاقة المجاز هنا: الكلية.
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ الآية: ٢٢. أي خلق الله الأرض للإنسان فهي بمنزلة عرصة المسكن ومفترش الساكن فيها، وجعل السماء كالقبة أو كالخيمة المضروبة على ذلك المسكن، فكلمة فراشاً وبناء، مجاز مرسل علاقته المحلية.
- ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ الآية: ٢٥. الجنة هي البستان المتكاثف الأشجار، وسميت دار الثواب جنة لما فيها من البساتين الناضرة الخلابة التي تجري المياه فيها، وإسناد الجري للأنهار –وهي أماكن مرور الماء– من الإسناد المجازي.[1] فجريان الأنهار في الآية: مجاز مرسل علاقته المحلية.
- ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ الآية: ٤٣. يجوز أن يكون أراد بالركوع الصلاة، والمعنى: وصلوا مع المصلين، فالركوع هنا جزء من الصلاة، فهو على هذا التفسير مجاز مرسل علاقته الجزئية.
- ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا﴾ الآية: ٥٨. ليس المقصود أن يأكلوا من القرية، ولكن المعنى: كلوا مما فيها، ففيها مجاز مرسل علاقته المحلية، لأن القرية محل للنبات والثمار وسائر المأكولات.
- ﴿وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ﴾ الآية: ٧٤. والتفجر التفتح بالسعة والكثرة، أي من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الغزير، والذي

---

[1] الزمخشري. *الكشاف*: ج١. ص٢٥٨.

يتفجر الماء وليس الأنهار، فتفجر الأنهار مجاز مرسل علاقته المحلية.

- ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ الآية: ٩١. قَتْلَهُم بعض الأنبياء، كأنه قتل للأنبياء عامة، فالآية فيها مجاز، علاقته الجزئية.
- ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ الآية:١١٢. أي من أخلص نفسه لله و لم يشرك به شيئاً، وأحسن في عمله، المجاز في إطلاق الوجه والمراد النفس كلها، فالعلاقة هنا جزئية.
- كذا في الآية: ١٤٤ ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ وقوله في الآية نفسها ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وفي الآية ١٤٩، ١٥٠: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾.
- ﴿إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ الآية: ١٤٣. أي لنعلم الثابت على الدين الصحيح ممن سينحرف عن الإسلام ويعود إلى الباطل، وعلاقة المجاز المرسل هنا هي المصير والمآل أو اعتبار ما سيكون.[١]
- ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ الأَسْبَابُ﴾ الآية: ١٦٦. أي عند ما رأوا العذاب تبرؤوا مما كان بينهم في الدنيا من الصلات، والمجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿تقطعت بهم الأسباب﴾، علاقته السببية، فإن السبب في الأصل الحبل الذي يُرتقى به إلى ما هو عال، ثم أطلق على كل ما يتوصل به إلى شيء.[٢]
- ﴿..وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ..﴾ الآية: ١٦٨. يقال اتبع خطواته إذا اقتدى به واستن بسنته، والخطوة ما بين قدمي الخاطي، والمراد اتباع ما

---

[١] الدرويش. *إعراب القرآن وبيانه*. ج١. ص٢٠٣.

[٢] المرجع نفسه: ج١. ص٢٣٤.

يسوله الشيطان لكم[١]، وإطلاق الخطوة هنا مجاز علاقته الجزئية.

- ﴿..أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ..﴾ الآية: ١٧٤. أي ملء بطونهم وإذا أكل ما يؤدي به إلى النار فكأنه أكل النار، فالمجاز المرسل هنا علاقته ما سيؤول إليه.
- يقول الله عز وجل في بيان مصارف الزكاة: ﴿..وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ..﴾ الآية: ١٧٧. أي وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم من الأسر، وقيل في ابتياع الرقاب وإعتاقها، وقيل في فك الأسارى[٢]. والمجاز هنا في إطلاق الرقاب والمراد بها النفس، وعلاقته الجزئية.
- ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ..﴾ الآية: ١٧٩. في الآية مجاز علاقته اعتبار ما سيكون، إذ في القصاص زجر للقاتل الذي يرتدع عن القتل خوفا على روحه من القصاص، فيؤدي ذلك إلى إنقاذ حياة شخصين.
- ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ..﴾ الآية: ١٩٥. يقال أهلك نفسه بيده إذا تسبب في هلاكها، والمقصود بأيديكم: أنفسكم، فالآية فيها مجاز علاقته الجزئية، لأن الأيدي جزء من جسم الإنسان.
- ﴿وَلاَ تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ..﴾ الآية: ١٩٦. أي لا تحلقوا حتى تعلموا أن الهدي الذي بعثتموه إلى الحرم قد بلغ مكانه الذي يجب أن ينحر فيه، والمقصود حلق شعر الرأس، فالمجاز في رؤوسكم وعلاقته المحلية.
- ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنْ الْغَمَامِ﴾ الآية: ٢١٠. المجاز المرسل في الآية علاقته السببية، لأن الغمام مبشرات بالأمطار التي تكون مظنة الرحمة أو العذاب، فمن المطر تنزل السيول الجارفة وتصحبها

---

[١] الزمخشري. *الكشاف*: ج١. ص٣٢٧.

[٢] المرجع السابق: ج١ ص٣٣١.

الصواعق المهلكة.[١]

- ﴿أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ الآية: ٢٢١. علاقة المجاز المرسل في الآية اعتبار ما سيكون، إذ المعنى: أولئك يدعون من يواليهم أو يصاهرهم إلى الكفر المؤدي إلى النار، والله عز وجل يدعو أولياؤه إلى العمل الصالح الذي سيجنون من عمله الجنة.
- ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ الآية: ٢٣١. أي قاربْنَ انقضاء عدتهن، أطلق اسم الكل على الأكثر مجازاً، لأنه بعد انقضاء عدتها لا يجوز له إمساكها.
- ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ الآية: ٢٣١. المجاز في ظلم نفسه، وعلاقته اعتبار ما سيكون، لأن من يمسك زوجته من أجل الإضرار بها فإن ذلك سيكون سببا في عقاب الله له، فقد كان بعض الرجال في الجاهلية يراجعون زوجاتهم قبل انقضاء عدتهن لكي يمنعوهن من الزواج بعدهم..
- ﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ الآية: ٢٣٢. في قوله تعالى "أزواجهن" مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان، لأنهم كانوا أزواجهن قبل انقضاء عدتهن، أما بعد انقضاء العدة فهم أجانب بالنسبة لهن.
- ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا..﴾ الآية: ٢٥٩. المراد موت سكان القرية لا موت القرية، فالمجاز المرسل علاقته المحلية، أطلق المحل وأراد الحال التي كان عليه.

الكناية

الكناية أن تتكلم بشيء وتريد به غيره؛ وهي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه كقولهم: كثير الرماد: للرجل الكريم كثير الضيوف، أو نؤوم الضحى،

---

[١] الدرويش. *إعراب القرآن وبيانه*: ج١ ص٣١٠.

للمرأة المرفهة المخدومة أي غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات لأن وقت الضحى وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش.[١]

يقول عز وجل في وصف المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ الآية: ١٠. المرض في الآية كناية عن الغل والحقد والحسد الذي ملأ قلوبهم، يقول الزمخشري: "وكلما زاد الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم نصرة وتبسطاً في البلاد، كلما ازدادوا حسداً وغلاً وبغضاً، وازدادت قلوبهم ضعفاً..".[٢]

ويقول عز من قائل: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ الآية:١٤. يرى بعض المفسرين أن المقصود بالشياطين في الآية اليهود، لأنهم ماثلوا الشياطين في تمردهم وعصيانهم، فتكون التسمية كناية عن الخبث والمكر والدهاء الذي اتسمت به يهود.

يقول عز وجل في وصف المشركين والكفار: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ الآية: ٩٦. كناية عن حرصهم على الدنيا ورغبتهم في طول أعمارهم.

﴿كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ الآية: ١٠١. كناية عن غفلتهم وعدم اعتنائهم بكتاب الله.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ الآية: ١٢٤. يحتمل أن تكون الكلمات كناية عن جميع التعاليم الربانية التي تلقاها إبراهيم عليه السلام عن ربه عز وجل. (ينظر في تفسير الكلمات)[٣].

قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ الآية: ١٣٨. أي تطهير الله للنفوس من الكفر والشرك وتشريفها بالإيمان والتزام الأوامر والنواهي؛ فتكون الصبغة كناية عن كل ما جاءت به الرسل لإصلاح حياة الناس على وجه الأرض.

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ الآية: ١٤٢. يحتمل أن تكون

---

[١] القزويني. *الإيضاح في علوم البلاغة*. ص٤٥٦.

[٢] الزمخشري. *الكشاف*. ج١. ص١٧٦-١٧٧.

[٣] المرجع نفسه. ج١. ص٣٠٩.

"السفهاء" كناية عن اليهود والمنافقين والمشركين؛ يقول الزمخشري في تفسيرها: أي الخفاف العقول، وهم اليهود لكراهتهم التوجه إلى الكعبة، وقيل: المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء، وقيل: المشركون؛ قالوا: رغب عن قبلة آبائه ثم عاد إليها، والله ليرجعن إلى دينهم..[١]

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ الآية: ١٤٥. كناية عن العناد والإصرار على اتباع الهوى؛ أي ولو جئتهم بكل برهان قاطع ودليل ساطع على صدقك، فلن يتبعوا قبلة المسلمين ولن يدخلوا في دينهم.

في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ...﴾ الآية: ١٨٧. خمس كنايات:

الأولى: الرفث: كناية عن الجماع.

الثانية: هن لباس لكم وأنتم لباس لهن: كناية عن الامتزاج والتداخل الشديد بين الزوجين.

الثالثة: الخيط الأبيض: كناية عن النهار.

الرابعة: الخيط الأسود: كناية عن الليل.

الخامسة: ولا تباشروهن: كناية عن الجماع، وإذا كان المقصود بها اللمس بشهوة فلا كناية فيها.

﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ الآية:٢١٤. أي نزلت وحلت بهم، وأزعجوا إزعاجاً شديداً شبيها بالزلزلة، فهي كناية عن كثرة المصائب التي وقعت عليهم فكأنها لامستهم وباشرت أجسامهم..

---

[١] المرجع نفسه. ج١. ص٣١٧.

وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ كناية عن تناهي الأمر في الشدة، إذ وصلوا إلى الغاية التي ينفد معها صبر الرسول والذين آمنوا، على الرغم من بلوغهم الذروة في التحمل والقدرة على الصبر.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ الآية: ٢٤٥. يقرض الله قرضا حسنا: كناية عن الأجر الكبير الذي يحصل عليه من ينفق ماله في سبيل الله ويبذل نفسه في الجهاد. إذ القرض الحسن؛ الإنفاق أو الجهاد. والله يقبض: كناية عن التقتير. ويبسط: كناية عن السعة.

أي أن الله يوسع على عباده ويقتر ليبتليهم، فلا تبخلوا بما وسع عليكم فإن الواحد لسبعمائة. وعن السدي: كثيرة: لا يعلم كنهها إلا الله[١].

﴿وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ الآية: ٢٦٧. الخبيث: كناية عن المال الرديء السيء. تغمضوا: كناية عن الترخص والتسامح في أخذ ثمنه. أي لا تقصدوا المال الرديء تخصونه بالإنفاق، وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه، من قولهم: أغمض فلان عن بعض حقه إذا غض بصره. وعن الحسن ﷺ: لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه.[٢]

﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ﴾ الآية: ٢٧٣. كناية عن عدم القدرة على العمل من أجل كسب المعاش أو السعي في طلب الرزق.

ثانياً: البديع

هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة. ومادته المحسنات المعنوية واللفظية.[٣]

---

[١] المرجع السابق. ج١. ص٣٧٨.

[٢] المرجع نفسه: ج١. ص٣٩٦.

[٣] القزويني. *الإيضاح في علوم البلاغة*: ص٤٧٧.

لم يعتنِ بهذا الفن الإمام عبد القاهر الجرجاني لأنه يرى أن الفصاحة والبلاغة تكمن في المعنى لا في اللفظ، والألفاظ تابعة للمعاني، واكتفى بالإشارة إليه إشارة موجزة في بداية كتابه أسرار البلاغة، تحدث فيها عن الجناس والطباق والسجع والحشو مشترطا أن تكون في خدمة المعاني إذ يقول: "وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسا مقبولاً، ولا سجعاً حسناً، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه.."[١]. وعقد له الخطيب القزويني باباً في كتابه (الإيضاح في علوم البلاغة)، بدأه بالمحسنات المعنوية وأعقبه بالمحسنات اللفظية، كما أشار إلى الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح.[٢]

المحسنات اللفظية

الجناس: أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى. وهو قسمان:

١. تام: ما اتفق فيه اللفظان في نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها. نحو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ الروم، الآية: ٥٥، ولا يوجد هذا النوع من الجناس في سورة البقرة.

٢. غير تام: ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدمة.[٣]

إن اختلفا في عدد الحروف فقط سمي ناقصا، ويكون على وجهين:

أ. أن يختلفا بزيادة حرف واحد.

ب. أن يختلفا بزيادة أكثر من حرف.[٤]

ومن أمثلة الجناس غير التام في سورة البقرة:

١. يفسد-يسفك، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ الآية: ٣٠.

---

[١] الجرجاني: ص١٠.

[٢] القزويني. *الإيضاح في علوم البلاغة*: ص٤٧٧، ٥٣٥، ٥٧٥.

[٣] الجارم وأمين. *البلاغة الواضحة*: ص٢٦٥.

[٤] القزويني. *الإيضاح في علوم البلاغة*: ص٥٣٨، ٥٣٩.

٢. فرقنا وأغرقنا، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ الآية: ٥٠.

٣. هاروت وماروت، في قوله تعالى: ﴿..عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ..﴾ الآية: ١٠٢.

٤. أعلم وأظلم، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ..﴾ الآية: ١٤٠.

٥. اليسر والعسر في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ الآية: ١٨٥.

٦. طالوت وجالوت في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ... قَالُوا لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ الآية: ٢٤٩.

الأمثلة السابقة تختلف في حرف واحد، ومما يختلف في حركة أو حركتين أو حركة وحرف:

- اتُّبِعُوا، اتَّبَعُوا في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ الآية: ١٦٦.
- تَظلمون، تُظلَمون في قوله تعالى: ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ الآية: ٢٧٩.
- بناء، مَاء في قوله تعالى: ﴿...وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً...﴾ الآية: ٢٢.
- يَعْلَمون، يُعْلِنون في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً﴾ الآية: ٧٧.
- يقرض، ويقبض في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا... وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ الآية: ٢٤٥.

ومنه ما يكون بزيادة حرف أو حرفين مع اختلاف في ترتيب الحروف

والحركات وزيادة أو نقصان في عدد الحروف، نحو:

- سفه، نفسه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ الآية: ١٣٠.
- ننسخ، ننسها في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا...﴾ الآية: ١٠٦.
- دعاء، نداء في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ الآية: ١٧١.
- دينه، دنيا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ الآية: ٢١٧.
- أعمالهم، عليهم في قوله تعالى: ﴿...كَذَلِكَ يُرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ...﴾ الآية: ١٦٧.
- هاجروا، جاهدوا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا...﴾ الآية: ٢١٨.
- أميون، آماني في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ...﴾ الآية: ٧٨.
- ليعلمون، يعملون في قوله تعالى: ﴿..وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ الآية: ١٤٤.
- النور، النار في قوله تعالى: ﴿..يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الآية: ٢٥٧.

ومن الجناس غير التام؛ جناس الاشتقاق:

ويوجد في مواضع كثيرة من هذه السورة الكريمة منها:

- رزقوا-رزقا-رزقنا في قوله تعالى: ﴿...كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ...﴾ الآية: ٢٥.
- أمواتا-يميتكم، فأحياكم-يحييكم، في قوله تعالى: ﴿...وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا

فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ...﴾ الآية: ٢٨.

- كفروا-الكافرين، في قوله تعالى: ﴿... فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ...﴾ الآية: ٨٩. وكذا كفار في الآية: ١٦١.
- يعلمون-يعلمان-فيتعلمون، اشتراه-شروا، في قوله تعالى: ﴿... يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ... وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ...﴾ الآية: ١٠٢. ﴿... وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ...﴾ الآية: ١٠٢[1].
- دعوة-الداع-دعان، أجيب-فليستجيبوا: ﴿... فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ...﴾ الآية: ١٨٦.
- المشركات-مشركة-المشركين-مشرك، يؤمنَّ-مؤمنة-مؤمن-يؤمنوا-تنكحوا -تُنكحوا، يدعون-يدعو: ﴿وَلاَ تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ...﴾ الآية: ٢٢١.
- الوالدات-أولادهن-المولود-والدة-بولدها-مولود-بولده-أولادكم، يرضعن-الرضاعة-لتسترضعوا: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلاَدَكُمْ﴾ الآية: ٢٣٣.
- فرضتم-فريضة، متعوهن-متاعا: ﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى

---

[1] وانظر الآية ص ٣٨: ٢٣١، ٢٣٢، ١٤٠.

الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ الآية: ٢٣٦.

- أعلم-تعلمون في الآية: ٣٠.
- علم-علمتنا-العليم في الآية: ٣٢ وفي الآية: ٢٣٩ علمكم-تعلمون.
- فتاب-التواب في الآية: ٣٧.
- اركعوا-الراكعين في الآية: ٤٣.
- ظلمونا-يظلمون في الآية: ٥٧.
- مشربهم-اشربوا في الآية: ٦٠.
- قست-قسوة في الآية: ٧٤.
- يكتبون-الكتاب-كتبت في الآية: ٧٩.
- تخرجون-إخراجهم في الآية: ٨٥.
- واسمعوا-سمعنا، إيمانكم-مؤمنين، في الآية: ٩٣.
- تسألوا-سئل، في الآية: ١٠٨.
- يتلونه-تلاوته، في الآية: ١٢١.
- نعمتي-أنعمت، في الآية: ١٢٢.
- تعبدون-نعبد، في الآية: ١٣٣.
- هوداً-تهتدوا، في الآية: ١٣٥.
- شهداء-شهيد، في الآية: ١٤٣.
- أتيت-أوتوا، تبعوا-تابع-اتبعت، في الآية: ١٤٥.
- الصبر-الصابرين، في الآية: ١٥٣.
- أصابتهم-مصيبة في الآية: ١٥٦.
- البينات-بيناه، في الآية: ١٥٩.
- تابوا-أتوب-التواب، في الآية: ١٦٠.
- يحبون-حُبِّ-حباً، أشد-شديد، يرى-يرون، في الآية: ١٦٥.

- اتُّبعوا-اتَّبعوا، في الآية: ١٦٦.
- فنتبرأ-تبرأوا، في الآية: ١٦٧.
- بعهدهم-عاهدوا، البأساء-البأس، في الآية: ١٧٧.
- بدله-يبدلونه، في الآية: ١٨١.
- معدودات-فعدة، في الآية: ١٨٤.
- واقتلوهم-القتل-ولا تقاتلوهم-يقاتلوكم-قاتلوكم، في الآية: ١٩١. وكذا في الآية: ٢١٧: قتال، القتل-يقاتلوكم.
- أحسنوا-المحسنين، في الآية: ١٩٥.
- تزودوا-الزاد، التقوى-واتقون، في الآية: ١٩٧.
- أفيضوا-أفاض، استغفروا-غفور، في الآية: ١٩٩.
- ليفسد-الفساد، في الآية: ٢٠٥.
- يردوكم-يرتدد، في الآية: ٢١٧.
- منافع-نفعهما، في الآية: ٢١٩.
- يطهرن-تطهرن-المتطهرين، في الآية: ٢٢٢.
- تقولوا-قولاً، اعلموا-يعلم، في الآية: ٢٣٥.
- إخراج-خرجن، في الآية: ٢٤٠.
- الموت-موتوا، في الآية: ٢٤٣، كذا الآية ٢٥٩: موتها- أماته.
- يقرض-قرضاً، فيضاعفه-أضعافاً، في الآية: ٢٤٥.
- القتال-تقاتلوا-نقاتل، في الآية: ٢٤٦.
- سعة-واسع، في الآية: ٢٤٧.
- شرب-شربوا، اغترف-غرفة، في الآية: ٢٤٩.
- آمنوا-مؤمنين، في الآية: ٢٧٨، وفي الآية ٢٨٥: آمن-المؤمنون، وفي الآية ٢٨٣: أَمِنَ-اؤتُمن-أمانته.

- في الآية ٢٨٢: تداينتم بدين، فاكتبوه-ليكتب-كاتب-تكتبوه، يمل-فليملل، استشهدوا-شهيدين، رجالكم-رجلين-فرجل، الشهداء-للشهادة-أشهدوا-شهيد.

توافق الفواصل

هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير وأفضله ما تساوت فقره، ويقال له في النثر السجع، ويقابله في الشعر القوافي. قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ نوح الآية:١٣، ١٤[1].

وخيره ما يأتي عفواً دون تكلف، نحو قول أعرابي في شكواه إلى عامل: "ملأت ركابي، وشققت ثيابي، وضربت صحابي" فقال له العامل: "أو تسجع أيضا؟" قال: "فكيف أقول؟" ذاك لأنه لم يعلم أصلح لما أراد من هذه الألفاظ، و لم يره بالسجع مخلا.[2] يقول الإمام عبد القاهر "... ومن هنا رأيت العلماء يذمون من يحمله تطلب السجع والتجنيس على أن يضم لهما المعنى، ويدخل الخلل عليه من أجلهما..."[3] وكل ما جاء في القرآن الكريم منزه عن جميع النقائص، بل هو الذروة في الكمال. وهاك الأمثلة عليه في سورة البقرة.

١. نهاية الآيات ٣، ٤، ٥، ٦: ... ومما رزقناهم ينفقون، ... وبالآخرة هم يوقنون، ... أولئك هم المفلحون، ... أم لم تنذرهم لا يؤمنون.

٢. الآيات: ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥: ... وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون، ... ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون، ... قالوا إنما نحن مصلحون، ... ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ... ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون، ... قالوا إنما نحن مستهزئون. الله

---

[1] القزويني. *الإيضاح في علوم البلاغة*: ص٥٤٧.

[2] الجرجاني. *أسرار البلاغة*: ص١٣.

[3] المرجع نفسه: ص٣٥٢.

يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون.

٣. وفي الآيات: ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧: ... إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، ... ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، ... ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين، ... فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم.

٤. الآيات: ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢: ... فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ... أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، ... وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون، ... ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون، ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون.

٥. الآيات: ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣: .. وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون، ... ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون، ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون، وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون.

٦. الآيات: ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧: ... لكنتم من الخاسرين، ... كونوا قردة خاسئين، ... وموعظة للمتقين، ... أن أكون من الجاهلين.

٧. كذا توافق نهاية الآيات من ٧٠-٨٨: على الترتيب الآتي: ... إن شاء الله لمهتدون، ... وما كادوا يفعلون، ... ما كنتم تكتمون، ... لعلكم تعقلون ... بغافل عما تعملون، ... وهم يعلمون، ... أفلا تعقلون، ... ما يسرون وما يعلنون ... وإن هم إلا يظنون، ... مما يكسبون، ... ما لا تعلمون، ... هم فيها خالدون، ... هم فيها خالدون، ... وأنتم معرضون، ... وأنتم تشهدون، ... عما تعلمون، ... ولا هم ينصرون ... وفريقا تقتلون، ... فقليلا ما يؤمنون.

٨. الآيات: ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٥: ... فلعنة الله على الكافرين، ... وللكافرين عذاب مهين، ... إن كنتم مؤمنين، ... إن كنتم مؤمنين، ... إن كنتم صادقين، ... والله عليم بالظالمين. وينظر الآيات: ٩٧، ٩٨

والآيات من ٩٩-١٠٣.

٩. وفي الآيات: ١٠٤، ١٠٥ والآيات: ١١٤، ١١٥ على الترتيب الآتي: ... وللكافرين عذاب أليم ... والله ذو الفضل العظيم، ... ولهم في الآخرة عذاب عظيم ... إن الله واسع عليم. وفي الآيات: ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠ على الترتيب الآتي: ... ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير، ... وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير، ... إن الله على كل شيء قدير، ... إن الله بما تعملون بصير.

١٠. الآيات: ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩: ... إنك أنت السميع العليم، ... إنك أنت التواب الرحيم، ... إنك أنت العزيز الحكيم. تنظر الآيات: ١٣٠، ١٣١ والآيات من ١٣٢-١٣٤ ويلاحظ توافق الآيتين ١٣٤ و١٤١.

١١. الآيات ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١ على الترتيب: ... لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، ... ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون، ... ونحن له مخلصون، ... وما الله بغافل عما تعملون. تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون.

١٢. الآيات: ١٤٢، ١٤٣ وكذا: ١٥٨، ١٦٠، ١٦٣: ... يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ... إن الله بالناس لرؤوف رحيم، ... ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم، ... وأنا التواب الرحيم، ... لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

١٣. وفي الآية: ١٦٥، ١٦٦: ...إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب، ... ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب.

١٤. الآيات: ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩ على الترتيب الآتي: ... لعلكم تتقون، ... إن كنتم تعلمون، ... ولعلكم تشكرون، ... لعلهم يرشدون، ... لعلهم يتقون، ... لعلكم تفلحون.

١٥.وفي الآية: ١٩٠، ١٩١، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥: ... إن الله لا يحب المعتدين، ... كذلك جزاء الكافرين، ... فلا عدوان إلا على الظالمين، ... واعلموا أن الله مع المتقين، ... إن الله يحب المحسنين.

١٦.الآيات: ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧: ... والله لا يحب الفساد، ... فحسبه جهنم ولبئس المهاد، ... والله رءوف بالعباد.

١٧.الآيات: ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣١ على الترتيب: ... والله سميع عليم، ... والله غفور حليم، ... فإن الله غفور رحيم، ... فإن الله سميع عليم، ... والله عزيز حكيم، ... إن الله بكل شيء عليم.

١٨.الآيات: ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٧: ... واعلموا أن الله بما تعملون بصير، ... والله بما تعملون خبير، ... إن الله بما تعملون بصير.

١٩.الآيات: ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢: ... إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين، ... والله مع الصابرين، ... وانصرنا على القوم الكافرين، ... ولكن الله ذو فضل على العالمين، ... وإنك لمن المرسلين.

٢٠.الآيات: ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٨: ... قال أعلم أن الله على كل شيء قدير، ... واعلم أن الله عزيز حكيم، ... والله واسع عليم، ... والله غني حليم، ... والله لا يهدي القوم الكافرين، ... والله بما تعملون بصير، ... والله واسع عليم.

٢١.الآية ٢٧٤، ٢٧٧: فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

المحسنات المعنوية

الطباق

هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا

وَهُمْ رُقُودٌ﴾ الكهف: ١٨ وينقسم إلى:

١. طباق الإيجاب: وهو ما لم يختلف فيه الضدان، سلبا وإيجابا، مثل: أيقاظ ورقود في الآية السابقة.[١]

٢. طباق السلب: وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد، مثبت ومنفي أو أمر أو نهي، نحو قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي﴾ المائدة: ٤٤.[٢]

من أمثلة طباق الإيجاب في سورة البقرة:

١. تفسدوا-مصلحون؛ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ الآية: ١١.

٢. الضلالة-الهدى؛ في قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى﴾ الآية: ١٦.

٣. تبدون-تكتمون في الآية: ٣٣ ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

٤. الحق-الباطل في الآية: ٤٢ ﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾.

٥. أنجيناكم-وأغرقنا في الآية: ٥٠ ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾.

٦. كلوا واشربوا في الآية: ٦٠ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾.

٧. فارض-بكر في الآية ٦٨ ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾.

٨. يسرون-يعلنون في الآية: ٧٧ ﴿أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

٩. الدنيا-الآخرة في الآية: ٨٦ ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾.

١٠. نؤمن-يكفرون في الآية: ٩١ ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾.

١١. يضرهم-ينفعهم في الآية: ١٠٢ ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾.

---

[١] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ). *فقه اللغة وأسرار العربية*. مصر: مكتبة القرآن. ص: ٢٧٣.

[٢] القزويني. *الإيضاح في علوم البلاغة*: ص٤٧٧، ٤٨٠.

١٢. المشرق-المغرب في الآية: ١١٥ ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾.
١٣. السماوات-الأرض في الآية: ١١٧ ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.
١٤. بشيراً-نذيراً في الآية: ١١٩ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.
١٥. أموات-أحياء في الآية: ١٥٤ ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾.
١٦. الحر-العبد في الآية: ١٧٨ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾.
١٧. اليسر-العسر في الآية: ١٨٥ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾.
١٨. إمساك-تسريح في الآية: ٢٢٩ ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوف أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾.
١٩. الموسع-المقتر في الآية: ٢٣٦ ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾.
٢٠. يقبض-يبسط في الآية: ٢٤٥ ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾.
٢١. طيبات-الخبيث في الآية: ٢٦٧ ﴿أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ﴾.

وينظر الآيات: ٢٣: ريب-صادقين، ٢٦: يضل-يهدي، ٩٣: بكفرهم-إيمانكم، ١٠٨: الكفر-بالإيمان، ١٣٠: الدنيا-الآخرة، ١٤٢: المشرق-المغرب، ١٥٩: يكتمون-بيناه، ١٨٦: سألك-أجيب، ٢١٣: مبشرين-منذرين، ٢٣١: فأمسكوهن-سرحوهن، ٢٤٣: موتوا-أحياهم، ٢٥٣: آمن-كفر، ٢٧١: تبدوا-تخفوها، ٢٧٣: للفقراء-أغنياء، ٢٨٠: عسرة-ميسرة.

طباق السلب

من أمثلته في السورة:

١. أأنذرتهم-أم لم تنذرهم، الآية ٦: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ

لاَ يُؤْمِنُونَ﴾.

٢. آمنا-وما هم بمؤمنين، الآية ٨: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

٣. يخادعون-وما يخدعون، الآية ٩: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

٤. وما كفر-كفروا، ويعلمون-وما يعلمان، من الآية ١٠٢: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾.

٥. يعلم-لا تعلمون، في الآية ٢١٦: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ وفي الآية ٢٣٢: علمكم-تعلمون.

٦. فلا تعتدوها-ومن يتعدى في الآية ٢٢٩: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾.

٧. فأمسكوهن-ولا تمسكوهن في الآية ٢٣١: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾.

٨. لا يقومون-يقوم في الآية ٢٧٥: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ﴾.

٩. تكتبوه-ألا تكتبوها في الآية ٢٨٢: ﴿وَلاَ تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ... فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا﴾.

١٠. حملته-لا تحمل في الآية ٢٨٦: ﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾.

المقابلة

أن تأتي بمعنيين أو أكثر ثم تأتي بما يقابل ذلك على الترتيب، يقول القزويني: "ودخل في المطابقة ما يخص باسم المقابلة، وهو: أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم بما

يقابلهما أو يقابلها على الترتيب ... وقد تتركب من طباق وملحق به."[١]

من أمثلة المقابلة في سورة البقرة ما يأتي:

١. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ الآية: ١١ قابل بين: قيل لهم، قالوا إنما نحن - وبين تفسدوا، مصلحون.

٢. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ الآية: ١٣ المقابلة بين قيل وقالوا - وضمير الغائب في (لهم) وضمير المتكلم في (أنؤمن)-وبين آمن الناس، وآمن السفهاء.

٣. ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ الآية: ١٤ المقابلة بين لقوا، وخلوا - الذين آمنوا، شياطينهم - قالوا آمنا، إنا معكم.

٤. ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ الآية: ٢٠ قابل بين: أضاء، وأظلم - لهم، عليهم - مشوا، وقاموا.

٥. ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ الآية: ٢٢ قابل بين الأرض، السماء - فراشا، بناء.

٦. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾ الآية: ٢٦ الذين آمنوا مقابل: الذين كفروا -فيعلمون (فيه معنى اليقين) مقابل: فيقولون (فيه معنى الشك)- أنه الحق مقابلة سؤال المتشككين: ماذا أراد الله بهذا مثلا؟

٧. ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ الآية: ٢٨ وكنتم أمواتا مقابل فأحياكم-يميتكم مقابل يحييكم.

٨. ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ الآية: ٤٩. المقابلة بين يذبحون ويستحيون-أبناءكم ونساءكم.

---

[١] القزويني. *الإيضاح في علوم البلاغة*: ص٤٨٥.

٩. ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ الآية: ٧٦. وإذ لقوا الذين آمنوا مقابل: وإذا خلا بعضهم إلى بعض – قالوا آمنا مقابل: السؤال الذي يدل على الشك؛ وهو قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم؟

١٠. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الآية: ٨٧. موسى مقابل عيسى – الكتاب مقابل البينات.

١١. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ الآية: ٩١. قيل لهم آمنوا مقابل قالوا نؤمن – بما أنزل الله مقابل أنزل علينا.

١٢. في الآية: ٩٨: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ مقابل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾.

١٣. الآية: ١٠٦ ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ مقابل ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾.

١٤. الآية: ١١٣ ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾ مقابل ﴿وَقَالَتْ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾.

١٥. الآية: ١٢٦: ﴿من آمن﴾ مقابل ﴿ومن كفر﴾ – ﴿فأمتعه﴾ مقابل ﴿ثم أضطره﴾.

١٦. الآية: ١٣٧ ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾ مقابل ﴿وإن تولوا﴾ – ﴿فقد اهتدوا﴾ مقابل ﴿فإنما هم في شقاق﴾.

١٧. الآية: ١٤٣ ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ مقابل ﴿ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾.

١٨. الآية: ١٦٤ السماء مقابل الأرض – الليل مقابل النهار – أحيا مقابل موتها.

١٩. الآية: ١٧٥ الضلالة مقابل الهدى – العذاب مقابل المغفرة.

٢٠. الآية: ١٨٧ ﴿هن لباس لكم﴾ مقابل ﴿وأنتم لباس لهن﴾ – ﴿تختانون

أنفسكم﴾ مقابل ﴿فتاب عليكم﴾ - كلوا مقابل واشربوا - الخيط الأبيض مقابل الخيط الأسود - الفجر مقابل الليل.

٢١.الآية: ٢١٦ ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً﴾ مقابل ﴿وعسى أن تحبوا شيئا﴾ - ﴿وهو خير لكم﴾ مقابل ﴿وهو شر لكم﴾.

٢٢.الآية: ٢٢٠ الدنيا مقابل الآخرة - المفسد مقابل المصلح.

٢٣.الآية: ٢٢١ المشركات مقابل المشركين - ولأمة مقابل ولعبد - مؤمنة مقابل مؤمن - مشركة مقابل مشرك.

٢٤.الآية: ٢٣٩ رجالاً مقابل ركبانا - خفتم مقابل أمنتم.

٢٥.الآية: ٢٥٥ ما بين أيديهم مقابل ما خلفهم - السماوات مقابل الأرض.

٢٦.الآية: ٢٥٦ يكفر مقابل يؤمن - الرشد مقابل الغي.

٢٧.الآية: ٢٥٧ ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ مقابل ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾ - ﴿من الظلمات إلى النور﴾ مقابل ﴿من النور إلى الظلمات﴾.

٢٨.الآية: ٢٥٨ يحي مقابل يميت - أحيي مقابل أميت - المشرق مقابل المغرب.

٢٩.الآية: ٢٥٩ أماته مقابل بعثه - طعامك مقابل شرابك.

٣٠.الآية: ٢٦٨ ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ مقابل ﴿والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾.

٣١.الآية: ٢٧٤ بالليل مقابل والنهار - سراً مقابل علانية.

٣٢.الآية: ٢٧٥ أَحلَّ مقابل حَرَّمَ - سلف مقابل عاد.

٣٣.الآية: ٢٧٦ يمحق مقابل يربي - الربا مقابل الصدقات.

٣٤.الآية: ٢٨٢ رجلين مقابل امرأتين - صغيراً مقابل كبيراً.

٣٥.الآية: ٢٨٤ تبدوا مقابل تخفوه - السماوات مقابل الأرض - يغفر مقابل يعذب.

٣٦.الآية: ٢٨٦ لها مقابل عليها – كسبت مقابل اكتسبت.

يلاحظ أن المقابلة من مواضيع البديع التي حفل بها القرآن الكريم، إذ لا تكاد تخلو منها سورة من سوره، إضافة إلى التوافق في البدء والختام، أشار إلى ذلك سعيد حوى في الأساس، والصابوني في صفوة التفاسير[١].

نتائج البحث

بعد هذه الجولة القصيرة في تتبع بعض أوجه البيان والبديع في سورة (البقرة) لا أدعي بأني قد أوفيت الموضوع حقه من الدراسة في هذا الجانب، ولكني أرجو أن أكون قد تناولت معظم التشبيهات والاستعارات والكنايات، وأتيت على أكثر أمثلة المجاز المرسل في السورة وألحقته بتتبع موضوعات البديع، فبدأت بتعريف علم البديع وألمحت إلى سبب عدم اعتناء الإمام عبد القاهر الجرجاني بهذا اللون من ألوان البلاغة، وأشرت إلى موضوعاته في كتاب الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني.

في موضوع البديع بدأت بالمحسنات اللفظية المتمثلة في الجناس، ولم أجد في السورة جناسا تاما، بل وجدت فيها نوعين من الجناس:

١. الجناس غير التام: مواضعه قليلة في السورة فذكرت منه ستة مواضع تختلف في حرف واحد، وخمسة مواضع تختلف في حركة أو حركتين أو حركة وحرف، وتسعة مواضع فيه زيادة حرف أو حرفين مع اختلاف في ترتيب الحروف والحركات وكذا نقصان في بعض الحروف.
٢. جناس الاشتقاق: ويوجد في مواضع كثيرة من السورة، ذكرت منها اثنين وخمسين موضعاً.

ثم تناولت: توافق الفواصل في السورة، وهو ما يسمى في غير القرآن الكريم

---

[١] سعيد حوى. *الأساس في التفسير*. ٦٣ والصابوني، محمد علي. ١٤٠١هـ-١٩٨١م. *صفوة التفاسير*. بيروت: دار القرآن الكريم. ج١ ص ١٦.

بالسجع: ولا تكاد تخلو منه آية من بداية السورة إلى نهايتها.

بعد ذلك تتبعت المحسنات المعنوية، فذكرت منها:

١. الطباق: بنوعيه؛ طباق الإيجاب وطباق السلب، فذكرت من طباق الإيجاب إحدى وعشرين مثالاً، كما أشرت إلى مواضعه في خمس عشرة آية ومن طباق السلب ذكرت عشرة أمثلة.

٢. المقابلة: أشرت إليها في ست وثلاثين آية.

أرجو أن أتمكن من تقديم نظرات بلاغية أخرى في هذه السورة الكريمة، والله أسأل العون والتوفيق وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم.

مصادر البحث

القرآن الكريم.

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر. (١٩٩٦م). *أساس البلاغة* (معجم في اللغة والبلاغة). بيروت – لبنان.

حوى، سعيد. (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م). *الأساس في التفسير* – المجلد الأول. دار السلام.

الجرجاني، عبد القاهر. (١٩٥٤م). *أسرار البلاغة*، تحقيق: هـ. رتير. استانبول.

الدرويش، محيي الدين. (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م). *إعراب القرآن وبيانه*. دار ابن كثير. سوريا – اليمامة.

القزويني، الخطيب. (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م). *الإيضاح في علوم البلاغة*. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. ط٦. لبنان.

أمين، بكري شيخ. (١٩٨٧م). *البلاغة العربية في ثوبها الجديد*، علم البديع. دار العلم للملايين.

الجارم، أمين: علي، مصطفى. البلاغة الواضحة. ط٧.

البغوي، *تفسير البغوي*. (بدون)

الجرجاني، عبد القاهر. (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م). *دلائل الإعجاز*. تحقيق: د.محمد رضوان الداية، د.فايز الداية.

الصابوني، محمد علي. (١٤٠١هـ - ١٩٨١م). *صفوة التفاسير*. دار القرآن الكريم - بيروت.

المراغي، أحمد مصطفى. علوم البلاغة للمراغي. دار القلم - بيروت.

الهمداني، حسين بن أبي العز. (١٩٩١م). *الفريد في إعراب القرآن المجيد*، تح. د. فهمي حسن نمر، د. فؤاد علي مخيمر. قطر - الدوحة.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل. (١٩٩٧م). *فقه اللغة وأسرار العربية*. تحقيق: محمد إبراهيم سليم. مكتبة القرآن - مصر.

قطب، سيد. د.ت. *في ظلال القرآن*. القاهرة: دار الشروق.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. د.ت. *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. بيروت: دار المعرفة.

ابن منظور. (١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م). *لسان العرب*. دار صادر - بيروت.

الأندلسي، القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية. (١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. ط٢. المملكة المغربية.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. (١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م). *مختار الصحاح*.

معالم القرآن والسنة
مجلة محكمة
السنة الأولى ◆ العدد الأول ◆ ٢٠٠٥

عادل محمد عبد العزيز الغرياني*

تكامل العلوم الإنسانية والاجتماعية[1] مع المقررات الشرعية[2]

مقدمة

لقد طال الأمد على اقتصار مدلول "علوم الشريعة" على الفقه والأصول والعقيدة والتفسير والحديث بالمفهوم التقليدي، وظلت العلوم الأخرى ذات المسميات المختلفة لا تندرج تحت اسم "علوم الشريعة" وإنه لم يعد يخفى على كل ذي بصيرة أن هذا الفصام كان من أكبر الأسباب التي أدت إلى الأزمة الفكرية عند المسلمين والتي سعى ويسعى المخلصون لتجاوزها، وما تواجدنا هنا مع هذه النخبة

---

* قدم هذا البحث في الندوة الدولية التي بعنوان "نحو صياغة حديثة لمقررات الدراسة الشرعية" من ٧-٨ فبراير ٢٠٠٤م أكاديمية الدراسات الإسلامية - جامعة ملايا - ماليزيا.

[1] نقصد بالعلوم الاجتماعية والإنسانية هي المعارف المتعلقة بدراسة الفرد والمجتمع. وعلاقة الفرد بالمجتمع ومؤسساته، وعلاقات الأفراد بعضهم مع بعض، ومن أهم هذه العلوم: علم الاجتماع، علم النفس، علم الإنسان، العلوم السياسية، الاقتصاد، التاريخ، ... إلخ.

[2] حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى عدد من الدراسات القيمة والتي منها: عبد القادر هاشم رمزي. الدراسات الإنسانية في ميزان الرؤية الإسلامية. دراسة مقارنة. قطر. الدوحة. دار الثقافة. ١٩٨٤م؛ مصطفى عشوي. نحو تكامل العلوم الاجتماعية والعلوم الشرعية. مجلة التجديد. السنة الأولى. عام ١٩٩٧م؛ محمد الغزالي. العلوم الإسلامية والعلوم الشرعية في الجامعات. مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات. عمان ١٦-١٩ ربيع الأول ١٤١٥هـ وقد نشرت أبحاث هذا المؤتمر في جزئين ونشر هذا البحث في الجزء الأول ص ٣٠٩-٣٢٣؛ علي أحمد بابكر. علاقة العلوم الشرعية بالعلوم الاجتماعية والإنسانية المعاصرة.١٩٩٥م. ج٢. ص ٤٨٥-٤٩٤. والمقصود بالمقررات الشرعية هي تلك المقررات الدراسية التي تتناول المواضيع المتعلقة بالعقيدة والفقه وأصول الفقه كما جاء ذلك في النصوص (القرآن والحديث) وتعرف هذه بالعلوم النقلية.

الطيبة من علماء الأمة إلا دليل على صدق التوجه. والحقيقة أن الشريعة تشمل كل العلوم الاجتماعية والإنسانية بل وتشمل العلوم التجريبية في منطلقاتها ومقاصدها وكثير من تفاصيلها[١].

لقد أصيبت المعرفة بفصام كبير نجم عنه انقسامها إلى معرفة شرعية ومعرفة أخرى، ولا زال هذا الفصام يصاحبها حتى اليوم. لذا فإن هذه الظاهرة قد اعتبرها البعض أزمة حقيقية، ومن ثم فإن أزمة المناهج والمقررات التي نعانيها اليوم هي انعكاس لأزمة أخرى، هي أزمة التصنيف في العلوم الإسلامية بصفة عامة.[٢]

ويُحمِّل جمال الدين عطية مسؤولية إيجاد الحلول لهذا الفصام علماء الأزهر فيقول: "ويبادر إلى الذهن أن تلك هي مهمة الأزهر ورجاله، لأنهم هم أقرب الناس إلى فهم الإسلام وأقدرهم على الكتابة عنه ... ولكن الحقيقة، رغم وجود علماء الأزهر المتحررين من منهاج التأليف القديم والمطلعين على العلوم الحديثة والمتصلين بالمجتمع وشؤونه ومطالبه، أقول رغم وجود قلة من هؤلاء إلا أن المنهج الذي يسلكه الأزهر في دراسة الإسلام وعلومه واعتماده على فقه الأولين وعنايته بمشاكل الماضي التي لم يعد لها وجود في مجتمعنا الحديث، ثم عدم اطلاع الأزهريين على العلوم الحديثة وعدم اتصالهم بمشاكل المجتمع وحاجاته يجعل من المتعسر بل من غير المتصور أن يقوموا بهذا العبء، إذ كيف يتيسر لرجل الأزهر الذي لم يدرس علوم الاقتصاد أو القانون الدولي مثلاً أن يكتب عن التنظيم الواجب من وجهة نظر الإسلام للنواحي الاقتصادية والدولية في عصرنا هذا؟"[٣]. إننا لا نقره فيما ذهب إليه في تحميله كل هذا العبء الثقيل على الأزهر وعلمائه فقط! أقول: إن مهمة تجاوز العقبات

---

[١] بابكر، علي أحمد. ص ٤٨٥.

[٢] الزفتاوي، عصام أنس. *نظرات في مشكلات التصنيف في العلوم الإسلامية*. مجلة المسلم المعاصر. السنة ٢٦. العدد ١٠٤ محرم ١٤٢٣هـ ابريل ٢٠٠٢م. ص ١٠٣.

[٣] عطية، جمال الدين. *أفكار مبكرة في أسلمة العلوم*. مجلة المسلم المعاصر. السنة ٢٨. العدد ١٠٩. ص ١٥٠-١٥١.

وتحقيق التكامل لا يمكن أن يُلقى بها على عاتق فئة معينة أو مركز واحد فهي مهمة تنوء بحملها الجبال، عليه فإن هذه المهمة تكون من مسؤولية الجميع دون استثناء. وعلينا أن نقر بالصعوبات ثم البحث عن الوسائل والطرق التي تحقق ذلك الهدف المنشود، وقد أثار إعجابي ما ذكره قطب سانو في بحثه – التكامل بين الفكر المقاصدي ومناهج البحث في العلوم الإنسانية المعاصرة – حينما أشار إلى نقطة غاية في الأهمية وهي تحديد الصعوبة وإيجاد الحل في الوقت نفسه فهو يقر بصعوبة تحقيق أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية وسهولة تحقيق التكامل ليكون وسيلة لتحقيق الأسلمة إذ يقول: "على أنه من الحري بالتحقيق والتقرير بأن قبول الأوساط السياسية والاجتماعية والفكرية لفكرة التكامل أهون وأسهل في نظرنا من قبول ذات الأوساط لفكرة الأسلمة، مما يجعل البحث في قضايا التكامل شأناً ضرورياً ومدخلاً أميناً للإسلام الشامل لجميع شعاب وفروع العلم والمعرفة "[١].

ومن ثم فإن هذه الدراسة تهدف إلى تقديم تصور عام عن كيفية تحقيق تكامل مكين بين المقررات الشرعية والمقررات الإنسانية والاجتماعية في الجامعات. باعتبار أن المعارف الشرعية تعنى بالتركيز على نصوص الوحي بشعبتيه –الكتاب والسنة– وتحاول تقديم تفسير لها. وأن المعارف الإنسانية تركز حول الإنسان والظواهر المحيطة به[٢]. وانطلاقاً مما لهذا التكامل من أهمية قصوى وضرورة دينية، فإن هذه الدراسة تتبنى الدعوة العاجلة الملحة إلى وضع المقررات الدراسية في كل الأقسام الشرعية والإنسانية والاجتماعية بشكل تكاملي، حتى ترقى من مستوى الوسيلة أو الأداة إلى مستوى الكل الواحد المتكامل، ليخرج لنا جيل قادر على مواكبة ظروف ومعطيات العصر، قادر على تسخير العلوم التي درسها لحل أي مشكلة علمية أو

---

[١] سانو، قطب. *التكامل بين الفكر المقاصدي ومناهج البحث في العلوم الإنسانية المعاصرة*. مجلة تفكر. المجلد الثالث. العدد ١ . ٢٠٠١م معهد إسلام المعرفة. جامعة الجزيرة. السودان ص ١٠ ؛ وانظر للمزيد مصطفى عشوي. ص ٥٥.

[٢] سانو، قطب. ص ١٩.

اجتماعية قد تعترض طريقه.

نظرة الإسلام التكاملية للعلوم

إن كلمة العلم من وجهة نظر الإسلام أو كما يدل معناها اللغوي والاصطلاحي، فهي تشتمل على كل ألوان العلوم، بل ولا تفصل بينها فصلا حقيقيا، بل تعتبرها أجزاء لحقيقة واحدة كما أن الإسلام أفرز معارف تمتلك تفسيرًا علميًا دينيًا لكل الظواهر الكونية. من هنا فإن مهمة الشريعة تتلخص في تنظيم حركة الحياة التي تستوعب مختلف الظواهر والمسارات ذات العلاقة بالعلوم الطبيعية أو العلوم الأدبية أو العلوم الإنسانية. والحقيقة أن تسميات هذه العلوم مثل (Human Science) هي الأخرى إفراز لثقافة خاصة ومناخ فكري خاص فصلتها تماما عن الدين أو الشريعة، فالعلوم الإنسانية والاجتماعية فى الغرب لاعلاقة لها بالدين، وليس للدين رأي فيها، وهكذا بالنسبة للفنون والآداب، كالعلوم الطبيعية تماما بينما يمتلك الإسلام أرضية متكاملة لانبثاق علوم إنسانية واجتماعية خاضعة لتصوره ورؤيته الكونية.

إن العلم المقصود في القرآن الكريم والأحاديث النبوية لا يقتصر معناه على طلب الحصول على الشهادات، والإجازات العلمية، لكنه العلم الإيماني الذي يحقق لصاحبه الثقافة بكل أبعادها من فهم، واستيعاب، ومعرفة، وأحكام متزنة، وذهن متفتح، وإدراك ناضج صحيح، ونضج عقلي يظهر التميز والعبقرية في قدرته على الموازنة بين دينه ومعتقده وظروف مجتمعه من جهة، ومتطلبات عصره من جهة أخرى، دون إفراط أو تفريط.

والتعلم المطلوب شرعاً لا يقتصر على طلب العلوم الشرعية فقط -التي يعد طلبها والعلم بها فريضة على كل مسلم ومسلمة فيما يحتاجه من شؤون دنياه وأخراه-، لكن المقصود هو أن يسعى المسلم إلى التزود من العلوم الحديثة جميعها.

وكما ذكرنا فإن هذه العلوم هي أجزاء لحقيقة واحدة، لأن العلم من منظار

الإسلام هو كل متكامل فى تفاصيله ومكوناته،وتتداخل مجالاته وأجزاؤه مع بعضها، برغم تنوع قوانين وآليات حركة كل مجال؛ لأن العلم أيا كان حقله فإن مصدره واحد هو علم الله تعالي، وهو علم واحد لا يقبل التجزئة.وهكذا فالعلوم الطبيعية، بل وحتي الفنون والآداب، هي جميعا فى خدمة الإنسان وتساعده على أداء دوره وتكليفه على الأرض. وبما أن الإنسان يتعرف على تكليفه فى الأرض وعلى أساليب ارتباطه بالسماء من خلال الشريعة، فإن الأخيرة تعبر عن مسار محددات أي نوع من أنواع العلوم، وبالتالي فإن كل العلوم التى يمتلكها الإنسان تسير باتجاه واحد يوصل إلى الله سبحانه وتعالي.

نظرة القرآن التكاملية للعلوم

لقد أشار القرآن الكريم إلى عدد غير قليل من المعارف والعلوم بشكل مباشر وغير مباشر، وهي معارف نافعة لحياتنا ومعاشنا وصلاح أمرنا منها علم الجغرافيا وعلم الأرض (الجيولوجيا) وما يتعلق بهما من علوم، علم الأخبار، علم التفسير والتأويل، علم الإحصاء، علم الحكمة، علم الاجتماع، علم النفس، التربية، علم النفس الاجتماعي، علم نفس النمو وغيرها من العلوم الأخرى التي لها علاقة بالإنسان والمحيط الذي يعيش فيه.[١]

ولقد ألقى القرآن الكريم بظلال سوره وآياته علينا الكثير من المعارف التي تفتح باستمرار أبواباً للمعرفة والعلم كانت موصدة، ولعل ما أتى به القرآن الكريم من مسائل وقضايا لم تنحصر في يوم من الأيام بقضية واحدة محددة أو بعلم، بل إن القرآن الكريم ارتبط ارتباطاً وثيقاً مع مجمل العلوم الإنسانية والاجتماعية، وأعطى لكل واحد منها مفاتيح الدخول لبحر المعرفة.

إن القرآن الكريم لم يوقف العقول على علم خاص بل أطلع البشر على علوم شتى

---

[١] انظر على سبيل المثال الدراسة القيمة للدكتور أحمد إلياس حسين حول المادة التاريخية في القرآن الكريم. ص ١٠٣-١٠٤.

وأشار إليها في مختلف الآيات القرآنية، وأراد منهم التعمق في باطن الكون كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ..﴾ الأنعام: ٧٥. فلو لم يقدروا أن يصلوا إلى ذلك لما ندبهم إليه. وقال تعالى: ﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ يونس: ١٠١. ونظيرها الآية: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الجاثية: ٣. وبذلك تعرف سعة القرآن وشموليته ودعوته للعلوم في كل زمان ومكان.

نظرة العلماء لتكامل العلوم الشرعية مع العلوم الإنسانية والاجتماعية

كان الغرض الأول من تدوين العلوم في الإسلام هو حفظ الشريعة، فكل علم يخدم ذلك الغرض فهو واجب الدراسة، ومن هنا كان الاشتغال بعلم المغازي والسير مكملاً لعلم الفقهاء، حتى رأينا عالماً كبيراً مثل أبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة الذي كان يعتز -فوق فقهه- بحفظ المغازي وأيام العرب ونحوها من تاريخ الفتوح والتوسع الإسلامي.

وقد ارتبط ببحث السنة النبوية في طور النشأة المباحث المتعلقة بتفسير القرآن الكريم والمباحث المتعلقة بالفقه والتاريخ، وكان السبب في ظهورها البحث في حقل الشريعة الإسلامية، ومن أجل ذلك اعتبر التاريخ -عند كثير من المتقدمين- من علوم الشريعة.[١]

ولِمَ نذهب بعيداً، وقد جمع كثير من فقهاء المسلمين وأئمتهم بين الفقه والتاريخ، ونستطيع أن نعد من هؤلاء الإمام الطبري (ت٣١٠هـ) فقد جمع بين المفسر والفقيه والمؤرخ، ولا يزال كتاباه في التاريخ والتفسير من أوثق مصادرنا وأقدمها في هذين الفنين. ومنهم ابن كثير الدمشقي، فقد اجتمع له كذلك التفسير والتاريخ، إلى جانب الإمام الحافظ الذهبي المؤرخ فقد كان فقيهاً

---

[١] حسين، أحمد إلياس. ١٤١١هـ. *منهج البحث التاريخي عند الكافيجي في رسالته المختصر في علم التاريخ*. مجلة كلية التربية. جامعة الخرطوم. ص ٦٤.

وحافظاً وكتاباه تاريخ الإسلام ودول الإسلام مشهوران في التاريخ كشهرة كتبه في طبقات الحفاظ وطبقات القراء، وسير أعلام النبلاء، وممن اشتهر كذلك بالجمع بين الفقه وحفظ الحديث والاشتغال بالتاريخ الحافظ المؤرخ شمس الدين السخاوي (ت٩٠٢هـ) فبينما تجد له كتباً في الحديث والفقه مثل كتاب المقاصد الحسنة في الأحاديث الجارية على الألسنة، وعمدة المحتج في حكم الشطرنج، وعمدة القارىء والسامع في ختم الصحيح الجامع إذا بك تجد له كتباً في التاريخ مثل كتابه المشهور الضوء اللامع في أخبار أهل القرن التاسع، وكتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ. وقد كان الحافظ المؤرخ السخاوي شديد الإيمان بعلم التاريخ وضرورته وأهميته لعلم الشريعة حتى لا يكاد هذا يستغني عنه وفي مقدمته لكتابه المشهور -التبر المسبوك- يشير إلى ذلك قائلاً: علم التاريخ فن من فنون الحديث النبوي، وزين تقر به العيون، حيث سلك فيه المنهج القويم المستوى، بل وقعه من الدين عظيم، ونفعه يتعين في الشرع، ولشهرته غني عن مزيد البيان والتفهيم، إذ به يعلم أهل الجلالة والرسوخ ما يفهم به الناسخ من المنسوخ، ويظهر تزييف مدعي اللقاء، ويشهر ما صدر منه من التحريف في الارتقاء لما تبين أن الشيخ الذي جعل روايته عنه من مقصده كان قد مات قبل مولده، أو كان اختل عقله أو اختلط، ... وتحفظ به الأنساب المترتب عليها صلة الرحم والمتسبب عنها الميراث والكفاءة حيثما قرر في محله وفهم. وكذا تعلم منه آجال الحقوق واختلاف النقود، والأوقاف التي ينشأ عنها من الاستحقاق ما هو معهود ... ويعتبر بما فيه من المواعظ النافعة ... والمباحث النظرية، والأشعار التي هي جل مواد العلوم الأدبية، كاللغة والمعاني العربية ولهذا صرح غير واحد من علماء المذاهب أولي الأمانات بأنه من فروض الكفايات الراجح ارتقاؤه على فرض العين. ويستدلون على قدرة علم التاريخ ومداناته لعلم الفقه والشريعة في الأهمية بما صنفه الإمام البخاري من الجمع بين صحيح

البخاري وتاريخ البخاري في العمل وفي المكان، فقد كان يصنف تاريخه ويكتبه في المدينة النبوية عند قبر رسول الله ﷺ وكان يفعل ذلك في الليالي المقمرة، وقد سوى بين الصحيح والتاريخ حيث حول تراجمه بين القبر النبوي والمنبر الشريف، ففي هذا الخبر، أكبر الدلالة على التكامل بين العلمين.[١]

وفي مجال اللغة فقد ثبت تاريخياً أن علماء المسلمين الأوائل قد مزجوا في دراساتهم التخصصية بين علوم الشريعة والعربية، فكان الدارس لعلوم الشريعة لا يراها بمعزل عن علوم العربية، بل كان المتخصص بالفقه وأصول التفسير والحديث وعلومه مختصاً أيضاً بالنحو والصرف والبلاغة ونحوهما. وخير مثال على ذلك الإمام أبوحنيفة الذي كان ذا باع طويل في اللغة حتى ينسب إليه بعض المصنفات فيها ككتاب المقصود في علم الصرف، والإمام الشافعي الذي كان يحتج بلغته حتى قال الإمام أحمد "كلام الشافعي في اللغة حجة"[٢].

لقد نعى ابن تيمية على الفلاسفة والمذهبيين عدم فهمهم لوظيفة تكامل كل من العلوم الشرعية والكونية في مناهج التربية فقد أدى انشقاقهم وتعصبهم إلى إشاعة الجبرية والكسل وركود العلم والإنتاج وتفرق الناس في ميادين العقيدة والشريعة[٣] ويرى ابن تيمية ضرورة الانفتاح على خبرات الآخرين وحذر من خطورة الانغلاق والانكفاء على علوم الشريعة وحدها، واستشهد بقول عمر بن الخطاب ﷺ: "إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية" وانتهى إلى أن من لم يعرف العلوم بخيرها وشرها، دخل عليه الأثر السلبي منها بسبب جهله بها.[٤]

---

[١] حسن، محمد عبد الغني. ١٩٦١م. *علم التاريخ عند العرب*. مؤسسة المطبوعات الحديثة. ص ١٨-١٩.

[٢] السعدي، عبد القادر. *علاقة الشريعة باللغة العربية*. ص ٢٢٣.

[٣] ابن تيمية. *الفتاوى*. كتاب الأسماء والصفات. ج٥. ص ١٥٦-١٦٢.

[٤] ابن تيمية. *المنطق. علم السلوك*. مجلد ١٠. ص ٣٠٠-٣٠٢.

واقع المقررات بجامعات الدول الإسلامية

يتضح من خلال عدد من الدراسات القَيمة التي أجريت من قبل عدد من الباحثين حول واقع المقررات ومحتوى منهج العلوم الشرعية في عدد من جامعات الدول الإسلامية[1] أن كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية في جامعات الدول الإسلامية تدرس العلوم الشرعية مثل: المدخل إلى علوم القرآن، والمدخل إلى علوم الحديث، والمدخل إلى العقيدة الإسلامية، والمدخل إلى الفقه الإسلامي.. إلخ بالطريقة التقليدية، التي تُدرس بها هذه العلوم بالأزهر - ويراعى في تنظيم المحتوى الأسس التي تراعى في تنظيم المواد الدراسية المنفصلة التي لا تراعي -في الغالب- التكوين الأصولي لنظم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأسرية. إذ يمكن أن نرى جزئيات كل نظام من نظم الحياة مبعثراً مشتتاً في مقررات موزعة في سنوات الدراسة المختلفة. والنتيجة أن الطالب يتخرج وليس لديه تطوراً إسلامياً كامل لحقائق الكون والإنسان، وحقائق الحياة الاجتماعية التي يعيشها.

وقد افتتحت جامعة الإمام محمد بن سعود قسماً خاصاً بالاقتصاد الإسلامي ألحقته بكلية الشريعة - كما استحدثت جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا كلية خاصة بالاقتصاد والمعاملات الإسلامية من أجل بناء الفكر الاقتصادي على أسس إسلامية وإعداد رجال متخصصين في الاقتصاد والبنوك الإسلامية.

وقد خلص أحمد مدكور في دراسته التي أجراها حول المقررات الشرعية في جامعات: الأزهر، الإمام محمد بن سعود، الجامعة الإسلامية في إسلام آباد، دار العلوم بمصر. وقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود، وكليات

---

[1] من أهم الدراسات حول هذا أنظر علي أحمد مدكور، *محتوى منهج العلوم الشرعية في الجامعات*، بحوث مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات، ص ٣٦٣-٣٩٩ ؛ وأنظر أيضاً بكر كارلغا. *مناهج التعليم الديني العالي في تركيا نظرة اصلاحية*. بحوث مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات. ص ٣٧٣-٤٠٤.

الإلهيات بتركيا، وجامعة أم درمان الإسلامية بالسودان إلى نتائج هامة منها[١]:

أ. أن هناك اهتماماً متزايداً في الجامعات الإسلامية بتدريس العلوم الشرعية، وتطوير مناهج هذه العلوم، لتصير أكثر قدرة على تلبية حاجات الطلبة وحاجات المجتمع وأكثر قدرة على مواجهة مشكلات العصر. ومع ذلك فهناك تفاوت في قدرة الجامعات المختلفة على تطويع محتوى مناهج العلوم، كي يؤدي مهمته في هذا الصدد. لكن السمة العامة لمحتوى المناهج أنها تعجز غالباً عن تحقيق الأهداف، وأسباب القصور هي:

١. الدوران حول نصوص القرآن والسنة والعقيدة وأصول الفقه، من خلال مقررات مثل: المدخل إلى علوم القرآن، المدخل إلى علوم الحديث، المدخل إلى علوم العقيدة، والمدخل إلى علوم الفقه.. إلخ وهذه المقررات تستوعب وقت الطلبة وجهودهم كما تستوعب الخطة الدراسية دون أن تدرب الطلبة على كيفية تناول النص من القرآن والسنة بالفهم واستنباط الأحكام وربط ذلك بالحياة.

٢. تدريس العلوم الاجتماعية وتنظيم محتواها في صورة مواد دراسية منفصلة. لا يجمع شتاتها جامع، فالنصوص والموجهات التي تحكم النظام السياسي في الإسلام أو النظام الاقتصادي مثلاً. نجدها مبعثرة بين عدد كبير من المقررات التي يدرسها الطلبة في سنوات مختلفة مما يجعل الربط بين حقائق العلم والتسخير لهذه الحقائق في خدمة الحياة من أشق الأمور على العقول الصغيرة التي ليس لديها رصيد من نصوص القرآن والسنة.

ب. إغفال تدريس العلوم الكونية من خلال العلوم الشرعية، وفصل العلوم الشرعية عن المواد العلمية.

ج. تدرس معظم العلوم الإنسانية – اجتماعية واقتصادية وسياسية وتربوية في

---

[١] مذكور. ص ٣٩٢-٣٩٣.

جامعة الأزهر من منطلقات بعيدة تماماً عن التصور الإسلامي.

د. حشو الكتب التي تدرس في التخصصات الاجتماعية والتربوية والنفسية والعلوم التطبيقية عموماً بنظريات وفلسفات تناقض الدين ... وتدريس هذه الفلسفات والنظريات دون نقد أو تقويم في ضوء التصور الإسلامي الغائب أو المُغيب.

تحليل واقع المقررات الدراسية في جامعات الدول الإسلامية

إن نظرة متفحصة لواقع المقررات الإنسانية والاجتماعية والشرعية في جامعات الدول الإسلامية تمكننا من تقسيم الواقع إلى اتجاهين.

الاتجاه الأول

جامعات تدرس العلوم الشرعية بشكل منفصل نهائي عن العلوم الإنسانية والاجتماعية (المنهج التقليدي) ولا نجد في مقرراتها إلا بعض المواد التربوية ذات العلاقة بإعداد المعلمين.

الاتجاه الثاني

جامعات تحاول تأصيل العلوم الاجتماعية والإنسانية ودمجها بالمقررات الإنسانية والشرعية إلى جانب تعليم التقنيات الحديثة كالحاسوب والفلك وغيرها من العلوم إلى جانب المقررات الشرعية، وتسعى بعض الجامعات إلى وضع برنامج التخصص المساند أو التخصص الثاني إلى جانب التخصص الأصلي، لإحداث عملية التكامل بين العلوم.

وإذا ما أمعنا النظر في المقررات الدراسية في الاتجاه الثاني باعتبار أن الاتجاه الأول خارج عن نطاق التكاملية التي ننادي بها، فإننا نرى أن عملية محاولة خلق التكاملية لم تصل إلى المستوى المنشود، وذلك لأنه لا يزال تستخدم العلوم الإنسانية

والاجتماعية على أهميتها كوسيلة للوصول إلى غاية، أو عبارة عن وضع مقررات دراسية إضافية تثقل كاهل الطالب لأنها تدرس بشكل منفصل، وتكون فرصة تحقيق التكامل مرهونة بمدى قدرات ومهارات أستاذ المادة الشرعية أو الإنسانية أو الاجتماعية، ومدى قناعته بضرورة تلك التكاملية في العملية التعليمية.[١]

وقد يُعد الاتجاه الثاني الذي بذل -ولا يزال- يبذل أنصاره المزيد من المال والوقت في سبيل تحقيقه هو الأكثر سعياً من أجل تحقيق التكاملية مع ملاحظة -هيمنة العلوم الشرعية على العلوم الإنسانية والاجتماعية- رغم الدعوة إلى خلق نوع من الموازنة بين العلمين. إلا أن هذا الاتجاه يمر الآن بمرحلة من الركود بسبب الظروف السياسية والاقتصادية الراهنة، وعلى الرغم من مرور زمن ليس ببسيط للدعوة إلى بسط برنامج أسلمة المعرفة وإسلامية التعليم لتطرح أمام الجامعات الإسلامية!! والدعوة إلى العمل الجاد للمنظمات والحكومات لكي توصي لدى الجامعات ومجامعها العلمية بتبني برنامج أسلمة المعرفة وإسلامية التعليم[٢] إلا أن كل هذه الدعوات لم تتلق فيما يبدو أذن صاغية.وقد يلام في ذلك أصحاب الفكرة أنفسهم فقد اقتصروا على نشر فكرة الأسلمة في عدد محدود جداً من الجامعات لتقديمها كنموذج لبقية الجامعات ولكن هذا أيضاً لم يكتب له النجاح -على الأقل- بالصورة التي كان يتمناها أو يدعي أصحاب الفكرة أنهم حققوه أو سوف يحققونه.

ولنتوقف قليلاً مع عملية التوسع في تدريس مواد الحاسوب ICT في الجامعات والدعوة إلى المضي بسرعة في هذا الاتجاه بحجة أنه سوف يُخرج جيل من العلماء القادرين على مواكبة العصر إننا لا نعارض بأي حال من الأحوال هذا التوجه ولكن عندما ننظر إلى واقع المقررات التي تُدرس تحت هذا العلم لطلاب الشريعة

---

[١] وقد قامت الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بإعداد دورات خاصة لأعضاء هيئة التدريس ومنحتهم درجة دبلوم في غير التخصص الفعلي لكل محاضر، وهي خطوة مباركة لو تم تفعيلها بشكل أفضل من الناحية التدريبية.

[٢] بشير، زكريا. ١٩٨١م. *إسلامية التربية والتعليم*. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ص ١٦٦.

نجد أنها تقتصر على تعليم الآتي:

- مقدمة في علم الحاسوب.
- مدخل لدراسة الحاسوب.
- مبادئ الحاسوب.

وهذه المقررات لن تخدم طالب الشريعة أو على الأقل لن تُخرج لنا علماء قادرين على تسخير علوم الحاسوب في خدمة الشريعة، إذ لا نجد من ضمن هذه المقررات استخدام الحاسوب في الحديث أو في قضايا الفقه، في حين أننا نجد ذلك بوضوح في العلوم الإنسانية والاجتماعية التي قطعت شوطاً لا بأس به في هذا المجال.

إن ذلك القصور في مقررات الحاسوب داخل كليات الدراسات الإسلامية بصفة عامة ناجم -في اعتقادنا- من النظرة القاصرة التي لا يزال عدد كبير من علماء الشريعة وبعض القائمين على أمور الجامعات التي ينظرون بها إلى العلوم غير الشرعية باعتبارها أدوات أو وسائل وليست كل متكامل مع العلوم الشرعية.

فإذا كانت الأدوات البحثية المساعدة كالفهارس المتنوعة والكشافات ... إلخ. كانت إضافة حاسمة لصالح العلوم الشرعية، فإن مرحلة الحاسوب هي تغيير جذري في مفهوم المسافات لا بد أن يتبعه تطوير حقيقي يسهم في تجديد العلوم الشرعية وإحيائها، وليس مجرد تغيير الوسائل من كتاب إلى أقراص ليزر، مع بقاء المادة العلمية نفسها مصاغة بالأسلوب نفسه.دون تفهم حقيقي إلى أن التطوير الأداتي لابد أن يصحبه تطوير حقيقي يساعد على النهضة العلمية وليس العكس.[1]

لذا "فلابد من وعي ثقافي وفلسفي ومعرفي عميق -وليس فقط وعي تقني- بطبيعة المواصلات الثقافية الحديثة، لأن صياغة العلوم الإسلامية باستخدامها في ظل عدم الوعي لذلك أو العمل تحت ألا وعي -اللهم إلا الوعي التقني- يجعلنا أبداً توابع

---

[1] الزفتاوي. ١٦٨.

ثقافياً، دون خدمة حقيقية للعلوم الإسلامية تخرجها من حجر الجمود ...".[١]

وعند الإطلاع على الكثير من برامج الجامعات وجدنا أنها قررت في أقسام الشريعة والدعوة وأصول الدين في كلياتها ومعاهدها تدريس اللغة العربية: نحوها، وصرفها، وبلاغتها ساعات نراها لا تناسب مع تضلع الدارس للشريعة في علوم هذه اللغة، وبعض تلك الأقسام قد أغفل فيها تقرير مادة اللغة وكان ذلك على مختلف مراحل الدراسة الجامعية[٢]. هذا هو الواقع الذي عليه المقررات باختصار في جامعات الدول الإسلامية.

العثرات التي تقف في وجه تفعيل التكامل

إن علاقة المقررات الشرعية بالعلوم الاجتماعية والإنسانية في جامعات الدول الإسلامية تمر الآن بوضع محدد ومضطرب وبطيء الحركة، وتواجه عقبات ينشؤها كثير من القائمين على أمر التدريس في الجامعات. إلى جانب عثرات أخرى تعترض عملية تفعيل التكامل بين المقررات الشرعية والعلوم والمعارف الإنسانية والاجتماعية بشكل صحيح وسريع منها:

١. إن قيام علم نفس إسلامي الطابع كخطوة نحو تأصيل هذا العلم –على سبيل المثال– لا تتم إلا إذا قام العلماء المخلصون بأبحاث تجريبية وميدانية مكثفة على طول العالم الإسلامي وعرضه بالطريقة التي تسمح في المستقبل للمنظرين النفسانيين المسلمين بوضع نظريات من أصول تجريبية وميدانية طبقت على أفراد مؤمنين... لذلك لا يمكن تأسيس علم نفس إسلامي ما لم يكن تحت أيدينا العدد الكافي من نتائج الأبحاث التجريبية

---

[١] المرجع نفسه.

[٢] للمزيد من المعلومات حول تكامل اللغة العربية مع العلوم الشرعية. انظر توفيق حمارشة. ص ١٨٥–١٨٧؛ وانظر أيظاً عبد القادر السعدي. ص ٢٢٣–٢٣٤.

الإسلامية لوضع النظريات المناسبة.[١]

٢. ربط بعض المؤسسات الإسلامية فكرة التكامل بفكرها الذي تنادي به والتعصب له إذ يقول أحد المنادين بفكرة أسلمة العلوم "إن هذا التكامل بين المعارف الشرعية والمعاؤف الإنسانية والاجتماعية المعاصرة يمثل جزء لا يتجزء من مشروع التأصيل الإسلامي الكبير الهادف إلى إسلام العلوم والمعارف الإنسانية والاجتماعية المعاصرة بفلسفتها ومناهجها ومنطلقاتها ..."[٢]. ويقر صاحب الفكرة بنفسه بالصعوبات التي تواجه ما ينادي إليه فيقول: "إذ أنه من المشاهد أن ثمة صعوبة بالغة في الوصول إلى إسلام عاجل لكثير من العلوم والمعارف الإنسانية المعاصرة، وذلك نتيجة للعقبات الفكرية والسياسية والاجتماعية التي تعرقل سير إسلام المعرفة في العصر الحاضر من سائر الجهات والمرافق والأدوات في جميع أنحاء العالم الإسلامي وغير الإسلامي"[٣]. ومثل هذه الدعوة قد لا تشد أنظار المتخصصين في العلوم الإنسانية والاجتماعية نحو احداث عملية التكامل أو الدمج التام التي ندعو إليها.

٣. تمسك بعض العلماء بالنظر إلى العلوم الإنسانية على أنها ليست أكثر من أداة، خاصة اللغة العربية، فيقول مثلاً توفيق حمارشة: "إن علاقة اللغة العربية بالعلوم الشرعية هي علاقة الوسيلة بالغاية والوعاء بالمحتوى"[٤] ونحن نعلم مقدار العلاقة بين الشريعة واللغة العربية، ويكفي دلالة على ذلك أن الله

---

[١] بدري، مالك. ١٩٨١م. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ص ٣٨٠ وهناك محاولة قيمة للدكتور رمضان محمد القذافي في كتابه علم النفس في الإسلام للربط ما بين الإسلام وعلم النفس الحديث. ولكن تنقص محاولته تلك الجانب التجريبي الذي أشار إليه الدكتور مالك بدري في دراسته. وقد نشر الكتاب سنة ١٩٩٩م عن طريق جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالجماهيرية الليبية. والكتاب مقرر بجامعة الفاتح وكلية الدعوة الإسلامية بطرابلس لطلاب قسم علم النفس.

[٢] سانو، قطب مصطفى. ص ٩.

[٣] سانو، ص ١٠.

[٤] حمارشة، توفيق. *علاقة علوم الشريعة باللغة العربية*. مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات الواقع والطموح. ١٩٨٤. الأردن. ١٩٩٥م ص ١٨١.

تعالى قد ذكر نزول القرآن بهذه اللغة في احدى عشرة آية، إلى جانب تلك الصلة القوية التي تجمع بين المسائل النحوية، لأن النحو من فنونها، كما أن للأبحاث اللغوية أثر واضح في أحكام الفقه الإسلامي وارتباط الأحكام الفقهية بالمسائل اللغوية يتحقق في مناحي شتى، من أبرز ذلك العلاقة بينهما في الاشتراك والتضاد وفي العموم والخصوص وفي الإطلاق والتقييد[١].

٤. ترسخ بعض المعلومات والمفاهيم الخاطئة حول العلوم الإنسانية والاجتماعية في أذهان بعض علماء الدين، فعلى سبيل المثال إقتران علم النفس باسم فرويد الملحد اليهودي، وعلم الاجتماع باسم دوركايم وماركس اليهوديان.في أذهان كثير من العلماء والمثقفين المسلمين هي التي تجعل بعض هؤلاء المثقفين والمفكرين وبعض علماء الدين يتخذون موقفاً سلبياً، وقد يكون عدائياً من العلوم الاجتماعية، وهذا الموقف السلبي ليس إلا رد فعل عاطفياً غالباً ما يتسم بالتعميم والتبسيط[٢]. كما تقترن أيضاَ صورة العلوم الشرعية بشكل خاطئ في أذهان بعض علماء العلوم الاجتماعية والإنسانية بأنها علوم جامدة ودليل على التخلف وخاصة عند الملحدين والعلمانيين.

اقتراحات عامة لتفعيل التكامل بين المقررات الشرعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية[٣]

١. العناية بتدريس اللغة العربية في كل المجالات المعرفية.

٢. ضرورة التوسع في التخصص الفرعي لكل من طلبة الشريعة والعلوم الإنسانية

---

[١] السعدي، عبد القادر. ص ٢٢٨.

[٢] عشوي، مصطفى. ص ٥٥.

[٣] للمزيد انظر محمد محمد امزيان. ١٩٨١م. *منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية*. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. سلسلة الرسائل الجامعية. ج٤. ص ٢٢٦-٢٢٧.

والاجتماعية. وهذا التخصص الفرعي يمهد للطالب سبل الاجتهاد والمشاركة العلمية الواعية في تقديم الصورة الإسلامية أو البديل الإسلامي في هذا الحقل في المستقبل القريب[١]. مع التركيز على الجانب التدريبي العملي وعدم الإكتفاء بالجانب النظري وحده أثناء تدريس المقررات.

٣. إعداد محاضرين قادرين على تفعيل ودمج المقررات واستغلال العلوم في مجالها الصحيح.

طرق ونماذج لتحقيق التكامل بين العلوم الإنسانية والاجتماعية والمقررات الشرعية[٢]

بادىء ذي بدء لابد من الإشارة هنا إلى أمر مهم للغاية وهو أن الاقتراحات التي قدمها العلماء المسلمون لتحيق التكامل ما تزال اقتراحات يغلب عليها الطابع المثالي، ولا تقدم حلولاً علمية لتقدم هذه العلوم في العالم الإسلامي، إلا إذا استثنينا بعض الجهود التي بدأت تتبلور في بعض المؤسسات والمعاهد والجامعات، لتصميم منهاج دراسي يحقق الاندماج أو التكامل بين معارف الوحي (الدراسات الشرعية)، والعلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة، وذلك لإزالة التنافر بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية الحديثة[٣].

إننا نرى إمكانية تحقيق التكامل بوضع مقررات جديدة تكون فرصة تحقيق التكامل فيها أكبر بين العلوم الشرعية والإنسانية والاجتماعية مثل[٤]:

فقه التنزيل أو علم التنزيل: بحيث يتضمن هذا العلم دراسة الشروط الاجتماعية

---

[١] زرزور، عدنان محمد. ١٩٩٤م. *منهجية التكامل مع علوم الشريعة في ضوء التحديات المعاصرة*. بحوث مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات الواقع والطموحات، الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ١٩٩٥م. ج١. ص ١٣٩.

[٢] للمزيد من الأمثلة حول تكامل العلوم الشرعية مع العلوم الإنسانية والاجتماعية. انظر علي أحمد بابكر. ص ٤٩٢-٤٩٣.

[٣] عشوي. ص ٦٦.

[٤] زرزور، عدنان محمد. ص ١٣٥.

للتنزيل أو تطبيق الأحكام، خاصة مع الحاضر الذي نعيشه، وقد يتضمن كذلك مسألة مرحلية الأحكام المتعلقة بالدولة، وعلاقاتها بالدول والمجتمعات الأخرى غير المسلمة.

الفقه الحضاري: أو قيم الحضارة الإسلامية وأعلامها، ويتضمن هذا المقرر الحديث عن القيم الكبرى والمعاني الإنسانية الجامعة التي حملها الإسلام إلى العالم كالتسامح الديني والتعددية، وحقوق اللإنسان والتكافل الاجتماعي.. وسائر اسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية إلى جانب لمحة عن أعلام الحضارة الإسلامية.

علم الاجتماع الإسلامي

إن الهدف الأساسي من إيجاد "علم إجتماع إسلامي" هو صياغة وتوضيح النظرية الاجتماعية الإسلامية، فالإسلام نظام اجتماعي شامل وكامل، بل هو فريد من نوعه وليس هناك نظاماً يشبهه، وإذا إستثنينا بعض الأحكام الأخلاقية الخاصة بالأفراد أو بعض العبادات التي قد يبدو لأول وهلة أنها ليست اجتماعية، كالصوم والصلاة، وإن كانت في نتائجها وتبعاتها إجتماعية، فكل العبادات إجتماعية: الزكاة والحج، الزواج والطلاق.. الخلافة، وفي نهاية المطاف الأمة التي هي وسيلة وغاية في الوقت نفسه. ولكن النظام الاجتماعي الإسلامي يرتكز على ركيزة واحدة ووحيدة هي الله سبحانه وتعالى. فالتوحيد بكل ما تقتضيه هذه الكلمة من عظمة وجلال، هو العمود الفقري للنظرية الاجتماعية الإسلامية. فوحدانية الله سبحانه وتعالى تتراءى في وحدة الناس بالرغم من اختلاف ألوانهم وألسنتهم وطاقاتهم العقلية وأصولهم البيولوجية، فهم جميعاً من آدم وآدم من تراب، والأمة الإسلامية لا تتكون من أصول عرقية أو قومية أو جغرافية أو تاريخية.. وليست وقفاً على شعب معين أو سلالة خاصة، فهي عبارة عن مجموعة شعوب وأمم ودول ذات عقيدة واحدة و"أيديولوجيات" عدة وبالتالي فهي مفتوحة لكل الناس شريطة أن يؤمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً يقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ

اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: ١٣.

لذلك فالمطلوب علم اجتماع إسلامي نابع كلية من قضايا الإسلام فهماً وتحليلاً، آنياً ومستقبلياً، فكراً وممارسة، وبالتالي فهو يستطيع حينئذ منافسة النظم التحليلية الأخرى بكامل الحرية والثقة. أما أن يكون كما هي العادة في الدراسات الجامعية - مكتفيا بنقل وتطبيق مناهج وأطر فكرية أنشئت داخل بيئة اجتماعية وثقافية مختلفة تماماً بل متناقضة كلية مع المجتمع الإسلامي المنشود، فذلك شيء لا أرى له أية أهمية ولا حتى ضرورة.

إن الذي ينبغي التأكيد عليه في هذا المقام، هو أن دور علم الاجتماع الإسلامي، ليس فقط في تكامل المعرفة الإسلامية، بل في تعميقها وإعطائها النفس الجديد الذي هي في حاجة إليه، دور أساسي وحاسم. إذ طبيعة علم الاجتماع نفسها تحتم أن يكون علماً نقدياً متحركاً، عاملاً على تعرية الآليات التي تتحكم في سير البنى الاجتماعية. كما أنه يفضح الأيديولوجيات بإظهار جذورها، وإن كان استعمل في الغرب لتسويغ أيديولوجيات وفلسفات معينة. ولكن هذا لا يعني أبداً أن علم الاجتماع هو المفتاح السحري لكل شيء، فهو واحد من بين كل العلوم الاجتماعية، التي يجب الاهتمام بها من طرف الإسلاميين، وإن كانت مساهماته هامة، فهي تبني بدون فائدة إذا لم توجد البيئة الاجتماعية والنفسية التي تساعد على فعاليته.

ومن الأمثلة الأخرى التي يمكن إيرادها في كيفية تحقيق التكامل بين المقررات الشرعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية ما يلي:

مادة التفسير

أن تكون المادة التي تُدرَّس ملائمة للعصر، بحيث يعيش الدارس مع آيات القرآن الكريم، وكأنها الآن أنزلت، فلكل زمان تفسير وفهم، وصدق ابن مسعود في بيانه عن القرآن: [لا يَخْلَق -لا يبلى- عن كثرة الردّ]. وعوضاً عن أن تكون

مادة التفسير حشواً للذاكرة بالمعلومات، وأقوال المفسرين المختلفة فقط، تكون هذه المادة متلائمة مع حياة المسلمين في كل زمن، وتوجههم للعمل والدعوة والحياة السعيدة.

وإذا ما بدأنا بإصلاح المقررات في المجالين من خلال ربط آيات القرآن بواقع الحياة وحاجات العصر، ودقائق العلوم، نكون قد وضعنا أنفسنا على الطريق القويم، والمنهج السليم. والنتيجة من ذلك، أن هذا المثقف المتعلم، وبعد أن يوسع دائرة علمه وثقافته لن ينسى ما مرّ معه من تأصيل المعارف في ذهنه عن طريق حفظه لكلام الله والعمل به. والتاريخ أمامنا شاهد على صدق هذا المنهج، وصلاحية هذا الأسلوب: الجمع بين علوم الشريعة وعلوم الحياة. فهذا ابن سينا، والرازي، والفارابي، والخوارزمي، وغيرهم، كيف كانت بداية دراستهم!!

الفقه

إذا كان موضوع الفقه هو أفعال المكلفين؛ وهو السلوك الفردي والاجتماعي وما ينتظم ذلك كله من علاقات، علاقة الفرد بربه (عبادات) وعلاقته بالمجتمع (معاملات)، فإن هذا هو الذي يكون الواقع الذي يتزّل عليه الحكم الشرعي، ولا يستطيع الفقيه أن يتزل حكماً على شيء من هذا الواقع إن لم يكن على دراية تامة به، والحكم على الشيء، كما يقول المناطقة، فرع عن تصوره. فالفقيه إنما هو الفقيه بأحوال عصره وأوضاعه وثقافته واتجاهاته وعاداته، ومشاكله اليومية ومستجدات الحياة وتطورها فيه، فكل زمن له حاجاته ومستواه الحضاري، إن الإمام الشافعي رحمه الله (١٥٠-٢٠٤هـ) واضع اللبنة الأساسية في أصول الفقه أشار في رسالته: "لا يحل لفقيه عاقل أن يقول في ثمن درهم، ولا خبرة له بسوقه"[١].

وينقل ابن القيم رحمه الله (ت٧٥١هـ) عن الإمام أحمد رحمه الله (١٦٤-٢٤١هـ)

---

[١] الشافعي، محمد بن ادريس. ١٩٧٩م. *الرسالة*. تحقيق أحمد شاكر. القاهرة: ص٥١١.

إن من خصال المفتي الضرورية "معرفة الناس" وعلق على ذلك: "فهذا أصل عظيم يحتاج إليه المفتي والحاكم ... بل ينبغي له أن يكون فقيهاً في معرفة مكر الناس وخداعهم واحتيالهم وعوائدهم وعرفياتهم، فإن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعوائد والأحوال، وذلك كله من دين الله"[١].

والعلم الذي يتناول هذه القضايا هو العلم الاجتماعي، بل العلوم الاجتماعية والنفسية والتربوية، وقد أشار يوسف القرضاوي إلى ضرورة هذه المعرفة، إذ كيف يستطيع المجتهد أو المفتي أن يحكم في قضايا الاجهاض وقضايا الهندسة الوراثية والجينات وعوامل الوراثة إن لم يطلع على مستجدات العلم الحديث عن الحيوانات المنوية والبويضة؟، وأن أية دراسة اسلامية تستبعد هذه العلوم من مناهجها لا يمكن القول بأنها تكوّن رجالاً ذوي أهلية للاجتهاد[٢].

ويرى حسن الترابي أنه كما لا يمكن أن يجتهد في الفقه الإسلامي من لم تكن له دراية بعلوم الشريعة، فلا يصح كذلك أن يجتهد في الشريعة، من لم يكن على علم وتمكن من العلوم الإنسانية والاجتماعية تمكناً كافياً: "لا يمكن أن نجتهد إلا إذا تعلمنا علوم الطبيعة كما نتعلم علوم الشريعة ذلك إن علم الطبيعة يقصد (به) ما يصطلح عليه بالعلوم الانسانية والتطبيقية هو الذي يعرفك بالواقع وإدارته، ومهما حصل لك من العلم الديني بمعالجات الشريعة وبأدوية الشريعة، فلابد لك من تشخيص المجتمع لتعلم الداء، ثم تقدّر ما هو الدواء الشرعي، الذي يناسب ذلك المجتمع، وذلك يستدعيك أن تدرس المجتمع دراسة اجتماعية اقتصادية، وأن تدرس البيئة الطبيعية ... حتى تستطيع أن تحقق الدين بأكمل ما يتيسر لك"[٣].

---

[١] ابن القيم. *إعلام الموقعين عن رب العالمين*. ج٤. ص ٢٠٤.

[٢] القرضاوي، يوسف. *الاجتهاد في الشريعة*. ص ٤٨.

[٣] الترابي، حسن. ١٩٩٠م. قضايا التجديد- *نحو منهج أصولي*. الخرطوم: معهد البحوث والدراسات الاجتماعية. ص ١٧٦-١٧٧.

وهذا أمر يكاد يتفق عليه الذين كتبوا في التجديد من المعاصرين كما أشار إليه بعض القدماء أيضاً كالشاطبي (ت٦٩٠هـ) في موافقاته وغيره. فبسط الحكم الشرعي على الواقع يتوقف على معرفة هذا الواقع معرفة كافية، ولكن ينبغي الآن في عصرنا الذي تعقدت فيه المشكلات، وتشعبت المعارف أن لا يقتصر المجتهد على هذه المعارف العامة، بل ينبغي له أن يتخصص في الشريعة، وفي الواقع الذي يجتهد فيه، كأن يكون عالماً بالشريعة وبالاقتصاد، أو بالشريعة والهندسة الوراثية، حتى لا ينفصل الدين عن الحياة ومجراها، الذي لا يتوقف عن الصيرورة والتغير، ولا يبقى الفقيه يردد أحكاماً مجردة في ذهنه أو في كتبه يحفظها، ولكن ليس لها صلة واضحة بواقع الناس. فهذه المعارف الإنسانية التي تعنى بدراسة الإنسان من جميع نواحيه عناصر مهمة في منهج المجتهد، وتطلعه إلى أن يرعى مصالح الأمة، كما يرعى النصوص التي يتزلها على واقع الحياة، وبذلك يأخذ المجتهد في منهجه بمعطيات الشريعة ومقاصدها والمصالح المعتبرة فيها، كما يأخذ بمعطيات عصره ومشاكل الناس التي هي موضوع الحكم الشرعي ومحله وموقع تنزيله.

وكما تعد المصلحة من أهم أسس العلاقة بين الشريعة والعلوم الإنسانية، فكل العلوم الإنسانية والاجتماعية ولا شك أنها تهدف إلى تحقيق شيء ما للإنسان، ولايتصور أن تكون عبثاً. ومقاصد الشريعة الإسلامية وعللها تتلخص في تحقيق المصلحة الإنسانية. فإذا نظرنا إلى مبادئ علم من العلوم ومقاصده وتفصيلاته وقارنا ذلك مع نظرة الشريعة للأمر نفسه فسنجد إما اتفاقا مع الشريعة أو مخالفة لها. وبناء على ذلك تحدد العلاقة مع الشريعة إن كانت علاقة إتقان، أو علاقة منافرة. فعلم الاقتصاد مثلاً، الذي يتكون من مجموعة نظريات وأحكام فقهية تنظم مسار المال ومصادره ووسائل تنميته والتعامل معه، يهدف لتحقيق مصالح الناس في هذا المضمار والشريعة اشتملت على الأحكام التي تكون هذا العلم وهي تستند على قواعد عامة أو على أحكام جزئية مثل إباحة البيع والشراء ووجوب القيام بالزراعة، وتحريم التطفيف

بالكيل والميزان وتحريم الاحتكار... إلخ، أو على علل وحكم تشريعية، والمجتمع المسلم مطالب بأن تتفق مقاصد الاقتصاد فيه مع مقاصد الشريعة، وإذا لم يحدث ذلك وكان علم الاقتصاد مختلفاً في مبادئه ومراميه مع الشرع ويهدف لتحقيق غايات أخرى تتعارض مع الشرع تكون العلاقة هنا بين الشريعة وهذا العلم علاقة اختلاف وتقف الشريعة بأحكامها ومقاصدها ضد مسار هذا الأمر[١].

إن الشريعة الإسلامية لا تساير أفعال الناس وعاداتهم فتقرها، وإنما تضع المنهاج الذي لا تضارب فيه ولا مفسدة، وقد تتفق العلوم الإنسانية في حركتها مع منهج الشرع فتقرها الشريعة، وقد نجد في حركة هذه العلوم ما يتعارض مع منهج الشرع فيقوم الشرع ويضعه في لطريق السليم.

علم النفس

عرض الدكتور العاني خلال محاضرة ألقاها بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بعنوان (نحو منهجية تكاملية بين الفقه وعلم النفس) يوم ١٩٩٨/٧/١٧م عدة نقاط هامة توجب تكامل الفقه وعلم النفس لحل كثير من القضايا العالقة خاصة القضايا المتغيرة ولعل من أهمها:

ما الفرق بين علامات البلوغ والبلوغ ذاته؟ هل البالغ راشد؟ وما علاقة الرشد بالبلوغ؟ ومن هو المجنون، صفاته خواصه، ومحدداته. ما هو الموقف الفقهي من المريض النفسي: العصابي والذهاني؟ هذه أمثلة وغيرها يرى في علم النفس المعاصر إجابات واضحة محددة تقوم على الحس والمشاهدة والتجربة، ويرى الفقه المعاصر غائب عن هذه الساحة، ووجوده فيها من الضرورة بمكان. ثم يقول: لا مندوحة عن التكامل بين الإثنين للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها إجابة شرعية معاصرة".

---

[١] بابكر. ص ٣٩١-٤٩٣.

تكامل العلوم الشرعية مع العلوم الاجتماعية والإنسانية في إطار الفلسفة والمنهج والموضوع

يستلزم هذا التكامل ضرورة إعادة بناء هذه المعرفة الإنسانية والاجتماعية وفق أسس توحيدية ناصعة ترى في الوحي الإلهي الأزلي مصدراً دائماً وأساساً لفلسفات المعارف وأهدافها وغاياتها.

تكامل العلوم الاجتماعية والإنسانية في إطار المنهج[١]

ويمكن تحقيق التكامل في هذا الجانب من خلال الإستفادة من إلتقاء منهج الاستنباط المتبع في العلوم الشرعية، مع منهج الاستقراء المتبع في العلوم الاجتماعية والإنسانية، بحيث تصبح العلوم الشرعية مجالاً لاستنباط فرضيات من طرف العلماء الاجتماعيين المسلمين واختبارها في الواقع، ويصبح التراكم المعرفي الذي ينتج عن العلم التجريبي أو الوصفي في إطار العلوم الاجتماعية مجالاً للتنظير واستخلاص القواعد والقوانين العامة للسلوك الفردي والجماعي من طرف علماء الشريعة.[٢]

ومن ثم فليس من الأمر المنكور في أن المعرفة الإنسانية والاجتماعية تحتاج إلى تطعيم بايجابيات المعرفة الشرعية في إطار المنهج، ويمكن أن يتم ذلك من خلال توظيف العديد من المناهج البحثية التي تصبح بها المعارف الشرعية وخاصة المعرفة الأصولية والمعرفة الحديثية، فثمة أدوات بحثية شرعية معتبرة، يمكن توظيفها في الدراسات الاجتماعية والإنسانية المعاصرة، بغية الوصول إلى ضبطٍ محكَّم للآثار المترتبة على الظواهر المادية التي تطرأ على حياة الإنسان وتؤثر فيها، وبغية تسخير

---

[١] يقصد بالمنهج تلك المنظومة الفكرية الاجرائية والمعرفية التي يستعين بها الباحث من أجل الوصول إلى مبتغاه من البحث. وتكون هذه المنظومة من مجموعة من الأدوات البحثية التاريخية والتحليلية والوصفية والتجريبية وتؤثر الفلسفات في توجهات هذه المناهج وفرضياتها وأساسياتها. سانو. ص ١٧.

[٢] عشوي. ص ٨٠.

نتائج الدراسات المختلفة لمصلحة الإنسان المكلف بعمارة الكون "[١]

تكامل العلوم الاجتماعية والإنسانية من حيث الموضوع

نقصد بهذا التكامل تكاملها في القضايا الأساسية التي تتمحور حولها كل واحدةٍ منهما، فمن المعلوم أن المعارف الشرعية تعنى بالتركيز على نصوص الوحي بشقيه -الكتاب والسنة- وتحاول تقديم تفسير لها، وأما المعارف الإنسانية فإنها تتركز حول الإنسان والظواهر المحيطة به، وتحقيقاً لمبدأ التكامل، فإنه من الممكن أن يتم توسيع دائرة اهتمام المعارف الشرعية من التركيز على النص فقط إلى التركيز على النص والجهة التي يخاطبها النص الشرعي وهي الإنسان، بحيث تتم بلورة الدراسات التي تعنى بالكشف عن هذا الإنسان والواقع الذي يعيش فيه والظروف التي تؤثر فيه، على أن تقوم فكرة التكامل هنا على ضرورة الربط بين الحكم ومحل تطبيقه، نعني أنه إذا كانت الدراسات الشرعية تروم الوصول إلى الحكم الشرعي في معظم الأحيان، فمن الممكن الاستفادة من الدراسات الإنسانية والاجتماعية بغية الوصول إلى فهم دقيق لمحل تنزيل الحكم وتطبيقه[٢].

تحقيق التكامل على مستوى الفلسفة[٣]

يقول قطب سانو: "وأياً ما كان الأمر، فإن التكامل المنشود اليوم بين المعرفة الشرعية والمعرفة الإنسانية في إطار الفسلفة، لابد من البدء فيه واستفراغ الوسع في

---

[١] يرى سانو أن من الأدوات القادرة على تحقيق التكامل المنهجي بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية: الاستحسان، الاستصحاب، وإشارة النص.. إلخ ويرى بأن استخدام هذه المناهج وغيرها سيكون له فائدة كبيرة في تفسير الظواهر الإنسانية والنفسية والاقتصادية والقانونية والتي تقوم العلوم الإنسانية والاجتماعية بدراستها. ص ١٨.

[٢] للمزيد من الأمثلة حول تكامل العلوم الشرعية مع العلوم الإنسانية والاجتماعية من حيث الموضوع أنظر عشوي. ص ٧٩-٨٠.

[٣] للمزيد حول هذا الموضوع، يراجع البحث القيم الذي نشره الأستاذ الدكتور قطب مصطفى سانو. في مجلة تفكر. العدد ١ المجلد ٣ ٢٠٠١م ص ١٤-١٦.

تحقيقه بصورة عاجلة إنقاذاً للمعرفة الإنسانية من الفراغ الروحي والقلق النفسي الذي تعيش فيه هذه المعرفة والمفتونون بها وبأهدافها وغاياتها المادية البحتة".[١]

إن التكامل بين المعرفة الشرعية والمعرفة الإنسانية والاجتماعية المعاصرة يمكن أن يتمركز في هذا الإطار حول سبل تطعيم المعرفة الإنسانية بفروعها وومناهجها بالفلسفة الناصعة التي تنطلق منها المعرفة الشرعية وهي الكتاب والسنة الصحيحة والعقل المهتدي بمقتضيات الوحي، ويستلزم هذا التكامل بين الفلسفتين ضرورة إعادة بناء المعرفة المتكاملة وفق أسس توحيدية ناصعة ترى في الوحي الإلهي الأزلي مصدراً دائماً وأساسًا لفلسفات المعارف وأهدافها وغاياتها.

إن تحقيق ذلك التكامل سواء من حيث المنهج أو الموضوع والفلسفة يجب عدم قبول هيمنة أصحاب أي علم على أصحاب علم آخر إلا بالدليل الشرعي والعقلي أو بالجمع بين الدليلين (الشرعي والعقلي) ودون هذا التكامل فإن الوقوع في عملية الانفصال والخلط بين موضوعات العلوم ومناهجها من جهة وأهداف هذه العلوم من جهة أخرى، فضلاً عن احتمال الوقوع في هيمنة مناهج بعض العلوم على مناهج علوم أخرى، بل واحتمال هيمنة سلطة الفقهاء وعلماء الدين على بقية العلوم والمختصين في الميادين الأخرى وخاصة ميادين العلوم الاجتماعية، مما سيؤدي إلى توقف أي تطور نوعي في هذه الميادين، كما أن هيمنة العلمانيين على زمام الأمور العلمية وغيرها أدى ويؤدي إلى استبعاد أي تأثير معرفي للدين[٢].

ومهما يكن من شيء فإن ثمة مجالات ومستويات عديدة لتحقيق التكامل المنشود بين المقررات الشرعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية ولا يتسع المقام لسردها.

---

[١] سانو، قطب. ص ١٨. للمزيد حول هذا الموضوع أنظر مصطفى عشوي. ص ٧٨-٨١.

[٢] عشوي. ص ٥٩-٦٠.

الخاتمة

إن التكامل بين المقررات الشرعية والمقررات الإنسانية باستفادة كل واحد منها بما تتضمنه الأخرى من إيجابيات، أمر مطلوب يحتاج إليه في هذا العصر أملاً في تحقيق تكامل حقيقي يقوم على التخلص من الفصل المفتعل بين المعارف الشرعية والمعارف الإنسانية.

إن الدعوة إلى تكامل المقررات الشرعية مع العلوم الاجتماعية والإنسانية في إطار الفكر الإسلامي هو الذي سيؤدي إلى تأصيل العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة تأصيلاً إسلامياً من جهة، وتجديد العلوم الشرعية من جهة أخرى؛ وذلك نتيجة لتلاقح هذه العلوم.

ونخلص القول بأن المعارف الشرعية يمكن لها أن تتكامل مع إيجابيات وحسنات المعارف الإنسانية على مستوى المنهج والأدوات البحثية وعلى مستوى الموضوع ونقطة الاهتمام والتركيز.

ولكن قبل كل هذا وذاك فإننا بحاجة إلى أن نزيل الخوف الذي في أنفسنا، وأن نطور ابتداءً من طرق التدريب على المناهج وكيفية تحصيلها، مع تطوير ما يحتاج إلى تطوير من هذه المناهج.

التوصيات

١. الاستفادة من المعارف والعلوم المعاصرة في المقررات الشرعية.

٢. تأصيل العلوم الإنسانية والاجتماعية في ضوء المبادئ الإسلامية. بحيث تعرض الحقائق والنظريات والفروض والتعميمات -التي تقدمها هذه العلوم- على التصور الإسلامي لحقائق الألوهية والكون والإنسان والحياة لاختبارها والوقوف على ما يتفق أو يختلف مع هذا التصور الإسلامي.

٣. إعادة تصحيح مناهج العلوم الشرعية والعلوم الإسلامية الاجتماعية في

جميع مراحل التعليم بطريقة تكاملية حتى تستوفي مطالب وحاجات الطلاب ونوعية المشكلات التي يواجهونها في حياتهم.

٤. ربط المقررات الشرعية بالبيئة وإضفاء روح من الحيوية والتجديد وروح الابتكار عليها.

٥. دوام مراجعة وتجديد ومواكبة آليات وأدوات البحث في كل من العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية في ضوء التغيرات والتطورات التي تطرأ على آلياتها وأدواتها نتيجة التغيرات والتطورات المتجددة الوقوع على مسار الحياة الإنسانية.

٦. الاهتمام باللغة العربية والعمل على أن تكون لغة مباشرة تتسم بالوضوح قراءة وفهما عند تأليف كتب اللغة العربية والمقررات الجامعية الأخرى لتتلاءم مع مستوى الطلاب.

٧. أن تتخطى الجامعات تعليم الحاسوب لإعداد الفهارس إلى خدمات حقيقية تستغل إمكانيات الحاسوب.

٨. عدم التطرف في رفض كل ما هو غير إسلامي والاستفادة من التراث الإنساني بالعدل والإحسان.

٩. تصميم مناهج جامعية تحقق الاندماج والتكامل (Integration) بين المعرفة الشرعية والتخصص في العلوم الاجتماعية والإنسانية، مع إعداد الكتب والقراءات المناسبة لكل تخصص من طرف الخبراء والمتخصصين.

١٠. ضرورة تخلص علماء الشريعة وعلماء العلوم الاجتماعية والإنسانية من مشكلة النقد الانفعالية، لتتيسر عملية الاندماج والتكامل.

١١. لا بد أن تتجه الجامعات نحو تخريج باحثين وعلماء يثبتون ويبلورون منهج -التكامل المعرفي- بين العلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية والإنسانية من جهة، ومنهج التكامل والتفاعل لمختلف العوامل التي تتدخل في تشكيل الظواهر

النفسية والاجتماعية من جهة أخرى. كما يستدعي الأمر تخريج أجيال من المتخصصين في العلوم الاجتماعية والإنسانية ذوي دراية وعلم بالوحي مصدراً للمعرفة، وذوي إدراك للواقع النفسي والاجتماعي (الأبعاد الحضارية والثقافية)، وبالمنهج العلمي عند دراسة أية ظاهرة في مجال تخصصهم.

هذا ما استطعنا عمله في هذا البحث، فما كان فيه من صواب فهو من محض فضل الله وتوفيقه، وما كان فيه من زلل وخطأ فمن نفسي وتقصيري، وأسأل الله العفو والمغفرة، فإن الجواد قد يكبو، وإن الصارم قد ينبو، وإن النار قد تخبو، وإن الإنسان محل النسيان، وإن الحسنات يذهبن السيئات. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

امزيان. محمد محمد. ١٩٨١م. *منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية*، المعهد العالمي للفكر الإسلامي. سلسلة الرسائل الجامعية رقم ٤.

بابكر. علي أحمد. ١٩٩٥م. *علاقة علوم الشريعة بالعلوم الاجتماعية والانسانية المعاصرة*، ج٢. عمان، بحوث مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات.

بدري.مالك. ١٩٨١م. *علم النفس الحديث من منظور إسلامي*. المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

بشير. زكريا. ١٩٨١م. *إسلامية التربية والتعليم*. المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

الترابي. حسن.١٩٩٠م. *قضايا التجديد- نحو منهج أصولي*. معهد البحوث والدراسات الاجتماعية، الخرطوم، السودان.

حسن. محمد عبد الغني. ١٩٦١م. *علم التاريخ عند العرب*. مؤسسة المطبوعات الحديثة.

حسين. أحمد إلياس. ٢٠٠١م. *نحو مفهوم إسلامي لعلم التاريخ*. الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

حسين. أحمد إلياس. ١٤١١هـ. *منهج البحث التاريخي عند الكافيجي في رسالته المختصر في*

علم التاريخ. مجلة كلية التربية، جامعة الخرطوم.

حمارشة. توفيق. ١٩٩٥م. *علاقة علوم الشريعة باللغة العربية*، مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات الواقع والطموح، ١٩٨٤، الأردن.

زرزور. عدنان محمد. ١٩٩٥م. *منهجية التكامل مع علوم الشريعة في ضوء التحديات المعاصرة*، بحوث مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات الواقع والطموحات، الأردن ١٩٩٤م ج١ المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

الزفتاوي. عصام أنس. محرم ١٤٢٣هـ ابريل ٢٠٠٢م.*نظرات في مشكلات التصنيف في العلوم الإسلامية*. مجلة المسلم المعاصر. السنة ٢٦. العدد ١٠٤.

سانو. قطب مصطفى. ٢٠٠١م. *التكامل بين الفكر المقاصدي ومناهج البحث في العلوم الإنسانية المعاصرة*. مجلة تفكر. المجلد الثالث. العدد ١. معهد إسلام المعرفة. جامعة الجزيرة. السودان.

السعدي. عبد القادر. ١٩٩٥م. *علاقة الشريعة باللغة العربية*. ج٢. عمان: بحوث مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات.

الشافعي،محمد بن ادريس. ١٩٧٩م. *الرسالة*، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة.

عبد القادر هاشم رمزي. ١٩٨٤ م. *الدراسات الإنسانية في ميزان الرؤية الإسلامية*. دراسة مقارنة. قطر. الدوحة. دار الثقافة.

عشوي. مصطفى. ١٩٩٧م. *نحو تكامل العلوم الاجتماعية والعلوم الشرعية*، مجلة التجديد. السنة الأولى.

عطية. جمال الدين. د.ت. *أفكار مبكرة في أسلمة العلوم*. مجلة المسلم المعاصر. السنة ٢٨، العدد.١٠٩.

الغزالي. محمد. ١٩٩٥م. *العلوم الإسلامية والعلوم الشرعية في الجامعات*، مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات، عمان ١٦-١٩ ربيع الأول ١٤١٥هـ. ج١.

معالم القرآن والسنة
مجلة محكمة
السنة الأولى ◆ العدد الأول ◆ ٢٠٠٥

عفاف عبد الغفور حميد

إسهامات السنة النبوية في بناء الحضارة الإنسانية

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تتحقق الغايات، والصلاة والسلام على معلّم البشرية وهادي الإنسانية الذي أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فقد عرف بين المسلمين أن السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع، ولا خلاف في ذلك، أما عن مساهمة السنة في بناء الحضارة الإنسانية فهذا ما يجهله كثير من المسلمين قبل غيرهم.

وقد جاء في القرآن ذكر وظائف الرسالة المحمدية في أربع آيات ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ البقرة: ١٢٩، وقوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ آل عمران: ١٦٤، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

الجمعة: ٢، وفي الرابعة زيادة ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٥١، فالجانب التعليمي المعرفي هو جزء من المهمة النبوية.

وتعليم الكتاب أخص من تلاوة الآيات، فالمراد شرحه نظرياً وتطبيقه عملياً وهو المراد بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل:٤٤.

استطاع النبي ﷺ بتربية الأمة على الإيمان الشامل، أن يصنع أمة متميزة سماها الله ﴿أمة وسطا﴾ البقرة: ١٤٣، و﴿خير أمة أخرجت للناس﴾ آل عمران: ١١٠، وسأحاول في هذا البحث أن أوضح الأسس والمقومات التي جعلت من سنة الرسول ﷺ ميداناً للمعرفة التي هي أصل الحضارات، فأسهمت بشكل فاعل في بناء حضارة باقية خالدة وإن مرت عليها فترات ضعف ولكن فيها من المقومات ما يجعلها تنهض من جديد وتستعيد قوتها ومجدها بأذن الله.

معنى الحضارة

الحضارة في المعاجم اللغوية : الإقامة في الحضر والأمصار والمدن والقرى، في مقابل الإقامة بالبوادي وما أشبه ذلك.[١]

ويقال: رجل من أهل الحاضرة، ورجل من أهل البادية، والحاضرة خلاف البادية: فهي المدن والقرى والريف، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار وسكنوا الديار التي يكون لهم بها قرار.

ومن مرادفات الحضارة: المدنية واتساع العمران، فالحضارة والمدنية لهما معنىً واحد، أي مترادفان.

ويقابل الحضارة أو المدنية: الوحشية أو الهمجية، وهي تعني أن يرى على الناس مظاهر حياة المجتمع البدائي، أي غير المتحضر.

---

[١] الرازي، محمد ابن أبي بكر. ١٩٩٣م. *مختار الصحاح*. بيروت: دار الفكر. مادة حضرَ.

واصطلاحاً: هناك تعريفات كثيرة أشهرها: "مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني تتمثل في إحراز التقدم في ميادين الحياة والعلاقات الاجتماعية، وفي مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي، مخلفة في ذلك تراثاً يمكن أن ينقل من جيل إلى جيل"[١]. وسنتخذ من هذا التعريف ميداناً لهذا البحث لإبراز الحضارة الإسلامية التي ساهمت فيها السنة النبوية.

وقد عرّفها البوطي فقال: "بأنها ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة"[٢]، ويلاحظ أن التعريف يتضمن -حسب رأيه- عناصر الحضارة الثلاثة: الإنسان والكون والحياة.

ويرى آخر أن الحضارة "هي ولادة داخلية يحس بها المجتمع عندما يعيش ظروفاً معينة تسمح بالولادة والنضج" أي أن ظهور أي حضارة لم يكن تلقائياً، بل له أسباب وعوامل مرتبطة بالسنن الربانية، فالتحضّر لا يحدث إلا بالتحولات الداخلية المرتبطة بالتحولات الخارجية مما ينقل الأمة من مرحلة إلى أخرى أعلى في سلم التحضّر، وهذه النقلة لا بد أن تقوم على أسس ووفق سنن الكون والقدرة الذاتية للأمة.[٣]

وللحضارة الإنسانية قصة طويلة أفاض في سردها كثير من العلماء والباحثين، ومنهم عبد الرحمن بن خلدون، الذي وضع كلمة الأساس في الحضارة أو المدنية عندما قال: إن الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: "الإنسان مدني بالطبع" أي لا بد من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم، وهو معنى العمران.[٤]، أي أنه بالفطرة مجبول على التحضر والتمدن والارتقاء بأموره

---

[١] محمود، علي عبد الحليم. ١٩٩٤م. *التراجع لحضاري في العالم الإسلامي وطريق التغلب عليه*. المنصورة: دار الوفاء. ص ١٧.

[٢] البوطي، محمد سعيد رمضان. ١٩٩٢م. *منهج الحضارة الإنسانية في القرآن*. دمشق: دار الفكر. ط٢. ص ١٩.

[٣] راجع محمد هيشور ١٩٩٦م. *سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها*. القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ص ٤٩، ٥٤.

[٤] ابن خلدون. د.ت. *المقدمة*. بيروت: دار الكتب العلمية. ص ٣٣.

كلها، بما وهبه الله في روحه وعقله وجسمه من قدرة على الارتقاء والتقدم في مجال الحياة، وتطويرها لتحقيق ضرورياته ثم حاجياته، ثم كمالياته مرحلة بعد مرحلة.

وعرّف ابن خلدون الحضارة في مقدمته فقال "والحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش وسائر عوائد المنزل وأحواله، فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنق فيه يختص به، ويتلوا بعضها بعضاً، وتكثر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعم بأحوال الترف، وما تتلون به من العوائد[١]. وهو بهذا التعريف يؤكد على أن الحضارة هي تحقيق الكماليات لأن الضروريات لا تحتاج في الحصول عليها إلى تحضر أو تمدن، فيقول "الحضارة هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران، زيادة تتفاوت بتوفاوت الرفه، وتفاوت الأمم في القلة والكثرة تفاوتاً غير منحصر ... "[٢]

فالحضارة عند ابن خلدون تأتي بعد استكمال الضروريات والحاجيات، فهي عنده تحسينات أو كماليات تحقق الرفاهية وما تتطلبه الرفاهية من إحكام الصنائع في المساكن والملابس والمآكل، وهي متفاوتة من أمة إلى أخرى، ومن درجة رفاهية إلى أخرى تفاوتاً غير منحصر.

والذي ذكره ابن خلدون تناول الجانب المادي أو مظاهر الحضارة وآثارها، وهذا لا يمنع عنده أن يكون للحضارة لب وجوهر يتمثل في القيم التي تعكس هذه الحضارة في حياة الناس، وإنما سكت ابن خلدون عن الجانب القيمي في تعريفه وشرحه للحضارة لأنه معلوم بداهة ولا يحتاج إلى توضيح لأن السكوت عما هو معلوم بداهة جائز، وذلك لأن مظاهر الحضارة تخضع لرغبات النفوس التي تحكمها مجموعة من القيم مما يؤدي إلى التفاوت بين الحضارات، وبين أهل زمان وزمان

---

[١] المرجع نفسه. ص١٣٦.

[٢] المرجع نفسه. ص ٣٠٩.

مؤمنين وغير مؤمنين، وليس مثل ابن خلدون -وهو واضع علم الاجتماع- من يجهل أن الحضارة جوهر ومظهر، فهي قيم ومعان تعبر عنها ماديات ومبان فاهتم بذكر النتائج معتمداً على إدراك لما أدى إليها أنه معروف.[١]

ثم تطور تعريف الحضارة بمعنى أوسع فقد عرفه محمد فريد وجدي "الحالة الراقية التي توجد عليها الأمم تحت تأثير العلوم العالية والفنون الجميلة والصنائع المناسبة لهذه الحالة، فاكتسبت كلمة المدنية بذلك مدلولاً أعم من مدلولها اللغوي واعتبرت غاية تتدرج الأمم في الوصول إلى أوجها الأعلى تحت تأثير العلوم والفنون والصنائع"[٢]، وهذا التعريف أيضاً يذكر المظاهر مع معرفته أن لها بواعث أيضا.

وقد أنعم الله على البشرية كل حين بإرسال رسول يهيئ لها أسباب التحضر والرقي الروحي والعقلي والبدني والاجتماعي.. ما لو أخذت بها لقطعت أشواطاً كثيرة، ولكن كان يحول بينها وبين ذلك تكذيب الرسل كما هي سنة البشرية. وقد أكد كثير من المفكرين على أثر الفكر الديني في تكوين الحضارات مثل مالك بن نبي في كتابه "شروط النهضة"، ويكاد يتفق المفكرون المسلمون على العامل الروحي والأخلاقي المرتبط بالدين في التحضّر "ويبدو أن العامل الأساس في البناء الحضاري وسعادة الأمم هو فقه سنن الله في الحياة والتزامها منهجاً وشريعة في حياة الناس".[٣]

وعلى هذا فالحضارة ليست منجزات مادية أو كثرة علمية وإنما "هي روح سامية من الفضائل والخصال الأخلاقية الطيبة تجري في نفوس أبناء الأمة وتزين سلوكهم وسائر نشاطهم كما تتجسد في النظم السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية حتى تشمل كافة جوانب الحياة".[٤]

---

[١] محمود، عبد الحليم. ص١٩.

[٢] وجدي، محمد فريد. *دائرة معارف القرن العشرين*. ج٨. ص٥٥٣.

[٣] هيشور، محمد. ص ٢٨.

[٤] المرجع نفسه. ص ٧١. نقلاً عن زريق قسطنطيني، *معركة الحضارة*، ص ٤٠.

ونظراً لكون السنة هي المصدر الثاني للإسلام فهي بهذا تشكل شطراً من الحضارة الإسلامية، وعليه فلا بد من التعريف بالحضارة الإسلامية قبل البدء بالكلام عن مساهمة السنة في الحضارة الإنسانية باعتبارها جزء من كل، وخصوصاً أن السنة كانت تشكل الأسلوب العملي الحضاري في المجتمع المسلم.

الحضارة الإسلامية وأسسها

وصف الحضارة بأنها إسلامية يقتضي أن تكون المبادئ والأسس التي تقوم عليها نابعة من الإسلام وأصوله كتاباً وسنة، والتي تمثل دستور الإسلام ومنهج المسلمين في حياتهم، فهي أصلح لهم لأنها من وضع الخالق، كما إنها ملائمة للفطرة كما قال الله تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ الروم: ٣٠، ولكن القيم السماوية لا تقيم حضارة إلا إذا قام عليها رجال مؤمنون يعملون الصالحات مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأنبياء: ١٠٥، وقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور: ٥٥.

وأهم الأسس والمقومات التي قامت عليها الحضارة الإسلامية: [١]

١. الوحدانية المطلقة في العقيدة، والخالية من أي مظهر من مظاهر الشرك، وهذه العقيدة تطبع كل النظم التي جاءت بها الحضارة الإسلامية.
٢. إنسانية النزعة والهدف، عالمية الأفق والرسالة، حيث أعلنت وحدة النوع الإنساني بكل أنواعه، وبهذا فهي رسالة عالمية "رحمة للعالمين"، تتسع

[١] راجع تفصيل هذه الأسس عند: مصطفى السباعي. *من روائع حضارتنا*. دمشق: دار السلام. ص ٢٨-٣٢.

آثارها لتشمل جميع الأجناس.

٣. المبادئ الأخلاقية الرفيعة لها المحل الأول في كل النظم والميادين، مستمدة من النموذج العملي للرسول ﷺ وصحابته ﷺ.

٤. التسامح الديني الذي لم تعرفه أي حضارة أخرى قامت على الدين، حتى وهي في أوج عزها، تحت شعار ﴿لا إكراه في الدين﴾.

٥. العلم، وهو الأساس الأول الذي تقوم عليه أي حضارة، وكذلك بالنسبة للحضارة الإسلامية غير أنها قامت على نوعين مترابطين من العلم، أولهما: العلم الشرعي المستمد من القرآن والسنة، والآخر: العلم الدنيوي المعرفي الذي غالباً ما يكون نتيجة للأول مستلهماً منه وملبياً لحاجاته، فلهذا الحضارة الإسلامية تقوم على المبادئ المستقيمة التي أوحى الله بها ليطبقها الناس الذين يعملون الصالحات مضيفين إليها ما يصلح مرافق حياتهم بما يجعلهم خلائف صالحين، وبهذا تكون حضارة تحكمها القيم بأعمال تتصل بالعقيدة وترتبط بها، وسيأتي تفصيل هذه الأسس في بناء السنة للمجتمع.

وعلى هذا فالحضارة الإسلامية لها جانبان[1]: أحدهما ثابت غير قابل للتبديل، وآخر متغير يستجيب لمطالب الحياة ومستجداتها.

أما الثوابت: فهي الأسس الراسخة التي تقوم على:

١. العقيدة: القائمة على الإيمان بالله وصفاته وأسمائه وتوحيده، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

٢. العمل: ويتناول مفردات عديدة أهمها الإسلام وأركانه الخمسة ثم الإحسان بمعنى المراقبة الله تعالى، والعدل، والشورى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيم الأخلاقية الإسلامية، والجهاد بأنواعه.

---

[1] محمود، عبد الحليم. ص ٤٦.

أما المتغيرات في الحضارة الإسلامية فهي ما ليس من الثوابت أو هي مظاهر الحضارة وسماتها المادية ليحقق بها الإنسان ما فوق الضروريات من الكماليات والتحسينات. وهذه كلها متغيرة لا تتعارض مع ثوابت الحضارة الإسلامية. وقد جاء الإسلام بوسائل للتعامل مع هذه المتغيرات لقبول الصالح ورد ما سواه. وهذه الأساليب هي (الاجتهاد والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع).

السنة النبوية والمشروع الحضاري الإسلامي

تعد السنة مشروعاً حضارياً لأن الله سماها الحكمة حيث أنزل على رسوله الكتاب والحكمة -كما سبقت الإشارة في المقدمة- في الآيات منها قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ الأحزاب: ٣٤. قال الطبري فيها:" ويعني بالحكمة ما أوحي إلى رسول الله ﷺ من أحكام دين الله و لم يترل به قرآن وذلك السنة"[١]، ومثل ذلك قال القرطبي: "قال أهل العلم بالتأويل: آيات الله القرآن، والحكمة السنة"[٢] والمنهج العملي للإسلام جاء مفصلاً مجسداً في السنة القولية والعملية والتقريرية، وهي تصلح لأن تكون المنهج الحضاري بما تملكه من خصائص منها: [٣]

١. منهج شمولي: فإذا كان منهج القرآن شاملاً جامعاً كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ النحل: ٨٩، فإن منهج السنة يسير في إطار منهج القرآن لأنها مبين له. فالسنة منهج لحياة الإنسان كلها.
٢. منهج متوازن: فهو يوازن بين الروح والجسم، والعقل والقلب، والدنيا والآخرة، وبين المثال والواقع، وبين النظر والعمل، وبين الحرية والمسئولية

---

[١] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. ١٤٠٥هـ. *تفسيره*. بيروت: دار الفكر. ج٢٢. ص٩.

[٢] القرطبي، أبو عبد الله. ١٣٧٢هـ. *تفسيره*. تحقيق أحمد عبد العليم البردوني. القاهرة: دار الشعب. ط٢. ج١٤. ص١٨٣.

[٣] القرضاوي، يوسف ٢٠٠٠م. *كيف نتعامل مع السنة النبوية*. القاهرة:دار الشروق. ص٢٦.

والفردية والجماعية، والأمثلة على ذلك كثيرة سنذكر شيء منها خلال البحث، وقد كان ﷺ المثل الأعلى في التوازن في حياته كلها كما دلت على ذلك سيرته مع ربه ونفسه وأهله وأصحابه والناس أجمعين، وكان من دعائه القرآني: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ البقرة: ٢٠١ ومن دعائه أيضاً: " اللهم أصلح ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي من كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر".[١]

٣. منهج تكاملي: يتكامل فيه الإيمان مع المعرفة، أو الوحي والعقل ليكوّن منها "نور على نور" فكل جوانبه تتكامل مع بعضها ولا يغني أحدها عن الآخر، كما تتكامل القوة مع الحق، والسلطان مع القرآن، والدولة مع الدعوة... وكل ذلك كان مجسداً في شخص الرسول ﷺ، فقد كان صاحب القرآن والسلطان، أو صاحب الدعوة والدولة، وهو كان يؤم الناس في الصلاة ويحكم بينهم في الخصومة، ويقودهم في المعارك، وفي السياسة والسلم والحرب. وهذا التكامل كان بين القيادة والشعب، ولم يكن القائد منعزلاً عنهم، كما يتكامل المؤمنون فيما بينهم وكل يبذل أحسن ما عنده فتتجمع الطاقات لتكون قوة عظمى لها وزنها وهيبتها.

٤. منهج واقعي: يتعامل مع الناس وفق بشريتهم، وليس كملائكة بل لهم غرائزهم وشهواتهم، وأخطائهم التي تقبل التوبة، كما لهم تطلعاتهم الروحية، ولذلك فإن حالة الإنسان تتغير، حتى ظن بعض الصحابة أنه

---

[١] رواه مسلم عن أبي هريرة. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب التعوذ من شر ما عمل وما لم يعمل برقم (٢٧٢٠). ج٤ ص٢٠٨٧. والبخاري في الأدب المفرد برقم (٦٦٨). ج١ ص٢٣٣. والهيثمي في *مجمع الزوائد* ج١٠ ص١١٠. والطبراني في *الأوسط* ج٧ ص١٩٩. والصغير ج٢ ص١٢٧. والمزي في *تهذيب الكمال* ج٢٢ ص٢٨٤.

نافق وهو حنظلة ﷺ، لأن حالته في البيت تغيرت عن حالته في حضرة الرسول ﷺ وخرج يركض حتى انتهى إلى رسول الله وهو يقول «نافق حنظلة نافق حنظلة» وبعد أن شرح للرسول الموضوع قال له: «يا حنظلة ساعة وساعة»[١].

ومن أجل ذلك فقد راعت الشريعة ضعف الإنسان ووسعت دائرة المباحات وضيّقت المحرمات، وشرّعت الرخص، وراعت الفروق الفردية بين الناس، وفرّقت بين أحوالهم المختلفة.

٥. منهج ميسر: يمتاز بالسماحة واليسر وهذا من ثمار واقعيته، كما أنها من أوصاف صاحب المنهج كما قال تعالى: ﴿يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ..﴾ الأعراف: ١٥٧، فلا يوجد في سنة هذا النبي ما يحرج الناس في دينهم وكان يقول: «إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً»[٢] كما شرع الرخص والتخفيفات في كل أمور الشريعة وأجزائها عند الضرورة، وفي تحذير الرسول ﷺ من الغلو والتطرف أقوال كثيرة ترجع في مضانها من المصادر.

---

[١] وفي الحديث أن حنظلة دخل على رسول الله ﷺ مع أبي بكر وقال: .. نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ «وما ذاك»، قال: نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي العين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات» رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل دوام الذكر والفكر ... وترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، (٢١٠٦) ج٤ ص٢١٠٧. ورواه الترمذي (٢٥١٤). كتاب صفة القيامة والرقائق والورع من رسول الله ج٤ ص٦٦٦. مسند أحمد ج٤ ص٣٤٦.

[٢] رواه مسلم في كتاب الطلاق. باب أن تخيير أمرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية ح (١٤٧٨). ج٢ ص١١٠٤. والبيهقي. *السنن الكبرى* ج٧ ص٣٨.

بناء السنة للحضارة الإنسانية

الحضارة الإنسانية "هي ثمار لجهود التعاون الإنساني، في نطاق الاستفادة من ذخر الأرض وخيرها، وإنما تتمثل أصول هذا الجهد في منهج تربوي متكامل يؤخذ به الإنسان بوصفه فرداً مستقلاً، وعضواً في جماعة".[١]

إن البناء الحضاري للسنة أخذ بعداً عالمياً للإنسانية كلها، لأنها الرسالة الخاتمة، والرسول بعث للناس جميعاً، وقامت السنة في هذا البناء على أسس أهمها وفي مقدمتها العلم الذي مصدره الوحي للعلم الشرعي، وموجهاً للإنسان ومكلفاً له لاكتشاف العلم الدنيوي بما يصلح حالهم ومآلهم، وعلى هذا جاء هذا البناء على أساسين في مبحثين وهما: بناء السنة للمجتمع الحضاري، وبناء السنة للعلوم.

المبحث الأول: بناء السنة للمجتمع الحضاري

ويشمل هذا البناء: الإنسان، والأسرة، والمجتمع، لأن الإنسان هو الذي يبني الأسرة، والأسرة نواة المجتمع، فلوجود هذه الصلة بين الثلاث توجهت عناية الإسلام لها كلها، وسأتناول بإيجاز بناء السنة لها تطبيقاً لمبادئ القرآن الكريم العامة.

أولاً: بناء السنة للإنسان

الإنسان هو اللبنة الأولى للبناء الاجتماعي للبشرية كلها، لهذا توجهت عناية الإسلام لهذا الإنسان ووضعت له منهجاً لصياغته صياغة تمكنه من أداء واجباته والاستمتاع بحقوقه.

فالإنسان لا يتفاعل مع الحياة إلا بعد تحديد مكانته على الأرض والكون، وهذا ما عملت علية ثوابت الإسلام قرآناً وسنة، عقيدة وشريعة، وهو ما عجز عنه الفلاسفة السابقون ومنهم أرسطو، فبعد أن قال (إنه مدني بالطبع) عرّفه بأنه

---

[١] البوطي، محمد سعيد رمضان. *منهج الحضارة*. ص ١٢-١٣.

(حيوان ناطق)، ثم وصفه بأنه حيوان اجتماعي تلازم فيه صفة النطق صفة الاجتماع" كما قالها علماء محدثون، وأقوالهم لا تختلف كثيراً عما قال أرسطو.[١]

وقد حددت السنة النبوية -تبعاً للقرآن- أسساً عامة للسلوك الإنساني الاجتماعي وإمكانية أن يتدرج هذا السلوك ويترقى كلما تمسك الإنسان بالقيم الخلقية التي جاء بها الإسلام وجاءت تطبيقاً حياً في السنة النبوية، وقد حددت النصوص السنية كذلك العلاقات الاجتماعية التي تلائم الإنسان وتصلحه وتصلح به، وتحقق سعادة الدنيا والآخرة.

وقد جاءت التوجيهات النبوية نموذجاً متكاملاً قادراً على تكوين الإنسان الاجتماعي الذي يستوعب بهذه الشريعة كل مجالات الحياة الإنسانية ويصوغها وفق ما في هذا الدين الخاتم من قيم إنسانية صالحة لكل زمان ومكان وجاءت هذه الصياغة من السنة للإنسان الصالح فكرياً وعملياً وأخلاقياً من عدة وجوه:

١. إنه مخلوق كرمه الله وفضله على جميع المخلوقات ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ الإسراء: ٧٠. وجاءت تطبيقات السنة وتفصيلاتها في تكريم الإنسان بإعلان حريته وحقوقه وتحويل الأوامر إليه إلى واقع بتكريمه بالمساواة والعدل وتحريم كل ما يمس حريته وكرامته حتى بعد موته فقد حث الرسول ﷺ على التعجيل بدفن الميت حتى قيل "إكرام الميت دفنه"[٢]، وجعل اتباع الجنازة من حق المسلم على المسلم، ومن أقواله كذلك: «اذكروا محاسن موتاكم»[٣] كما أمر بحسن معاملة الأسير والعبد وغيره.

---

[١] راجع: علي عبد الحليم محمود. *التراجع الحضاري*. ص ٩٧-٩٨.

[٢] ورد في *كشف الخفا*. ح(٥٠٤) ج١ ص١٩١. والمناوي في *فيض القدير* ج١ ص٣١٤. والظاهر أنه ليس بحديث بل من الحكم. وهناك أحاديث بمعناه في التعجيل بدفن الميت، كقوله :" اسرعوا بالجنازة"، متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الجنائز. باب السرعة في الجنازة. (١٢٠٥٢). ج١ ص٤٤٢. ومسلم (٩٤٤) ج٢ ص٦٥٢.

[٣] أخرجه ابن حبان في صحيحه. ج٧ ص٢٩٠. والحاكم في *المستدرك* (١٤٢١). ج١ ص٥٤٢. وسنن الترمذي. كتاب الجنائز. (١٠١٩). ج٣ ص٣٣٩. وأبو داود. في باب النهي عن سب الموتى. (٤٩٠٠). ج٤ ص٢٧٥.

٢. عدم مسؤولية الإنسان قبل أن تصله الدعوة فمن حقه أن يدعى إلى عبادة الله وإتباع منهجه في الحياة وإلا فلا مؤاخذة عليه ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ الإسراء: ١٥، ومن السنة قول الرسول ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت و لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[1]، وجاء النص عن رسول الله ﷺ: «أربعة يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام و لم أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن أدخلو النار، قال فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً»[2]، والشواهد كثيرة على هذا الأصل-وهو عدم المؤاخذة قبل الإنذار- الذي أكده كثير من علماء المسلمين كالشاطبي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم.[3]

٣. الإنسان مسئول أمام الله عن نفسه فيما يقول ويفعل وينوي ولا يعاقب على خطيئة غيره لقوله تعالى ﴿مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ الإسراء: ١٥، وجاءت الأمثلة النبوية تطبيقاً لذلك فقد كان عبد الله ابن أبي ابن سلول من الصحابة المقربين و لم يؤاخذه الرسول بنفاق أبيه ولدينا في قصة إسلام عكرمة ابن أبي جهل يوم فتح مكة -والذي كان أبوه من ألد أعداء الرسول ﷺ- مثالاً رائعاً حيث استقبله الرسول ﷺ وقبل إسلامه.

---

[1] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان . باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ح (٢٤٠). ج١ ص١٣٤.

[2] أخرجه أحمد في المسند ج٤ ص٢٤. والهيثمي في *مجمع الزوائد* ج٧ ص٢١٥-٢١٧. والألباني في *سلسلة الأحاديث الصحيحة* ج٣ ص٤١٨. ٤١٩ برقم (١٤٣٤).

[3] أنظر أقوال هؤلاء العلماء : عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف. (١٤١٥هـ) *نواقض الإيمان القولية والعملية*. دار الوطن: الرياض. ص ٥٥-٥٦.

٤. لا يكلف الإنسان فوق طاقته، قال الرسول ﷺ: «كل ميسر لما خلق له»،[١] وقد نهى الرسول عن التكلف في العبادات وغيرها مما لا تحتمله القدرة البشرية، ففي الحديث عن أنس أن النبي ﷺ دخل المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: «ما هذا؟» قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت فقال النبي ﷺ: «لا، حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد»[٢] كما أمر الرسول كذلك من نذر أن يحج ماشياً أن يركب ويتم حجه[٣]، كما سن الرخص للمريض والمسافر والكبير.

٥. أن الجزاء من جنس العمل خيراً أو شراً ومطلوب من الإنسان أن يفكر ويتدبر لأن الإسلام جاء لاحترام العقل الإنساني فحرم اللجوء إلى الكهان ومن غيرهم من مدعي النبوة فلا سلطان إلا لشرع الله، ويؤكد ذلك قول الرسول ﷺ: «من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدّقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد بن عبد الله ﷺ».[٤]

٦. أن البشر كلهم من أصل واحد من آدم وحواء وأن للإنسان إرادة فاعلة حرة وهو مخير بين عمل الخير فيثاب، وبين عمل الشر فيعاقب.

٧. التمسك بالأخلاق النابعة من العقيدة فيما أمر به ونهي عنه. والتوجيهات النبوية لبناء الإنسان أكثر من أن تحصى فهي تأمر بالعمل الصالح وفعل الخيرات ونبذ العمل الفاسد وكل ما هو شر وتطبيق العدل بكل معانيه كالصدق والإحسان

---

[١] البخاري. كتاب التوحيد. باب قوله تعالى " ولقد يسرنا القرآن للذكر" القمر. ح(٧١١٢،٧١١٣). ج٦ ص٢٧٤٥،٢٧٤٤. ومسلم. كتاب القدر . باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ح (٢٦٤٩). ج٤ ص٢٠٤١. والترمذي ج٥ ص٢٨٩. وأبو داود ج٤ ص٢٢٨. ومسند أحمد ج١ ص٥. ج٣ ص٣٠٤. ج٤ ص٤٣١.

[٢] رواه البخاري في كتاب الطهارة باب ما يكره من التشدد في العبادة. (١٠٩٩). ج١ ص٣٨٦. والبيهقي في السنن الكبرى ج٣ ص١٨.

[٣] انظر هذه الأحاديث في الطبراني في *الأوسط* ج٥ ص١٢٩. والإمام أحمد ج٣ ص٢٧١. ج٤ ص٤٢٩. *ومجمع الزوائد* ج٤ ص١٨٩.

[٤] رواه الحاكم في *المستدرك* ج١ ص٤٩. وقال :" هذا حديث صحيح على شرطهما". والهيثمي في مجمع *الزوائد* ج٥ ص١١٨. والبيهقي في *السنن الكبرى*. ج٨ ص١٣٥-١٣٦. *ومسند أحمد* ج٢ ص٤٢٩.

والرحمة والكرم والاعتدال والتواضع. ومن ذلك حين طلب منه أحد الصحابة قال أوصني قال لا تغضب[١]، وكان يخفف الصلاة رحمة بالأم المصلية حين يبكي طفلها كما كان يمسح على رأس اليتيم وينهى عن الكذب فيقول: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو له مصدق وأنت له كاذب»[٢]. ونهى عن الكذب حتى على الأطفال الصغار لأن فيه إساءة لتربيتهم ووصى بالجار بعشرات الأحاديث منها «والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله قال من لم يأمن جاره بوائقه»[٣]. وكان يحث على التواضع ويحرم الكبر فيقول: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[٤] وكان يزور المريض ويلبي الدعوة وجعل ذلك من حق المسلم على المسلم. وضرب أمثلة رائعة في السماحة منها عفوه عمن أساء يوم فتح مكة فقال لأهل قريش اذهبوا فأنتم الطلقاء.[٥]

٨. العبادة وفق ما جاء به الشرع من قبل الرسول ﷺ وإنها إصلاح للفرد دنيا وآخرة وأن هذه العبادات تدعم الأخلاق وتزكيها. فقد قال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[٦]. فالعبادات كلها تساعد في بناء شخصية المؤمن وتربيه على الخصال الحميدة ففي الصوم معان سامية فهي قمة الأخلاق ورقي النفس فوق الشهوات كما أنها توجه الإنسان إلى

---

[١] روى الحديث الترمذي في كتاب البر والصلة . باب ما جاء في كثرة الغضب ج٤ ص٣٧١. عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ قال: ثم علمني شيئاً ولا تكثر علي لعلي أعيه قال: لا تغضب. فردد ذلك مراراً وكل ذلك يقول : لا تغضب. كما رواه أحمد في مسنده ج٢ ص١٧٥. ٣٦٢، ٤٦٦.

[٢] رواه أبو داود. باب في المعاريض. ج٤ ص٢٩٣. والبخاري في *الأدب المفرد* (٣٩٣). ج١ ص١٤٢. والبيهقي في السنن الكبرى. ج١٠ ص١٩٩. والهيثمي في *مجمع الزوائد* . باب كبرت خيانة...ج٨ ص٩٨.

[٣] رواه الحاكم في *المستدرك*. (٧٢٩٩). ج٤ ص١٨٢. و*مسند أحمد*. ج٢ ص٣٧٢. ج٣ ص١٥٤. ج٥ ص٣١.

[٤] رواه مسلم. كتاب الإيمان. باب تحريم الكبر وبيانه (٩١). ج١ ص٩٣. وابن حبان في *صحيحه*. ج٣ ص٥٠، ج١٢ ص٢٨٠. والترمذي. ج٤ ص٣٦١. وابن ماجة. ج١ ص٢٢. والإمام أحمد ج١ ص٤١٦.

[٥] البيهقي في *السنن الكبرى* ج٩ ص١١٨. وفي *تاريخ الطبري* ج٢ ص١٦١. وابن هشام. *السيرة النبوية* ج٥ ص٧٤.

[٦] رواه ابن ماجة في كتاب الصيام. باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم. (١٦٨٩) ج١ ص٥٣٩. والبيهقي (٨٠٩٥). ج٤ ص٢٧٠.

إمكانية التغير إلى الأحسن والحاج تسمو أخلاقه في كل شعيرة يقوم بها في الحج والزكاة طهارة للنفس والمال من الجشع وتحقق التكافل الاجتماعي، أما الصلاة فأهم ما فيها دوام الصلة بالله سبحانه وتعالى ليكون على يقظة تامة تمنعه من الزلل والخطأ.

٩. كما شرع الله نوافل من جنس العبادات والفرائض يزداد المسلم بها قرب من الله ويحظو بها خطوات تدنيه منه كالذكر والتسبيح ونوافل الصلاة والصيام والصدقة والعمرة وغيرها.

١٠. والإنسان تحكمه قوانين عادلة في التعامل مع غيره سواء المسلمين أو غير المسلمين من أهل الكتاب أو غيرهم على أسس الكرامة الإنسانية للجميع وهذه القوانين لا تفرق بين ألوان الناس وكل من يعيش في مجتمع مسلم له حق الحرية الدينية تحت شعار: (لا إكراه في الدين) وهو مأمور بالعدل وعدم إيقاع الظلم أو التسبب في ضرر كما أن على الدولة أن تأمنه وتسالمه وتحميه.

ثانياً: بناء السنة للأسرة

أقام الإسلام بناء اجتماعياً مركزه الأسرة واعتبرها لبنة هذا البناء وقد اعتنت نصوص السنة قولية وعملية بنظام الأسرة ووضعت لها القواعد المحكمة التي تكفل لها البقاء والاستمرار بمحبة وألفة بين أفرادها. ومن هذه الأسس ما يأتي:

١. أن يحسن الرجل اختيار زوجته وأم أبنائه وفق المعايير الإسلامية التي حددها قوله ﷺ «تنكح المرأة لأربع لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربيت يداك»[١].

٢. أن يحسن أولياء المرأة اختيار الزوج لها والمعيار مثل ما في اختيار الزوجة وقال ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه وإلا تفعلوا تكن فتنة في

---

[١] البخاري. صحيحه. كتاب النكاح. باب الأكفاء في الدين (٤٨٠٢). ج٥ ص١٩٥٨؛ مسلم في كتاب الرضاع. باب استحباب نكاح ذات الدين (١٤٦٦)؛ والنسائي ج٣ ص٢٩٦؛ ابن ماجة ج١ ص٥٩٧؛ مسند أحمد ج٢ ص٤٢٨.

الأرض وفساد كبير»[١].

٣. اعتبار الزوجة سكن للزوج تجمعهم المودة والرحمة قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي».[٢]

٤. أوجب النفقة على الرجل في حدود سعته وإمكانياته وجعل له القوامة لأنه أوجب عليه النفقة على الأسرة، والقوامة تكليف لإدارة شؤون الأسرة وليست تسلطاً ولا تكريماً.

٥. أعطى للرجل حق الطلاق إذا ما كان ما يستوجب الطلاق وتعذرت وسائل الإصلاح وجعل له شوطاً لا تضار فيه الزوجة كما حدد له قوانين تكفل الرجعة بعد الطلقة الأولى كفرصة للمراجعة وأعطى المرأة حق الخلع عند استحالة استمرار الزوجية لوجود عيوب في الزوج لا تتحملها الزوجة مادية أو معنوية.

٦. القوانين التي تتصل بحقوق وواجبات كلا الزوجين نحو الآخر وتأثيم من قصر بواجباته وجعل الإسلام الأسرة محضناً لرعاية الأبناء والأجيال البارة بوالديها. وقد عد الرسول ﷺ العقوق من الكبائر بعد الشرك حين قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الشرك بالله وعقوق الوالدين»[٣] كما جعل البر للوالدين كفارة للذنوب.

٧. كما أحاط الإسلام الأسرة برعاية إضافية هي ذوي الأرحام كالجدود والجدات والأعمام والعمات والأخوال والخالات، وحقوق متبادلة. وفي السنة تبعاً للقرآن تشريعات دقيقة في الولاية والنفقة ولمن تجب وشروطها وآدابها بما لا يتسع

---

[١] رواه الترمذي في سننه. كتاب النكاح. باب إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه (١٠٨٤،١٠٨٥). ج٣ ص٣٩٤-٣٩٥. والطبراني في *الأوسط* (٧٠٧٤). ج٧ ص١٣١. وفي *المعجم الكبير* ج٢٢ ص٢٩٩. *وسنن البيهقي* ج٧ ص٨٢.

[٢] رواه الترمذي في كتاب المناقب. باب فضل عائشة (٣٨٩٥). ج٥ ص٧٠٩. والدارمي ج٢ ص٢١٢. وابن ماجة. ج١ ص ٦٣٦. *وصحيح ابن حبان* ج٩ ص٤٩١.

[٣] رواه البخاري. كتاب الأدب. باب عقوق الوالدين من (٥٦٣٢). ج٥ ص٢٢٣٠. وكتاب استتابة المرتدين. باب إثم من أشرك بالله (٦٥٢١). ج٦ ص٢٥. ٢-٣٥. ومسلم في كتاب الإيمان. باب بيان الكبائر وأكبرها. (٨٨). ج١ ص٩١-٩٢. والترمذي. ج٣ ص٥١٣. ج٥ ص٢٣٥-٢٣٦. وأبي داود ج٣ ص١١٥. والنسائي ج٢ ص٢٨٩. ج٦ ص٣٢٢. والحاكم ج١ ص١٢٧. وأحمد ج٣ ص١٣١. ٤٩٥.

المجال لذكره. وكل ما ذكرنا تأمين للأسرة في حاضرها، كما أمنت المستقبل للأسرة وخصوصاً عند فقد العائل حقيقة أو حكماً بحلول: الزكاة والتكافل الاجتماعي والوصية والميراث.

٨. كل تلك القوانين تسير وفق سياج متين من الأخلاق عند أداء الواجبات وخصوصاً الواجبات نحو الأصول والفروع ونحو الأقارب والأرحام ونحو الجيران ونحو الأرامل والأيتام ونحو المجتمع وخارج الوطن نحو الأسرة المسلمة ونحو الأسرة لأديان أخرى تعايش الأسر المسلمة.

٩. كل ذلك أسس حضارية لقيام الأسرة والمحافظة على حاضرها ومستقبلها علّمت العالم والحضارات الأخرى فيما غاب عنها لأنها ربانية المنهج الذي أحاطها بالشمولية والواقعية.

١٠. هذه الأسس تندرج تحتها جزئيات كثيرة في المسؤولية الزوجية والتبني وحرمة النسب لغير الأب وعدم تخلي أحد الزوجين عن مسؤوليته وأمانته، وعدم استغلال الزوج القوامة للتسلط على حقوق زوجته المالية مثلاً كما جعل للأمومة مكانتها. هذا إذا ما راعينا أن هذه الأسس جاءت بها الشريعة المحمدية قبل ١٥٠٠ سنة فقامت عليها حضارة فاقت كل الحضارات ولم تصل القوانين الوضعية بعد كل هذه المدة إلى ما وصلت إليه هذه التشريعات في العظمة والصلاح.

ثالثاً: بناء السنة للمجتمع

إن الأسس التي وضعتها السنة لبناء المجتمع تدعمها أنظمة كثيرة متنوعة وشاملة لكل جوانب الحياة، ولها ميزتان:

أولهما: أنها قائمة على أساس الوحي، وفصلتها الشريعة الإسلامية.

وثانيها: أنها اعتمدت المصلحة الإنسانية العليا الصالحة لكل زمان ومكان، وتنادي إلى التعارف بدل الصراع، ولذلك فهي لا تسمح بالظلم حتى في حالة

الانتصار وامتلاك السلطة ولا يستغل فيها الضعيف، ولا تسعى إلى إضعاف الدول الأخرى كما تفعل الحضارات الأخرى.

ومن أهم هذه الأسس:

١. **الأسس الإيمانية:** وهذه الأسس تقوم على الإيمان الكامل بكل أركان الإيمان المعروفة، كما تقوم على قواعد ومسلمات لا يصح الإيمان إلا بها ومن ذلك:

- كون الإنسان خليفة الله في الأرض، وهو قادر على ذلك بما منحه الله من عقل وفطرة سليمة، وبما أمده من رسل لإعانة العقل والفطرة إلى الطريق الصحيح، والاستخلاف شرف للإنسان بأن يعمل بطاقاته ووفق متطلباته من دون أن يتجاوز إلى حدود المستخلِف.
- ومن ركائز الإيمان أن الله سخر له الدنيا وما حولها من نعم للإنسان، فهي دار انتفاع، بما حوته من طيبات وزينة حلال لا يجوز تحريمها ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الأعراف: ٣٢، ولكن ضمن شروط الاعتدال (لا إسراف ولا تقتير) وكل هذه النعم وسيلة للتقرب إلى الله وليست هدفاً في ذاتها.
- أنه محتاج إلى منهج إلهي ليهتدي في ضوئه لخير الدنيا والآخرة، وأن يوقن بكل ما جاءت به الرسالة.

وعلى هذا جاءت الحضارة الإسلامية أول حضارة تقوم على الوحدانية ونبذ الشرك، وعبادة الله وحده، والاعتقاد بأنه المالك المتصرف والمانح المعز المذل، وكل شيء تحت قبضته، هذا الاعتقاد كان له الأثر الكبير في رفع مستوى الإنسان وتحرره من الطواغيت، وصححت العلاقة بين البشر رئيسهم ومرؤسيهم، وجعلت التوجه للخالق وحده ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ الفاتحة: ٤، فطبعت هذه الحضارة بطابع الخلو من الوثنية بجميع مظاهرها، كما أثر في انتقائها لما يترجم من

الآخرين ونقله، كما أثر على إنتاجها الفني بأن ابتعدت عن فن النحت والتصوير والتماثيل التي تمجد العظماء والذي تميزت به الحضارات القديمة والحديثة وبرزت في مجال النقش حتى تميزت الزخرفة الإسلامية.

كما صبغت وحدة العقيدة كل الأسس والنظم والفنون التي جاءت بها الحضارة الإسلامية -لأنها تشترك في وحدة التشريع والنظم والأهداف- بأسلوب واحد رغم تنوعه.[١]

٢. الأسس الإنسانية العالمية: وضع الإسلام -وبخاصة نصوص السنة- أسساً لبناء المجتمع العالمي و لم يقتصر على الحدود المحلية أو الإقليمية الضيقة، أو العرقية، بل يتسع الأسرة الإنسانية كلها في كل زمان ومكان حيث نرى الخطابات القرآنية موجهة للجميع ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: ١٣، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ الأعراف: ١٥٨، وقول الرسول ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي ولا أقول فخراً: بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود....»[٢] وفي رواية: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون»[٣]، وما دامت الرسالة للناس كافة، فالمجتمع المسلم يرفض العصبية للأجناس والأعراق، بل ينظر إلى الكل نظرة عادلة رحيمة، قال ﷺ: «من قاتل تحت راية عميَّة يدعو إلى عصبية أو يغضب

---

[١] راجع السباعي مصطفى. *من روائع حضارتنا*. ص ٢٨-٢٩.

[٢] رواه الإمام أحمد. ج١ ص٣٠١. ج٣ ص٣٠٤. ج٤ ص٤٠٦. ٤١٦. وفي *سنن الدارمي* . كتاب الجهاد. باب الغنيمة لا تحل لأحد قبلنا (٤٢٦٧). ج٢ ص٢٩٥. وصحيح *ابن حبان* ج٤ ص٣٧٥. *والمستدرك*. ج٢ ص٤٦٠. والطبراني في *الأوسط* ج٥ ص٣٠. ومعناه في البخاري(بعثت إلى الناس عامة) في كتاب الصلاة باب قول النبي : جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا (٤٢٧). ج١ ص١٦٨. و (٣٢٨). ج١ ص١٢٨.

[٣] رواه مسلم . في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٣). ج١ ص٣٧١. وصحيح ابن حبان. ج٦ ص٨٧. ج١٤ ص٣١٨. الترمذي. في كتاب السير باب ما جاء في الغنيمة ج٤ ص١٢٣. وأحمد ح٢ ص٤١١.

لعصبية فقتل فقتلته جاهلية»[١]، وروي أن امرأة من الشام يقال لها فسيلة قالت: «سمعت أبي يقول: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أمن العصبية أن يحب الرجل قومه؟ قال: لا ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم»[٢]، وبذلك تتجلى نظرة الإسلام إلى البشرية كلها بأن **التمييز** هو بالإيمان والتقوى وينظر إلى غير المسلمين على أنهم أمة دعوة ولكن من **غير** إكراه، كما أنه ليس في نصوص الشريعة امتياز لمسلم لمجرد انتمائه للإسلام إذ **لا** قيمة له إلا أن يكون معه عمل صالح، فلا يوجد في أهل الإسلام من يدعي أن المسلمين هم "شعب الله المختار" أو هم "أبناء الله وأحباؤه" لأن الأساس هو: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: ١٣.[٣]

ولو نظرت إلى التنظيم الاجتماعي للرسول ﷺ في المدينة بعد الهجرة لتعجب من بنود الوثيقة النبوية التي نظمت العلاقات بين أطياف المجتمع المدني بطريقة تحفظ للجميع حقوقهم وتحدد واجباتهم، وكان قبل ذلك قد آخى بين المهاجرين والأنصار، وترجع أهمية هذه الوثيقة إلى اعتبارين:

أولهما: ما لها من أهمية في فهم طبيعة الدولة الإسلامية الأولى وكيف أدار النبي ﷺ شؤونها.

ثانيهما: القدوة المستفادة من سياسة النبي ﷺ وفائدتها البالغة في تنظيم أي دولة معاصرة على أساس إسلامي.

والراجح أن الوثيقة في الأصل وثيقتان جمع المؤرخون بينهما، إحداهما: تتناول موادعة الرسول ليهود، والثانية: تنظم علاقات المسلمين بعضهم ببعض، وتحدد

---

[١] هو جزء من حديث رواه مسلم في كتاب الفتن. باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ج٣ ص١٤٧٦. وفي كتاب التفسير (١٨٤٨). وصحيح *ابن حبان* ج١٠ ص٤٤١. والنسائي كتاب المحاربة باب قتال المسلم (٣٥٧٩) ج٢ ص٣١٤-٣١٥. وسنن *البيهقي الكبرى*. ج٨ ص١٥٦.

[٢] رواه ابن ماجة . كتاب الفتن. باب العصبية. (٣٩٤٩). ج٢ ص١٣٠٢. والطبراني في *المعجم الكبير*. ج٢٢ ص٣٨٣. والبيهقي في شعب *الإيمان* ج٦ ص١٢٢. والهيثمي في مجمع *الزوائد*. كتاب قتال أهل البغي. باب العصبية. ج٦ ص٢٤٤.

[٣] راجع: عبد الحليم محمود. ص١٣٨.

واجباتهم وحقوقهم.[١]

وبالجملة فقد أحلت الوثيقة الرابطة الدينية محل الرابطة القبلية، فعبرت عن المسلمين بأنهم أمة من دون الناس.

٣. الأسس الأخلاقية: فالمجتمع الحضاري المسلم تسوده القيم الخلقية الفاضلة التي تهيئ أرقى مستوى اجتماعي يعيش فيه الإنسان، والالتزام الأخلاقي حماية له من الانحراف واتباع الهوى ونزغات الشيطان، وبدونه فلا استقرار ولا أمن، ولا يوجد حل للمعضلات والمشاكل الاجتماعية إلا بسيادة القيم الأخلاقية، والسنة النبوية حافلة بالدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق والتخلي عن الرذائل منها، وسيرة الرسول وسلوكه فضلاً عن أقواله نموذجاً حث القرآن على الاقتداء به، وقد وصفته عائشة «كان خلقه القرآن»[٢] فقد عرف بالصادق الأمين حتى قبل البعثة، وحثت أقواله على الصدق والصبر والحلم والوفاء وغيرها بنصوص أكثر من أن تحصى منها قوله: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»[٣] وعندما سأله أحد الصحابة: أوصني، قال: «لا تغضب»[٤]، كما ضرب مثلاً أعلى في السماحة لمن أساء، وبذلك استطاع الرسول يربي جيلاً من الصحابة اجتذبوا الناس إلى الإسلام بأخلاقهم، وللرسول ﷺ

---

[١] انظر: أكرم العمري. *السيرة النبوية الصحيحة* ج١ ص٢٧٦-٢٨٥. و محمد أمحزون. *منهج النبي في الدعوة*. ص ٢٩٩-٣٠٠.

[٢] رواه البخاري في *الأدب المفرد*. ج١ ص١١٥. وفي مسند الإمام أحمد. ج٦ ص٩١، ١٦٣، ٢١٦. والبيهقي في *شعب الإيمان* ج٢ ص١٥٤. وابن حجر في *فتح الباري*. ج٦ ص٧٥.

[٣] رواه البخاري في كتاب المناقب. باب صفة النبي ح(٣٣٦٦) ج٣ ص١٣٠٥. وباب مناقب عبد الله بن مسعود (٣٥٤٣) وفيه " ..إن من أحبكم إلي أحسنكم .." ج٣ ص١٣٧٢. وفي كتاب الأدب. باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل(٥٦٨٨) "..إن خياركم أحاسنكم.." ج٥ ص٢٢٤٥. وفي صحيح ابن حبان. ج١٤ ص٣٥٤. والمستدرك ج٤ ص٩٤، ٩٦. وسنن الترمذي. كتاب البر والصلة . باب ما جاء في في معالي الأخلاق. (٢٠١٨). ج٤ ص٣٤٩، ٣٧٠. وباب ما جاء في الصدق والكذب (١٩٧٥). *ومسند أحمد*. ج٢ ص١٦١، ١٩٣. ج١ ص٢١٧، ٣٦٩، ٣١٨. ج٤ ص١٩٣، ١٩٤.

[٤] رواه البخاري في صحيحه. كتاب الأدب. باب الحذر من الغضب. ح(٥٧٦٥). ج٥ ص٢٢٦٧. وابن حبان في باب الاستماع المكروه وسوء الظن والغضب. ح(٥٦٨٩). ج١٢ ص٥٠٢. والترمذي. كتاب البر والصلة. باب ما جاء في كثرة الغضب. ح(٢٠٢٠). ج٤ ص٣٧١. وأحمد في *المسند*. ج٢ ص٣٦٢،١٧٥، ٤٠٦. ج٣ ص٤٨٤. ج٥ ص ٣٧٣،٣٧٢،٣٧٠،٣٤.

في علم النفس التربوي والتعامل الاجتماعي أحاديث كثيرة، مثال ذلك قوله: «تصافحوا يذهب الغل (الحقد) وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء»[١] و: «إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه إياه»[٢]، وهو يريد تغيير النفوس لأنه أسرع طريق للتغيير الاجتماعي، ويعبر عن مدى تأثير الأفراد على بعضهم داخل المجتمع.[٣]، والتغيير الاجتماعي لا بد أن يبدأ من النفوس كما قال تعالى: ﴿.. إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ الرعد: ١١، والأخلاق التي دعا إليها الرسول ﷺ داخلة في كل الميادين، ولا تقتصر على وقت السلم، بل أكدت التعاليم النبوية على حسن المعاملة في الحرب كالرحمة بالنساء والأطفال والشيوخ، والتسامح مع المغلوبين، ووضع دستوراً خاصاً ومتميزاً بالحرب قائم على الأخلاق شملت حتى المحافظة على البيئة وعدم الإضرار بها في الحرب، وقد انتهج القادة الفاتحين نهج النبي ﷺ بعده ففتحوا البلاد وقلوب أهلها للإسلام، حتى وجدنا إشادات من الأعداء أنفسهم على نبل القادة المسلمين وخصوصاً صلاح الدين الأيوبي، حيث وجدوا عندهم الرحمة التي يفتقدونها حين تكون المواجهة فيما بين طوائفهم المختلفة.

٤. **الأسس الاقتصادية:** وضع الإسلام أسساً في مفهوم المال بأنه ملك لله والإنسان مستخلف مؤتمن عليه، ولذلك حدد مبادئ لتداول المال والمنفعة بما يضمن العدل ويأبى الظلم ومن هذه الأسس:

- كل إنسان مطالب بالعمل وتجويده وأن يكسب بعمله.
- له الحرية في التملك من المال المشروع ويؤدي حق الله فيه.

---

[١] الإمام مالك. *الموطأ*. كتاب حسن الخلق. باب ما جاء في المهاجرة. ح (١٦١٧). ج٢ ص٩٠٨. وفي معناه في *صحيح مسلم*. ح(٥٤). كتاب الإيمان. باب بيان لا يدخل الجنة إلا المؤمنون. والبخاري في الأدب المفرد. ج١ ص٢٠٨، ٣٤٠. والترمذي ج٤ ص٦٦٤. ج٥ ص٥٢. وأبو داود. ج٤ ص٣٥٠. وابن ماجة. ج١ ص٢٦. والإمام أحمد ج١ ص١٦٤، ٣٩١.

[٢] الإمام أحمد. *المسند*. ج٤ ص١٣٠. وأبو داود (٥١٤٢). والترمذي (٢٣٩٢) وقال: حديث حسن صحيح. *وصحيح ابن حبان*. ج٢ ص٣٣٠. والمستدرك. (٧٣٢٢). ج٤ ص١٨٩. والنسائي. (١٠٠٣٣). ج٦ ص٥٩.

[٣] انظر قاسم شهاب صباح. *علم النفس التربوي*. ص ٦٨، ٧٧.

- وضع آداب وشروط للتعامل، كما وضع على بيت المال ما يحدد تمويله وإنفاقه.
- الزكاة عند بلوغ النصاب بشروطها.
- الميراث والوصية
- تحريم الربا والاحتكار والغش وترويج البيع بالحلف والكذب، وأكل أموال الناس بالباطل، ووضع الأموال بيد السفهاء، وتحريم الإسراف والبخل.

كل ذلك جاء بأطر عامة في القرآن ولكن السنة النبوية فصلت فيه تفصيلاً دقيقاً مما نجده في مجلدات كتب الفقه.

٥. أسس التكافل : جعلت التعاليم النبوية المجتمع المسلم متميزاً بأن تلتقي فيه مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة، صغيرة كانت أم كبيرة، مع التوفيق بين تلك المصالح بلا تعارض، فلا صراع طبقي ولا استغلال ولا احتكار، بل مودة ووئام وأخوة ووصاية بالفقير والمسكين واليتيم وابن السبيل والمدين، من باب التعاون على البر والتقوى، وهو واجب على كل أحد بما يستطيع، وهو يتناول كل جوانب الحياة، فهو تكافل مادي، ومعنوي، وغير ذلك.

٦. الأسس السياسية: فقد وضعت الشريعة أسس للسياسة العامة التي تكفل حقوق المسلم السياسية وأداء واجباته، بأطر عامة جوهرية ، علماً أن النظم السياسية في الحضارة الإسلامية ليست من الثوابت، بل من المتغيرات، ومن أهم النظم العامة:

- تحقيق العدل والأمن والطمأنينة لكل إنسان.
- الحريات التي لا تتعارض مع الآخرين ، كحق التعبير ، والنصح للحاكم.
- المساواة في الحقوق والواجبات، ومحاسبة المقصر.
- شروط من يلي أمر المسلمين.

٧. الأسس الجهادية: والجهاد أنواع: جهاد النفس والهوى، وجهاد الشيطان ووساوسه، والعدو والإعداد له، وهدفه إعلاء كلمة الله، كما أنه يحول بين الأمة وبين أن تذل أو تستضعف، وهو استمرار للحياة وفريضة ماضية إلى يوم القيامة تتمكن فيه الأمة من أداء وظائفها كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد حذر الرسول ﷺ من التهاون في شأنه فقال: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا يترعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم»[١].

المبحث الثاني: بناء السنة للعلوم

إن موقف الإسلام من العلم واضح حيث دعا في أول آية إلى العلم مشيراً إلى ذلك باستعمال أدواته وهي القراءة والكتابة التي عبر عنها بالقلم وهي مفتاح العلم، وفيها دلالة على الاهتمام بأمر العلم علاوة على النصوص الكثيرة التي تدعو للتأمل والتفكر، كما جعلت النصوص العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، أما تفاصيل العلم فهي من المتغيرات وليس من الثوابت.

وقد تحقق البناء العلمي في ثلاثة جوانب:

الأول: الدعوة للعلم وتوظيفه

وجاءت هذه الدعوة في نصوص السنة على ثلاثة وجوه:

أ. في فضل العلم ومكانته: منها قول الرسول ﷺ: «أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه» وقوله: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في

---

[١] رواه أبو داود . باب في النهي عن العينة. (٣٤٦٢). ج٣ ص٢٧٤. والبيهقي في *السنن الكبرى* ج٥ ص٣١٦. كما رواه ابن كثير في *تفسيره* ج٢ ص٣٤٤. والقرطبي في *تفسيره* ج٢ ص٥٩. ج٣ ص٣٦٠. ج١٣ ص١٢٥.

السماء والأرض حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العلم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[١].

ب. في وجوب العلم وأهميته: منها قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٢]، وقال: «إذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم».[٣]

ج. في توظيف العلم: منها قوله ﷺ: «من علم علماً فله أجر من عمل به لا ينقص ذلك من أجر العامل»[٤]، وقوله: «أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم»[٥] وقوله: «من طلب العلم ليماري به السفهاء ، أو ليباهي به العلماء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار»[٦].

ثانيا: آثار الدعوة للعلم ومظاهرها

وقد كان لهذه التوجيهات النبوية أثر في التقدم العلمي للمسلمين وبناء حضارة عريقة نجد مظاهرها في الأمور التالية:

---

[١] رواه ابن ماجة في باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٣). ج١ ص٨١.

[٢] رواه ابن ماجة عن أنس. باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٤). ج١ ص٨١. والهيثمي. *مجمع الزوائد*. كتاب العلم. باب في طلب العلم ج١ ص١١٩، ١٢٠. والطبراني في الأوسط ج١ ص٨. ج٢ ص٢٨٩. *والصغير*. ج١ ص٣٦.

[٣] رواه العجلوني. *كشف الخفا* ج١ ص٧٧، (٣٧٩) و (١٩٩٤). ج٢ ص١٦٥. وفي *حلية الأولياء* ج٨ ص١٨٨. وفيض القدير. ج١ ص٢٤٠. والهيثمي. *مجمع الزوائد*. ج١ ص١٣٦.

[٤] رواه ابن ماجة . باب ثواب معلم الناس. (٢٤٠). ج١ ص٨٨. والطبراني في *المعجم الكبير*. (٤٤٦). ج٢٠ ص١٩٨. وفي *فيض القدير*. ج٦ ص١٨٢. *والمسند المستخرج على صحيح مسلم*. (٤٠). ج١ ص٥١.

[٥] رواه ابن ماجة . (٢٤٣). باب ثواب معلم الناس الخير. ج١ ص٨٩. وفيض القدير ج٢ ص٣٧. *وتهذيب الكمال*. ج١٩ ص٥٩.

[٦] رواه الترمذي في سننه. كتاب العلم. باب ما جاء في ذهاب العلم (٢٦٥٤). ج٥ ص٣٢. وفي *سنن الدارمي* (٣٧٣،٣٦٧). باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله. ج١ ص١١٥.

أ. **بناء المساجد ودور العلم**: كان أول ما بدأ به الرسول ﷺ عند وصوله إلى المدينة بعد الهجرة هو بناء المسجد للصلاة، ثم بنيت مساجد أخرى في كل مكان للمسلمين، وقد كان للمسجد في العصر النبوي وما بعده وظائف كثيرة غير الصلاة والذكر، فكان يقوم مقام المؤسسات الإدارية والسياسية والتربوية والعسكرية، وقد حذى القادة الفاتحون حذو الرسول ﷺ ببناء المساجد في البلدان التي يفتحونها، وكان أول ما يفعلونه في تخطيط المدن الجديدة هو الاهتمام بالمساجد لتقوم بدورها العبادي والأنشطة الأخرى، وقد كان يلحق بكل مسجد مدرسة ومكتبة، وفي العصور المتقدمة بنيت المراكز العلمية المستقلة عن المساجد، والمكتبات والمدارس، ثم الجامعات، من غير أن يلغى دور المسجد، يقول غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب: "والعرب كانوا إذا ما استولوا على مدينة صرفوا همهم إلى إنشاء مسجد وإقامة مدرسة فيها، وإذا ما كانت تلك المدينة كبيرة أسسوا مدارس كثيرة... وهذا عدا اشتمال المدن الكبرى كبغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة...إلخ على جامعات مشتملة على مختبرات ومراصد ومكتبات غنية وكل ما يساعد على البحث العلمي"[١].

ب. **اعتماد العمل على العلم** بنوعيه الشرعي والدنيوي يضمها جميعاً ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ النحل: ٤٣، وحبذ فيه الاستشارة والاستخارة: «ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد»[٢]، كما جعل درجة العامل فوق منزلة العابد، وربط العمل بالمصلحة العامة وليس الخاصة، والأحاديث النبوية في حب العمل والحث عليه كثيرة تؤكدها التطبيقات العملية المعروفة من سيرته ﷺ حتى أنه قال: «لئن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة

---

[١] للتعرف على هذه المدارس ونظامها ومدرسيها، وزي طلبة العلم والمدرسين راجع: السباعي. *من روائع حضارتنا* ١٤٥-١٤-٥٤.

[٢] رواه الطبراني في *الأوسط* . (٦٦٢٧). ج٦ ص٣٦٥. وفي الصغير. (٩٨٠). ج٢ ص١٧٥. *ومجمع الزوائد*. باب الاستخارة ج٢ ص٢٨٠. وفي باب ما جاء في المشاورة. ج٨ ص٩٦. وفي *مسند الشهاب* للقضاعي. ج٢ ص٧.

حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»[١]، وحرّم السؤال على القادر لأنه ذلة لا يرضاها الإسلام للمسلم الذي يراد له أن يكون عزيزاً.

ج. **الكتابة والتدوين والترجمة:** وهي الأوليات التي يقوم عليها العلم ومن ثم الحضارة، ولا علم بدونها، وهذا ما عمل به الرسول ﷺ بعد توجيه القرآن، فقد شجع على الكتابة وخصوصاً بعد أن أصبح للمسلمين كيان ودولة، وكان يدعو الصحابة لكتابة الوحي النازل عليه حتى بلغ عددهم أربعين كاتباً كما أمر أسرى بدر بتعليم المسلمين الكتابة، وفي الحديث قول الرسول ﷺ للشيماء بنت عبد الله حين وجدها عند حفصة: «إلا تعلميها الكتابة كما علمتيها رقية النملة»[٢]، وروي كذلك أنه أمر زيد بن ثابت أن يتعلم العبرية لغة اليهود، والفارسية فأتقنها، ثم تعلم السريانية بأمر منه ﷺ كما تعلم العبرية، فأصبح ترجمان رسول الله[٣] لأنه كان يراسل الملوك يدعوهم للإسلام.

ثم ما كان من نهضة تدوينية بعد ذلك وفي مقدمتها تدوين الحديث النبوي، وتأليف الكتب ثم الترجمة لما عند الأمم وأهمها كتب الفلسفة اليونانية والكتب العلمية في عصر الرشيد والمأمون، والذي يمثل العصر الذهبي للمسلمين، والعصور الوسطى المظلمة لغيرهم، كما انتشرت المكتبات في مراكز الثقافة الإسلامية وأهمها

---

[١] البخاري. كتاب الزكاة. باب بيع الحطب والكلاء. ج٢ ص٨٣٦.

[٢] رواه أبو داود ح (٣٨٨٧). كتاب رآه. باب ما جاء في الرقى. ج٤ ص١١. ومسند أحمد. ج٦ ص٣٧٢. والنسائي(٧٥٣٤). ج٤ ص٣٦٦. *والمعجم الكبير* ج٢٤ ص٣١٣. والمزي في *تحفة الأشراف*. ج١١ ص٣٣٦.

[٣] ذكره البخاري معلقاً في كتاب الأحكام. باب ترجمة الحكام. وفيه " أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود. حتى كتبت للنبي ﷺ كتبه وأقرأته كتبهم". قال ابن حجر: "..وقد وصله البخاري مطولاً في كتاب التاريخ. وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد. قال ابن حجر: مختلف فيه فلا يتجه الحكم بصحة ما ينفرد به بل غايته أن يكون حسناً". وقال: وزاد " فتعلمتها في سبعة عشر يوماً" فتح الباري. ج١٣ ص١٩٩. وأخرجه أبو داود في العلم. باب رواية حديث أهل الكتاب (٣٦٤٥). ج٣ ص٣١٨. والترمذي. في الأدب. باب في تعليم السريانية (٢٨٥٨) وقال: حسن صحيح. كما أخرجه أحمد وغيره وعنده " إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا علي وينقصوا فتعلم السريانية". انظر: الحاكم في *المستدرك*. ج٣ ص٤٢٢.

بغداد، أما في الأندلس فقد انتشرت المكتبات العامة والخاصة، ففي أسبانيا وحدها كان سبعون مكتبة عامة، وكان في مكتبة الخليفة الحكم الثاني بقرطبة ستمائة ألف كتاب، منها أربعة وأربعون مجلداً في الفهارس كما روى المؤرخون العرب[١]، وقد أكد ذلك المنصفون من غير العرب والمسلمين مثل غوستاف لوبون (الفرنسي) في كتابه المذكور حيث يقول: "والإنسان يقضي العجب من الهمة التي أقدم بها العرب على البحث، وإذا كانت هناك أمم تساوت هي والعرب في ذلك فإنه لا تجد أمة فاقت العرب على ما يحتمل..".[٢]

ثالثاً: العلوم الإسلامية التي أسهمت في الحضارة الإنسانية

ومن أهم العلوم التي برع فيها المسلمون بناءً على التوجيهات النبوية والتي تعد ثمرة للحضارة الإسلامية وساهمت في بناء الحضارة الإنسانية ما يأتي:

١. علم الرياضيات والفلك: وجاء تطور هذا العلم نتيجة لاهتمام الإسلام بأمرين:

أولهما: الاهتمام بالوقت (الزمن)، فقد ربطت العبادات جميعا بالأوقات فلكل وقت محدد، ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً﴾ النساء: ١٠٣، فأصبحت هناك مراقبة للوقت واهتمام ما كانوا يعهدونه من قبل، والصيام محدد بشهر معين يقتضي الحساب للشهر ومراقبة فلكية للقمر، والحج مثل ذلك، والزكاة ومعرفة النصاب تحتاج للحساب ومعرفة النسبة وكل ذلك رياضيات، جاءت تفاصيلها في السنة النبوية، هذا بالإضافة إلى الأعياد ومواقيتها.

والآخر: علم المواريث ما هو إلا حسابات ورياضيات، هذه الأمور جعلت الاهتمام يتطور ويتسع البحث في مجاله حتى ظهر علم الجبر عند العرب ثم تطبيقه على

---

[١] انظر: علي عبد الحليم محمود. *التراجع الحضاري*. ص ١٦٩.

[٢] غوستاف لوبون. *حضارة العرب*. نقلاً عن المرجع السابق.

علم الهندسة، فقد ألف محمد بن موسى كتاباً موطئاً له بأمر المأمون في أوائل القرن التاسع الميلادي ومن ترجمته اقتبس الأوربيون معارفهم الأولى لهذا العلم بعد زمن طويل.

وفي علم الفلك: هو أول علم اعتني به في بغداد وكانت هناك مراكز فلكية أخرى في الحواضر الإسلامية، كالقاهرة والأندلس ودول المغرب، وقد أدت مدرسة بغداد الفلكية في زمن الرشيد والمأمون (٨١٤-٨٣٣) إلى أعمال مهمة لرصد حركة الشمس وبقية الكواكب، ووضعوا تقاويم لأمكنة الكواكب السيارة، وقد ظلت هذه المدرسة حتى بعد زوال سلطان العباسيين، ولم تكن آثار المسلمين الفلكية في الأندلس أقل أهمية من المشرق، وقد أبيدت ولم يترجم منها إلا القليل الذي نجا من التحريق.

٢. وعلم الجغرافية: فقد عرف العرب قبل الإسلام الترحال والحج والتجارة التي تقتضي معرفة بالجغرافية كما كانت لهم علاقات تجارية مع الهند والصين وأوربا. وفيما بعد توسع نطاق الحج على مستوى العالم الإسلامي براً وبحراً، كما جاءت الفتوحات لتضيف زيادة لمعرفتهم بالجغرافية، وكذلك الرحلة في طلب العلم، والدعوة، وكان للمسلمين الرحالة الأثر في ريادة علم الجغرافية، كالمسعودي صاحب (مروج الذهب)، والبيروني، وابن بطوطة، وقد كشفت كتب المسلمين في هذا المجال الأخطاء التي كانت لعلماء اليونان.

٣. وفي العلوم الطبيعية: وضع المسلمون الكتب الممتعة عن الحيوانات والنباتات والمعادن كالقزويني، وابن سينا له رسالة عن الحجارة ومنشأ الجبال، وبحثوا عن تطبيقات النباتات على الطب، وكانت حدائق الأندلس تضم أندر النباتات وخصوصاً غرناطة.

وتبعاً له **علم البيئة** : فقد جرت السنة مجرى القرآن في العناية بالبيئة فقد ذكر القرآن حيوانات ونباتات للتنبيه على أمرين:[١]

---

[١] القرضاوي. يوسف. ١٩٩٨م. *السنة مصدراً للمعرفة*. ط٢ . القاهرة: دار الشروق. ص ١٤١-١٤٢.

١. الاستمتاع بالعنصر الجمالي ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ النحل: ٦، و﴿انظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ الأنعام: ٩٩.

٢. الانتفاع بالعنصر المادي فيها مع أداء حق الله فيها، وقد نهى القرآن عن الفساد في الأرض.

أما من ناحية السنة: فقد كانت أكثر تفصيلاً وتفريعاً، ويرتبط موضوع الاعتناء بالبيئة بالجانب الصحي في الفقرة الأخرى مثل النهي عن البول في الماء الراكد والدائم وغير ذلك،[١] ومن الأحاديث التي فيها معنى المحافظة على البيئة قول الرسول ﷺ: «من قطع سدرة صوّب الله رأسه في النار»[٢] وهو شجر ينبت في الصحارى ينتفع الناس بالتفيؤ في ظلاله والأكل من ثماره في طريق سفرهم، وللكلأ والمرعى وغير ذلك، ولأهميته نهى عن قطعه للمحافظة على توازنات الطبيعة، وقد سبقت السنة الجمعيات والهيئات التي تنادي بالمحافظة على البيئة من قبل الدول التي تتشدق بالحضارة وهي تلوث البيئة.

وقد اعتنت السنة بالتشجير والغرس وجعلته من أعظم الأعمال الصالحة، قال ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة»[٣]، ومن الأمثلة على اعتناء السنة بالحيوان: «ما من إنسان يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها إلا يسأله

---

[١] البخاري. كتاب الطهارة. باب البول في الماء الدائم (٢٣٦). ج١ ص٩٤. والترمذي. ج١ ص٣٢. ج١ ص١٠٠. والنسائي. ج١ ص٧١. وابن ماجة. ج١ ص١٢٤.

[٢] رواه أبو داود. ج٤ ص٣٦١. والنسائي. ج٥ ص١٨٢. والبيهقي في *السنن الكبرى*. ج٦ ص١٣٩. ومجمع الزوائد ج٣ ص ٢٨٤. ج٤ ص٦٩. ج٨ ص١١٥.

[٣] رواه مسلم. كتاب المساقاة. باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع. (١٥٥١. ١٥٥٣). ج٣ ص١١٨٨. والبخاري في كتاب المزارعة. باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه. (٢١٩٥). ج٢ ص٨١٧. والترمذي. ج٣ ص٦٦٦. والدارمي. ج٢ ص٣٤٧. وأحمد ج٣ ص١٤٧. ١٩٢، ٢٢٨. ج٦ ص٢٤٠.

الله عز وجل عنها»، قيل: يا رسول الله وما حقها؟ قال: «أن يذبحها فيأكلها، ولا يقطع رأسها ويرمي بها»[١] ويستفاد من هذا الحديث: تحريم قتل الحيوان لغير الأكل، واحترام المخلوقات والرفق بها، والمحافظة على الثروة، والمسؤولية الأخلاقية بشمول الأخلاق الكائنات الحية الأخرى.[٢]

٤. السنة النبوية وعلم الصحة والطب

إن المبادئ والمفاهيم المتعلقة بالعناية الصحية جاء بها القرآن الكريم وفصلتها السنة النبوية، وأهم ما جاءت به السنة النبوية اعتبار أن الصحة والعافية نعمة من نعم الله تقابل بالشكر ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم: ٧، ويتم هذا الشكر بالمحافظة عليها ومراعاتها عما يضادها، وعدم بذلها في محرم. قال ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[٣] وقوله: «من أصبح معافىً في جسده ، آمنا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»[٤]، ومن دعاء النبي ﷺ طلب العافية: «اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافات الدائمة في الدين والدنيا والآخرة».[٥]

وقد أمر الرسول ﷺ بحماية الإنسان من الأمراض، لأن الله خلقه في أحسن تقويم، ليؤدي الرسالة المطلوبة منه، على الأرض، فيجب أن يحافظ عليه ليكون قوياً

---

[١] رواه الحاكم في *المستدرك* ج٤ ص٢٦١. والنسائي في كتاب الصيد والذبائح. باب إباحة أكل العصافير. (٤٨٦٠). ج٣ ص ١٦٣. والبيهقي في *السنن الكبرى*. ج٩ ص٨٦.

[٢] انظر: القرضاوي. *السنة مصدراً للمعرفة* ص ١٤٥.

[٣] رواه البخاري في الرقاق. باب ما جاء في الصحة والفراغ (٦٠٤٩). ج١١ ص١٩٦. والمستدرك. ج٤ ص٣٤١. والترمذي. ج٤ ص٥٥. والدارمي. ج٢ ص٣٨٥. وابن ماجة. ج٢ ص١٣٩٦. *ومسند أحمد*. ج١ ص٢٥٨. ٣٤٤.

[٤] الترمذي. كتاب الزهد (٢٣٤٧). ج٤ ص٥٧٤. وابن ماجة. في الزهد. باب القناعة (٤١٤١). ج٢ ص١٣٨٧. والبخاري في *الأدب المفرد* (٣٠٠).

[٥] البخاري في *الأدب المفرد*. (٦٩٨). ج١ ص٢٤٣.

ويقدر القيام بما أمره الله سبحانه به كما قال ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»[١]، وقال: «إن لنفسك عليك حق».[٢]

ومن تمام الصحة **العناية بالنظافة**: وموقف الإسلام من النظافة واضح، وهو اهتمام لا نظير له، حيث جعلت النظافة جزءاً من العبادة وشرطاً لها، وباب الطهارة أول ما تبدأ به كتب الحديث والفقه، وهو أول ما يتعلمه المسلم، فالطهارة مفتاح الصلاة، ولا تصح إلا بها، والوضوء يتكرر مرات في اليوم يقول ﷺ: «لا صلاة بغير طهور»[٣]، وتفصيلات هذه الطهارة وخصوصاً ما يتعلق بالنساء منها كلها في السنة النبوية.

ومن شروط الصلاة نظافة البدن والثوب والمكان من كل خبث وقذر، كما عني بنظافة الأسنان فرغب في السواك، وإكرام الشعر، وتقليم الأظافر وغير ذلك جعلها من سنن الفطرة.

وفي التحذير مما يؤذي الصحة أو يلوث البيئة، نهى رسول الله عن البول في الماء وخصوصاً الراكد، أو الاغتسال فيها لأنه مظنة التلوث لعدم جريانه: «لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب»[٤] و«إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثا فإنه لا يدري أين باتت يده».[٥]

---

[١] رواه مسلم عن أبي هريرة. كتاب القدر. باب في الأمر بالقوة وترك العجز. (٢٦٦٤). ج٤ ص٢٠٥٢. والنسائي (١٠٤٥٧). ج٦ ص١٥٩، ١٦٠. وابن ماجة ج٢ ص١٣٩٥. ومسند أحمد ج٢ ص٣٦٦، ٣٧٠..

[٢] رواه مسلم. وكذلك البخاري رواه الترمذي. ج٤ ص٦٠٨. والطبراني في الكبير. ج٩ ص١٩٧. وأحمد ج٢ ص٢٠٠. والبيهقي. ج٤ ص٢٧٥. والدارقطني ج٢ ص١٧٦.

[٣] رواه ابن حبان في صحيحه. باب شروط الصلاة. ذكر نفي قبول الصلاة بغير وضوء لمن أحدث. ح(١٧٠٥). ج٤ ص٦٠٤. وفي *مصنف ابن أبي شيبة*. كتاب الطهارات. باب المحافظة على الوضوء وفضله. ح(٢٧، ٢٨، ٢٩). ج١ ص١٤ . والطبراني في *الأوسط*. كتاب صفة الوضوء. ذكر التسمية ثم الوضوء. ح(٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤). ج١ ص٣٦٧. والهيثمي في *مجمع الزوائد*. ج١ ص٢٢٨.

[٤] سبق تخريجه.

[٥] رواه مسلم . كتاب الطهارة. باب كراهية غمس المتوضيء وغيره يده.. برقم (٢٧٨). ج١ ص٢٣٣. وصحيح ابن خزيمة ج١ ص٥٢. وابن حبان ج٣ ص٣٤٦. وأبو داود كتاب الطهارة. باب في الرجل يدخل يده .. ج١ ص٢٥. والنسائي. ج١ ص٦٣. وأحمد ج٢ ص٢٤١.

حث السنة على النشاط والحركة: رغب النبي ﷺ في العمل والنشاط والحركة والبكور فقال: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»[١]، وكان يستعيذ من العجز والكسل، ودعا إلى رياضة الأجسام: العدو والرماية وركوب الخيل (الفروسية)، ورغّب الأباء في تربية أولادهم على ممارستها، وشرع التنافس والمسابقات تشجيعاً عل ذلك، وسبّق بين الخيل وأعطى للسابق كما شرع: المصارعة واللعب بالحراب والسيوف والمسابقة على الأقدام ونحوها[٢]، ولكل ذلك أمثلة كثيرة ففي الحديث: «أن ركانة صارع النبي ﷺ، فصرعه النبي ﷺ»[٣]، وعن أنس: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، لعب الحبشة لقدومه بحرابهم»[٤]، وشجع على الرمي وفسر قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ الأنفال: ٦٠، «ألا إن القوة الرمي...ثلاثاً».[٥]

وقد منعت السنة كل ما يضر بالبدن من المسكرات، كما منعت الإسراف في الطعام والشراب فقال: «ما ملأ لآدمي وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[٦]، وكذلك نهى عن التقتير والامتناع عن الطيبات.

---

[١] رواه ابن حبان في صحيحه. ج١١ ص٦٢-٦٣. والترمذي في كتاب البيوع. باب ما جاء في التبكير في التجارة. ج٣ ص ٥١٧. والدارمي. (٢٤٣٥). ج٢ ص٢٨٣. وأبو داود ج٣ ص٣٥. والنسائي ج٥ ص٢٥٨. وابن ماجة. ج٢ ص٧٥٢. وأحمد ج١ ص١٥٦. ج٣ ص٤١٧. ج٤ ص٣٨٤.

[٢] راجع : القرضاوي يوسف ص ١٥٣.

[٣] رواه الترمذي في كتاب اللباس. باب العمائم على القلانس (١٧٨٤). ج٤ ص٢٤٧. والشوكاني. *نيل الأوطار*. ج٨ ص٢٥٥.

[٤] الجامع لمعمر بن راشد. ١٠ ج ص٤٦٦.

[٥] الترمذي. كتاب تفسير القرآن. باب ومن سورة الأنفال (٣٠٨٣). ج٥ ص٢٧٠. وأبو داود ج٣ ص١٣. وابن ماجة. ج٢ ص٩٤٠. وسنن *البيهقي* ص١٣.

[٦] رواه أحمد ج٤ ص١٣٢. والترمذي وقال: حسن صحيح(٢٣٨٠). وابن ماجة (٣٣٤٩) وغيرهم كالنسائي وابن حبان والحاكم.

كما نهى ﷺ عن إرهاق البدن حتى في العبادة وقال للذي نذر أن يمشي إلى الحج: «إن الله عن تعذيب هذا لنفسه لغني»[١]، وأمره أن يركب، وعلى هذا شرعت الرخص في أداء الفرائض إذا كان العمل بها يؤذي الجسم، كالتيمم، والصلاة قاعداً أو مضطجعاً، وقال: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته».[٢]

العناية بالطب والتداوي: وذلك في نوعيه الطب الوقائي والعلاجي، ومن الأول نصائحه بترك الإسراف كما في الحديث السابق وقد قيل فيه: أنه جمع الطب كله، وفي ترخيصاته كذلك نوع من الوقاية، وما تحريم الخمر والمسكرات إلا نوع من الوقاية لعالم الخبائث، كما أقرت السنة النبوية سنة الله في العدوى، وأمرت بالاحتراز والوقاية والعزل الصحي من الأوبئة كالطاعون، وقال: «إذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها **فلا** تخرجوا منها فراراً منه»[٣] متفق عليه وفي آخر: «لا يوردن مُمرِض على مُصح»[٤] متفق عليه، أي لا يخلط الإبل المريضة بالصحيحة.

أما عنايته في التداوي فهي معروفة، وفي كل أبواب المصنفات نجد كتاب أو باب في الطب النبوي، وقد جاء عن النبي أحاديث تصف بعض الأدوية لبعض الأمراض، والراجح أنها ليست كلها من الوحي والدين بل أن منها ما هو من خبرات البيئة والواقع[٥]، ولكن بالتجربة عرف حديثاً أن أكثر هذه الأحاديث فيها إعجاز علمي طبي. وقد وفق الرسول ﷺ بين التداوي والإيمان بالقدر الذي رآه

---

[١] *مصنف ابن أبي شيبة*. (١٢٤١٣). ج٣ ص٩٢. وابن حزم في *الأحكام* ج٥ ص٢٠.

[٢] رواه أحمد (٥٨٦٦). ج٢ ص١٠٨. وابن حبان والبيهقي في *الشعب*. كما في *صحيح الجامع الصغير*(١٨٨٦).

[٣] البخاري. باب ما يذكر في الطاعون. (٥٣٩٧). ج٥ ص٢١٦٣. *وموطأ مالك*. كتاب الجامع. باب ما جاء في الطاعون. (١٥٨٨). ج٢ ص٨٩٦. والنسائي. ج٤ ص٣٦٢. *ومجمع الزوائد*. ج٢ ص٣١٥.

[٤] البخاري. كتاب رآه. باب لا هامة. (٥٤٣٧). ج٥ ص٢١٧٧. وسنن أبو داود . باب في الطيرة. (٣٩١١). ج٤ ص١٧.

[٥] انظر القرضاوي. السنة مصدر للمعرفة. ص ١٦١.

البعض معارضاً للتداوي، فحين سئل: يا رسول الله! أرأيت رقى نسترقيها، ودواءً نتداوى به، وتقاة نتقيها، فهل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: «هي من قدر الله»[١]، كما جعل جزءاً من الوقاية والعلاج الرقى والذكر بأحاديث كثيرة، كما عنيت السنة بالصحة النفسية للعلاقة المتبادلة بين الجسم والنفس في التأثير، وله في علاج الأمراض الاجتماعية المؤثرة في النفس وعلاجها أحاديث كثيرة كالحسد والبغضاء والغلو وغير ذلك.

وكان من نتائج هذه التوجيهات النبوية اهتمام المسلمين ببناء المستشفيات والمعاهد الطبية لاحقاً، وقد أفاد العالم من حضارتنا في إقامة المشافي والمعاهد الطبية وتخريج أطباء لازالت تعتز بهم الأمة، ففي عهد الوليد بن عبد الملك أنشئ أول مستشفى في الإسلام هو خاص بالمجذومين.. وكانت المستشفيات نوعين: متنقلاً وثابتاً، والأول عرف في الإسلام في غزوات الرسولﷺ أي مستشفى حربي، وقد توسع فيه الخلفاء والملوك فيما بعد، أما الثابتة فقد كانت تفيض بها المدن والعواصم، ففي قرطبة وحدها خمسون مستشفى، وهناك محطات للإسعاف بالقرب من الجوامع، وهناك مستشفيات للجيش وغيرها عامة قسم للذكور وقسم للإناث، وفي كل مستشفى إيوان للمحاضرات يتداول فيه الأطباء والتلاميذ، كما يلحق معها مكتبة عامرة بكتب الطب.[٢]

وأخيراً استطاعت السنة بالتوجيه الرباني، أن تبني حضارة هزت الدنيا ولا زالت تملك المقومات لنهوضها لأن فيها صفة الشمول والواقعية، وقد شهد بذلك كثير من المنصفين ممن اطلع على معالم النهضة الإسلامية من غير المسلمين مثل توماس أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام)، وغوستاف لوبون في (حضارة

---

[١] رواه أحمد ج٣ ص٤٢١. والترمذي(٢٠٦٥). كتاب رآه. باب ما جاء في الرقى والأدوية. ج٤ ص٣٩٩. وباب لا ترد الرقى والحروز من قدر الله (٢١٤٨). ج٤ ص٤٥٣. وقال: حديث حسن. وابن ماجة (٣٤٣٧). والحاكم ج٤ ص١٩٩.

[٢] راجع تفاصيل نظام هذه المستشفيات في السباعي. *من روائع حضارتنا*. ص ١٥٧- ١٦٠.

العرب) وسيجموند هونكة في كتابها الشهير (شمس العرب تشرق على الغرب) حيث رأى هؤلاء وغيرهم أن الحضارة الغربية الحالية قامت على أساس الحضارة الإسلامية، علماً أن الحضارة الإسلامية تملك شيئاً زائداً هو أنها قائمة على الأخلاق والإيمان والتوحيد.

المصادر

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي. ١٤٠٩هـ. *مصنف ابن أبي شيبة*. تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض: مكتبة الرشد.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي. ١٩٩٣. *صحيح ابن حبان*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني ١٣٧٩هـ. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب. بيروت: دار المعرفة.

ابن خلدون عبد الرحمن. د.ت. *مقدمة ابن خلدون*. بيروت: ط دار الكتب العلمية.

ابن ماجة: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني. د.ت *سنن ابن ماجة*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار بيروت: الفكر.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي. د.ت. *سنن أبي داود*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الفكر.

أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني. د.ت. *مسند أحمد*. مؤسسة مصر: قرطبة.

البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله الجعفي. ١٩٨٧. *الجامع الصحيح*. تحقيق: مصطفى ديب البغا. بيروت: ط٣ دار ابن كثير.

البوطي، محمد سعيد رمضان. ١٩٩٢. *منهج الحضارة الإنسانية في القرآن*. دمشق: ط٢ دار الفكر.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي. ١٩٩٤. *سنن البيهقي الكبرى*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مكة المكرمة: مكتبة دار الباز.

الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي. د.ت. *سنن الترمذي*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري. ١٩٩٠. *المستدرك على الصحيحين*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.

الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد. ١٤٠٧. *سنن الدارمي*. تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي. وخالد السبع العلمي. بيروت: دار الكتاب العربي.

السباعي مصطفى. ١٩٥٩. *من روائع حضارتنا*. دمشق: دار السلام.

السعيد، عبد الله عبد الرزاق مسعود. ٢٠٠٠م. *الإسلام ومؤسساته التعليمية الطبية*. دار عمار. عمّان.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. ١٤١٥هـ. *المعجم الأوسط*. تحقيق: طارق بن عوض الله الحسيني. القاهرة: دار الحرمين.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. ١٩٨٥. *المعجم الصغير*. تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير. عمّان/ الأردن: دار عمار.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. ١٩٨٣. *المعجم الكبير*. تحقيق: حمدي السلفي. الموصل: مكتبة العلوم والحكم.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. ١٤٠٥هـ. *تفسير الطبري*. بيروت: دار الفكر.

عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف. ١٤١٥. *نواقض الإيمان القولية والعملية*. الرياض: دار الوطن.

علي عبد الحليم محمود. ١٩٩٤م. *التراجع الحضاري في العالم الإسلامي وطريق التغلب عليه*. المنصورة – مصر: ط دار الوفاء.

الغزالي، محمد. ١٩٩١. *علل وأدوية*. ط٢. الاسكندرية – مصر: دار الدعوة.

قاسم شهاب صباح. ٢٠٠٠م. *علم النفس النبوي*. بيروت – لبنان: ط مؤسسة الرسالة.

القرضاوي، يوسف. ٢٠٠٠م. *كيف نتعامل مع السنة النبوية*. القاهرة: دار الشروق.

القرضاوي، يوسف. ١٩٩٤م. *الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة*. القاهرة: مكتبة وهبة.

القرضاوي، يوسف. (١٩٩٨م. *السنة مصدر للمعرفة والحضارة*. ط٢. القاهرة: دار الشروق.

القرطبي، أبو عبد الله. ١٣٧٢هـ. *الجامع لأحكام القرآن*. تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني. القاهرة دار الشعب ط٢.

مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي. د.ت. *موطأ مالك*. تحقيق: محمد فؤاد عبد االباقي. مصر: دار إحياء التراث العربي.

مجموعة مؤلفين. ١٩٩٠م. *الثقافة الإسلامية*. ط٤. منشورات جامعة صنعاء.

محسن عبد الحميد. ٢٠٠١م. *قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر*. بغداد.

محمد أمحزون. ٢٠٠٢م. *منهج النبي في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة*. القاهرة: ط دار السلام.

محمد هيشور ١٩٩٦. *سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها*. القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري النيسابوري. د.ت. *صحيح مسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن. ١٩٨٦. *سنن النسائي*. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية ط٢.

معالم القرآن والسنة
مجلة محكمة
السنة الأولى ◆ العدد الأول ◆ ٢٠٠٥

الدكتور فتح الدين بيانوني*

ضوابط الرواية في القرآن الكريم: دراسة تحليلية

المقدمة

إن من تعاليم الإسلام الرئيسة الأمر بنشر هذا الدين وتبليغه للعالمين، يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة: ٦٧. ويقول عز وجل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

وروى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّار»[٣]، وهذا الحديث نص في الأمر بتبليغ هذا الدين وشرائعه.

---

* قسم دراسات القرآن والسنة. كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا.

[٢] آل عمران: ١٠٤.

[٣] أخرجه البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. صحيح *البخاري*. تحقيق الدكتور مصطفى البغا. (ط٣. بيروت: دار ابن كثير. حديث رقم: ٣٢٧٤. ج٣ ص١٢٧٥.

وإن أول ما يجب تبليغه ونقله نصوص الوحي المعصوم في الكتاب والسنة، ولا بد لهذا النقل من منهج يسير عليه، وآداب وضوابط يلتزم بها، وقواعد يحتكم إليها، وذلك حتى يكون النقل سليما، والتبليغ كاملا.

وإن تعاليم الوحي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم تعد المرجع الأساس لدارس العلوم الدينية، وذلك لكونها المصدر الرئيس للتشريع عند المسلمين، وتمثل المنهج الذي تربى عليه المسلمون الأوائل، وعملوا على تطبيقه في واقع حياتهم، واحتكموا إليه فيما يعرض لهم من مسائل وأمور.

ومن خصائص القرآن الكريم شمول تشريعاته وتعاليمه جميع أنواع المعارف والعلوم الدينية. قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[١]. فهذه الآية تبين لنا أن الله سبحانه وتعالى ما ترك شيئا من أمر الدين إلا وقد دلنا عليه في القرآن، "إما دلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يُتلقى بيانها من الرسول عليه الصلاة والسلام، أو من الإجماع، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب. قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[٢]، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٣]، وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[٤]. فأجمل في هذه الآية وآية (النحل) ما لم ينص عليه مما لم يذكره، فصدق خبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شيء إلا ذكره، إما تفصيلا وإما تأصيلا، وقال: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم﴾[٥]".[٦]

---

[١] القرآن، الأنعام ٦: ٣٨.

[٢] القرآن، النحل ١٦: ٨٩.

[٣] القرآن، النحل ١٦: ٤٤.

[٤] القرآن، الحشر ٥٩: ٧.

[٥] القرآن، المائدة ٥: ٣.

[٦] القرطبي. أبو عبد الله محمد بن أحمد. ١٩٦٥. *الجامع لأحكام القرآن*. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج٦ ص٤٢٠.

وستقوم هذه الدراسة بتلمس الضوابط المتعلقة بعملية الرواية في القرآن الكريم، وذلك من خلال دراسة استقرائية لآيات القرآن الكريم المتعلقة بهذا الموضوع. وتشتمل الدراسة على مقدمة -تتحدث عن أهمية الموضوع وسبب اختياره- وثلاثة مطالب: يعرف المطلب الأول منها بمصطلح "ضوابط الرواية" وهو مصطلح جديد لم تتناوله كتب المصطلح فيما أعلم، ويتناول الثاني منها الضوابط ذات العلاقة المباشرة بعملية الرواية، بينما يعرض المطلب الثالث للضوابط العامة التي لا تختص بعملية الرواية، بل تتعلق بها وبغيرها من أنواع السلوك البشري.

أهمية الموضوع وسبب اختياره

تتضح أهمية هذا الموضوع من خلال العوامل التي أدت إلى الاهتمام به. فهناك ثلاثة عوامل رئيسة وراء هذه الدراسة: أحدها يتعلق بعلم أصول الحديث أو مصطلح الحديث. والعامل الثاني يتعلق بدراسات المستشرقين حول السنة النبوية ونظرتهم إلى واقع عملية الرواية في صدر الإسلام. أما العامل الثالث فيتعلق بحال الأمة الإسلامية اليوم، وما تعانيه من تفرق وتخلف، على مستوى الأفراد والجماعات، لعل أحد أسبابه الرئيسة بعدها عن الهدي الإلهي في جانب نقل الأخبار ونشرها، وعدم التزامها بالضوابط والآداب المتعلقة بذلك.

أما **العامل الأول**: فيتمثل في كون هذه الدراسة محاولة لتلمس الأسس والأصول التي بني عليها علم مصطلح الحديث. فهذا العلم من العلوم التي اختص بها المسلمون دون غيرهم من الأمم، ولكنه لم يأت من فراغ، وإنما استمد مشروعيته واستلهم قواعده من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. فقد بُني هذا العلم على ما في هذين المصدرين من مبادئ وقواعد وأحكام رئيسة تتعلق بعلم رواية الحديث ودرايته. وستقوم هذه الدراسة بإبراز هذه المبادئ والقواعد والأحكام، حتى يمكن التعرف عليها، والوقوف على أثر القرآن الكريم في نشأة علوم الحديث وتطورها.

والعامل الثاني: يتلخص فيما يعتقده المستشرقون ومن نحا نحوهم من أبناء جلدتنا أن عملية الرواية في القرن الهجري الأول لم يكن لها أي ضابط تسير في إطاره، بل كانت تمضي حرة دون أي قيد أو شرط، الأمر الذي أدى -في زعمهم- إلى الزيادة في الروايات والمبالغة فيها، بل إلى اختلاق القصص والأخبار عن النبي ﷺ، وذلك من أجل إثارة إعجاب المسلمين الجدد بالنبي محمد ﷺ، وحثهم على التمسك بالدين الذي جاء به.

فالمستشرق جيمس روبسون[1] مثلا يصور واقع عملية الرواية في الأيام الأولى من الإسلام بقوله: "إن ما حصل بالفعل هو أن مجموعة من المسلمين في أرجاء العالم الإسلامي اعتنوا بدراسة الأحاديث، بل واختلاقها، ولكن هذا الاختلاق كان لأهداف حسنة غالبا"[2]. ويؤكد أن هذا الواقع ينطبق على جميع طوائف المسلمين، فقد أصبح اختلاق الأحاديث من الممارسات العامة، وذلك من أجل دعم وجهات نظر الطوائف المختلفة، يستوي في ذلك المسلمون الصالحون وغيرهم[3]. كما يزعم هذا المستشرق أن عملية تناقل الروايات من إنسان إلى آخر أدت إلى الزيادة والتوسع في تلك الروايات، وإضافة معلومات وحوادث غير واقعية إليها، لاسيما

---

[1] جيمس روبسون (١٨٩٠-١٩٨١م) مستشرق بريطاني من مدينة جلاسكو في بريطانيا، كتب عددا من المقالات في مجال علم الحديث في دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الثانية، وفي عدد من الدوريات العلمية المتخصصة في الدراسات العربية والإسلامية. شغل منصب نائب كرسي الدراسات العبرية في جامعة جلاسكو (١٩١٥-١٩١٦م). عمل بعد ذلك مدرسا للغة الإنجليزية ومنصرا في مدينة لاهور ومدينة عدن، عين بعد ذلك محاضرا للغة العربية في جامعة جلاسكو (١٩٢٨-١٩٤٨م). حصل على الدكتوراه من كلية الثالوث في جامعة جلاسجو، ومنح درجة الدكتوراه الفخرية في الإلهيات من جامعة سينت أندروز. شغل منصب رئيس كرسي الدراسات العربية في جامعة مانشستر (١٩٤٩-١٩٥٨م)، وكان عضوا في الجمعية الاستشراقية في جامعة جلاسكو (١٩٢٢-١٩٧٤م)، وكذلك في الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وإيرلندا (١٩٣٣-١٩٧٩م)، كما كان عضوا في هيئة تحرير مجلة العالم الإسلامي، المتخصصة في الدراسات الإسلامية (١٩٤٧-١٩٨٠م). انظر:

"*Who's* is Who", An annual biographical dictionary, London, 1981; "Who was Who" vol. viii, (1981-1990), London, 1991; "The Writers Dictionary" (1974-76), London / New York, 1973.

[2] Robson, "Tradition: investigation and classification", (*The Muslim World*. Hartford. 41, 1951), p. 98.

[3] See Robson "Non-Resistance in Islam", (*Transactions of the Glasgow University Oriental Society. Glasgow*, 9, 1938/39), p. 3; cf. Robson "Tradition: investigation and classification", p. 99.

عندما تكون هناك رغبة في إثارة إعجاب المسلمين الجدد[١].

هذا التصور لواقع عملية الرواية في الأيام الأولى من الإسلام يعد نتيجة طبيعية لاعتقاد المستشرقين أن المجتمع المسلم في الأيام الأولى من الإسلام لم يعتمد الحديث مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي، وأن المسلمين آنذاك كانوا يتناقلون الأحاديث بهدف التسلية وملء أوقات الفراغ[٢].

وخلاصة الأمر في نظر روبسون ومن وافقه أن عملية رواية الأحاديث في صدر الإسلام كانت تسير دون ضوابط تضبطها أو قواعد تنظمها، وأن اختلاق الروايات والزيادة فيها كان أمرا شائعا آنذاك من أجل وضع قانون معين، أو دعم فكرة محددة. وقد أدى ذلك إلى نظرة ملؤها الشك والريبة تجاه الأحاديث النبوية الشريفة. يقول المستشرق جيمس روبسون: "إن البحث عن مواد قد تكون أصيلة بين الروايات الحديثية يواجه صعوبة بالغة، فمع أن المرء لا يجرؤ على التصريح بعدم وجود مثل هذه المواد فإن البحث عنها في هذه الكمية الضخمة من الروايات أشبه بالبحث عن إبرة معدنية في كومة من القش"[٣].

ولذلك ستقوم هذه الدراسة بإلقاء الضوء على تعاليم القرآن الكريم التي تتعلق بعملية الرواية تحملا وأداء، لتثبت أن عملية رواية الأحاديث منذ أيامها الأولى لم تكن -كما يصورها المستشرقون- تسير دون قيد أو ضابط، بل كانت محاطة بجملة من الأصول والمبادئ التي تحفظها من الزيادة أو النقصان، والتحريف أوالتبديل، والكذب أو البهتان.

والعامل الثالث يتمثل في حاجة الأمة الإسلامية اليوم إلى العودة إلى كتاب

---

[1] Robson, "Muslim Tradition: The question of authenticity", (*Memoirs and proceedings of the Manchester Literary & Philosophical Society* (*Manchester Memoirs*), 93, 1951/52), p. 86.

[2] See Robson "Tradition, the second foundation of Islam", (*The Muslim World*. Hartford. 41, 1951), pp. 23f.

للباحث دراسة باللغة الإنجليزية تعرض وتناقش آراء المستشرق جيمس روبسون حول أهمية السنة ومكانتها في الأيام الأولى من الإسلام، بعنوان: "*The Noble Hadith in the early days of Islam*"، سيتم نشرها قريبا إن شاء الله تعالى.

[3] Robson, "Muslim Tradition: The question of authenticity", p. 98.

ربها عز وجل وسنة نبيها محمد ﷺ في جميع ميادين الحياة ومجالاتها، ولعل من أهم تلك المجالات الهدي الرباني المتعلق بعملية نقل الروايات ونشرها. فلا بد من التعرف على ضوابط الرواية في القرآن الكريم، وتربية الأجيال المسلمة على تلك الضوابط، والعمل على صبغ حياتنا وسلوكنا الاجتماعي بها، والإفادة منها في تقييم واقعنا المعاصر في مجال قبول الأخبار والروايات وإذاعتها ونشرها. فكم كان البعد عن أسس الرواية وضوابطها وقواعدها العامة في هذا العصر سببا في نشر الأخبار غير الصحيحة وغير الموثوقة، وإصابة قوم بجهالة، وبث الرعب والخوف في قلوب الناس، ونشر الخلاف والفرقة بين أبناء المسلمين.

المطلب الأول: تعريف مصطلح "ضوابط الرواية"

يشتمل هذا المصطلح على كلمتين: "ضوابط" و"الرواية". فالضوابط جمع ضابط، وهي اسم فاعل للفعل ضَبَطَ الدال على لزوم الشيء وحفظه. فالضَّبْطُ في اللغة: "لزوم الشيء وحَبْسُه... وقال الليث: "الضَّبْطُ لزومُ شيء لا يفارقه في كل شيء، وضَبْطُ الشيء حِفْظُه بالحزم، والرجل ضابِطٌ أي: حازِم"... والضابِطُ: القويّ على عمَله"[١].

وجاء في مختار الصحاح: "ضَبَطَ الشيء حفظه بالحزم، وبابه ضرب. ورجل ضَابِطٌ أي حازم"[٢]. وفي المعجم الوسيط: "ضبطه ضبطا: حفظه بالحزم حفظا بليغا، وأحكمه وأتقنه. ويقال: ضبط البلاد وغيرها: قام بأمرها قياما ليس فيه نقص. وضبط الكتاب ونحوه: أصلح خللَه"[٣]. فلفظة "ضابط" تطلق على ما يقوم بالحفاظ على الشيء ورعايته والقيام بحقه خير قيام.

---

[١] أبـــو الفضل. جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري. ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. *لسان العرب*. بيروت: دار صادر. حرف الطاء المهملة، فصل الضاد.

[٢] الرازي، محمد بن أبي بكر. ١٩٨٧م. *مختار الصحاح*. بيروت: مكتبة لبنان. مادة ضبط.

[٣] د. إبراهيم أنيس وآخرون. د.ت. *المعجم الوسيط*. دون مكان ونشر: مادة ضبط.

أما كلمة الرواية فهي مصدر للفعل روى بمعنى حدَّث وقصّ. يقال: "روى الحديثَ والشِّعْرَ يرْويه رِواية وتَرَوَّاه ... ويقال: روَّى فلان فلاناً شعراً، إذا رواه له حتى حَفِظه للرِّواية عنه"[١]. وجاء في مختار الصحاح: "رَوَى الحديث والشعر يروي بالكسر رِوَايَةً، فهو رَاوٍ"[٢]. وفي المعجم الوسيط: "روى الحديثَ أو الشعرَ رواية: حمله ونقله، فهو راو، والجمع رواة ... ويقال: روى عليه الكذب: كذب عليه... والرِّواية: القصة الطويلة (محدثة)"[٣].

فلفظة "الرواية" تطلق على كل ما يحدِّث به الإنسان وينقله إلى غيره من حديث أو شعر أو قصة وغير ذلك. كما تطلق على عملية التحديث ونقل الحديث أو الخبر وتبليغه للآخرين، والمعنى الثاني هو المقصود في هذه الدراسة. وعلى هذا المعنى جاء تعريف الدكتور نور الدين عتر للرواية في اصطلاح المحدثين، حيث عرفها بأنها "حمل الحديث ونقله وإسناده إلى من عُزِي إليه، بصيغ من صيغ الأداء"[٤]. فهي تشمل أخذ الحديث وتَلَقِّيه من الشيخ، وهو ما يُسميه علماء الحديث "التحمُّل"، كما تشمل تبليغ الأحاديث للآخرين ونقلها إليهم، وهو ما يُطلقون عليه لفظ "الأداء".

والمقصود بمصطلح ضوابط الرواية هو: الأصول والمبادئ التي تحكم عملية الرواية، وتحفظها من الزيادة والنقص، أو التحريف والتبديل.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن "ضوابط الرواية"، تختلف عن "شروط صحة الروايات"، فبينما تمثل الأولى وسائل وقائية تساعد على حفظ عملية الرواية من أي خلل قد يؤدي إلى الزيادة والنقص أو التحريف والتبديل فيما يتحمله الراوي ويبلغه للآخرين، فإن "شروط صحة الروايات" تتمثل في صفات محددة اشترط المحدثون

---

[١] ابن منظور. ج١٤ ص٣٤٨.

[٢] الرازي. ص١١١.

[٣] أنيس. مادة روى.

[٤] عتر، نور الدين. ١٩٨١م. *منهج النقد عند المحدثين*. دمشق: دار الفكر. ط٣. ص١٨٨.

توافرها في السند والمتن للحكم على الحديث بالصحة. والتحقق من توافر هذه الشروط هو وظيفة عملية نقد المرويات، والتمييز بين المقبول منها والمردود[١].

وإن الدراسة المتأنية لآيات القرآن الكريم تكشف للمرء عددا من الأصول والمبادئ المهمة التي تعين على ضبط عملية الرواية وحفظها من الخطأ. ونظرا لطبيعة القرآن الكريم وكونه كتاب هداية وإرشاد للسلوك الإنساني بمختلف مجالاته وأنواعه وليس كتابا متخصصا في قضية معينة أو مسألة محددة، فإن كثيرا من الأصول والمبادئ التي أعرض لها في هذه الدراسة لا تختص بمسألة رواية الحديث فقط، وإنما هي أصول دينية وضوابط أخلاقية عامة، ذات علاقة مباشرة أو غير مباشرة بعملية رواية الأخبار والأحاديث النبوية، بحيث تعين على حفظ تلك العملية من أي خلل قد يصيبها. وقد جعلت هذه الضوابط في قسمين: ضوابط خاصة، وضوابط عامة.

المطلب الثاني: الضوابط الخاصة للرواية

والمقصود بالضوابط الخاصة مجموع الأصول والمبادئ التي تحكم عملية تحمل الروايات وأدائها، وتتعلق بها بشكل مباشر، وتتمثل فيما يلي:

١. الأمر بالصدق ومرافقة الصادقين

إن أول ضابط من ضوابط الرواية هو الأمر بالصدق والأمانة والتحري فيما يحدث به المرء، وينقله عن غيره. وقد حوى القرآن الكريم العديد من الآيات التي تأمر المسلمين بالصدق، وتحثهم على صحبة الصادقين ومرافقتهم.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٢]. ففي

---

[١] أعد الباحث دراسة خاصة حول هذا الموضوع بعنوان: "معالم النقد في القرآن الكريم". يتم نشرها قريبا إن شاء الله تعالى.

[٢] القرآن، التوبة ٩: ١١٩.

الآية أمر للمؤمنين بالتزام الصدق ومصاحبة الصادقين الذين يصدقون في إيمانهم وأقوالهم وأفعالهم ويوفون بعهودهم ومواثيقهم. وقد نزلت هذه الآية، والآية التي سبقتها من سورة التوبة، في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، يقول كعب بن مالك ﷺ: "فَوَاللَّه مَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَبْلاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلانِي. مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا"[١].

ويقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ: "إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم شيئا ثم لا ينجزه، اقرؤوا إن شئتم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، هل ترون في الكذب رخصة؟"[٢]. فاستدل بهذه الآية على تحريم الكذب، سواء أكان الإنسان جادا في ذلك أو مازحا.

وفي آية أخرى يحث الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين على تحري الصدق والالتزام به، وذلك ببيانه لما يؤول إليه حال الصادقين في الآخرة، يقول عز وجل: ﴿قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٣]. قال الإمام القرطبي: "قوله تعالى: ﴿قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ أي: صدقهم في الدنيا، فأما في الآخرة فلا ينفع فيها الصدق. وصدقهم في الدنيا يحتمل أن يكون صدقهم في العمل لله، ويحتمل أن يكون تركهم الكذب عليه وعلى رسله. وإنما ينفعهم الصدق في ذلك اليوم -وإن كان نافعا في كل الأيام- لوقوع الجزاء فيه"[٤].

---

[١] أخرجه البخاري. في كتاب التفسير. باب يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين: البخاري. حديث رقم: ٤٤٠١. ج٤ ص١٧١٩. والثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك هم: كعب بن مالك. ومرارة بن ربيعة العامري. وهلال بن أمية الواقفي. وكلهم من الأنصار ﷺ. وقد خرّج البخاري ومسلم حديثهم.

[٢] القرطبي. ج٨ ص٢٨٩.

[٣] القرآن، المائدة ٥: ١١٩.

[٤] القرطبي. ج٦ ص٣٧٩. وانظر في الموضوع نفسه: الآية ١٥-١٧ من سورة آل عمران؛ والآية ٢٤ و٣٥ من سورة الأحزاب؛ والآية ١٩ من سورة الحديد.

وهكذا يعد الأمر بالصدق أصلا مهما من الأصول التي تضبط الرواية وتحافظ عليها، فعلى الراوي تحري الصدق من الأخبار والروايات قبل نشرها، فإن روى ما لا يصح من الروايات دون تمييز لها وبيان لحالها كان مخالفا لهذا الضابط، ومشاركا في الإثم المترتب على تلك الروايات غير الصحيحة.

٢. الأمر باجتناب الكذب

في مقابل الأمر بالصدق يأتي الأمر باجتناب الكذب والاحتراز من قول الزور. ومع أن الأمر بالصدق يقتضي الأمر باجتناب الكذب والبعد عنه، فقد خص القرآن الكريم آيات عديدة للتحذير من الكذب بجميع أنواعه، وبيان مآل الكاذبين وعقوبتهم، وذلك استكمالا للموضوع من جميع جوانبه، وتأكيدا لضرورة الاحتراز من هذا الفعل الشنيع.

يقول الله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[١]. أي: "واتقوا قول الكذب والفرية على الله بقولكم في الآلهة: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾[٢]، وقولكم للملائكة: هي بنات الله، ونحو ذلك من القول، فإن ذلك كذب وزور وشرك بالله"[٣].

وقد حذر الله سبحانه وتعالى من افتراء الكذب عليه، فقال: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ . مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤]. أي: "لا تحرموا وتحللوا بمجرد قول من غير دليل. يقال: له وجه يصف الجمال، بمعنى: وجه جميل، وعين تصف السحر، بمعنى عين فتانة، ولسان يصف الكذب، بمعنى: لسان

---

[١] القرآن، الحج ٢٢: ٣٠.

[٢] القرآن، الزمر ٣٩: ٣.

[٣] الطبري أبو جعفر محمد بن جرير. ١٩٩٧م. *جامع البيان*. بيروت: دار الكتب العلمية. ط٢ ج٩ ص١٤٤.

[٤] القرآن، النحل ١٦: ١١٦-١١٧.

كذاب، وهنا جعل الكذب كأنه حقيقة مجهولة، وكذبهم يشرح تلك الحقيقة"[١]. ثم بين لهم أن من يفعل ذلك لا يفلح في الدنيا ولا في الآخرة؛ أما في الدنيا فمتاع قليل، وأما في الآخرة فلهم عذاب أليم[٢].

ويقرر الله عز وجل أن الكذب عليه من أكبر الآثام وأعظمها، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٣]. "يعني فمن أشد ظلما وأبعد عن الحق ممن يكذب على الله ويضيف تحريم ما لم يحرمه الله إلى الله، ليضل الناس بذلك ويصدهم عن سبيل الله، جهلا منه، إذ ليس هو على بصيرة وعلم في ذلك الذي ابتدعه ونسبه إلى الله، ويقول: إن الله أمرنا بهذا... إن الله لا يرشد ولا يوفق من كذب على الله، وأضاف إليه ما لم يشرعه لعباده"[٤].

أما عن حال من كذب على الله عز وجل وعقابه في الآخرة، فيوضحه سبحانه بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[٥]. أي: لا أحد أشد ظلما وتعذيبا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه، أولئك يعرضون على ربهم، ويقول الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون: هؤلاء الذين كذبوا في الدنيا على ربهم. فيقول الله عز وجل: ﴿ألا لعنة الله على

---

[١] الزحيلي: وهبة. ١٩٩١م. *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. بيروت: دار الفكر المعاصر. ج١٤ ص٢٥٤. وانظر الطبري. ج٧ ص٦٥٨.

[٢] انظر الحافظ إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي. ١٩٦٩م. *تفسير القرآن العظيم*. بيروت: دار المعرفة. ج٢ ص٥٩٠.

[٣] القرآن، الأنعام ٦: ١٤٤.

[٤] الخازن. علاء الدين علي بن محمد البغدادي. د.ت. *تفسير الخازن "لباب التأويل في معاني التنزيل"*. بيروت: دار المعرفة.ج٢ ص٦١. ومن الآيات التي تحذر من الكذب على الله عز وجل كذلك: البقرة ١: ٧٩. آل عمران ٣: ٩٤. الأنعام ٦: ٢١، ٩٣. الأعراف ٧: ٣٧. يونس ١٠: ١٧. الكهف ١٨: ١٥. العنكبوت ٢٩: ٦٨. الزمر ٣٩: ٣٢. الصف ٦١: ٧.

[٥] القرآن، هود ١١: ١٨.

الظالمين﴾ أي: ألا غضب الله على المعتدين الذين كفروا بربهم[١].

وفي آية أخرى يقول عز وجل: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٢]. يخاطب الله تعالى في هذه الآية نبيه محمدا ﷺ بقوله: ويوم القيامة ترى وجوه هؤلاء الذين كذبوا على الله من قومك فزعموا أن له ولدا، وأن له شريكا، وعبدوا آلهة من دونه مسودة. أليس في جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله، فامتنع من توحيده، والانتهاء إلى طاعته فيما أمره ونهاه عنه[٣].

ومما ينفر من الكذب أن الله عز وجل جعله من صفات الكافرين الذين لا يؤمنون بالله تعالى ورسله وآياته، ومن سماتهم التي يُعرفون بها ويُميَّزون بها عن غيرهم، يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[٤]. أي: "إنما يفتري الكذب على اللّه عز وجل وعلى رسوله ﷺ شرار الخلق ﴿الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ﴾ من الكفرة والملحدين المعروفين بالكذب عند الناس"[٥].

إن تحريم الكذب والتنفير منه والأمر بالاحتراز منه وتجنبه أصل وضابط مكمل للضابط الأول للرواية، وهو الأمر بالصدق، كما أن فيه تأكيدا على ضرورة اجتناب الكذب عموما، والكذب على الله وكتبه على وجه الخصوص.

٣. الأمر بعدم الاستماع إلى الكذب والاحتراز من مجالسة الكاذبين

لم يكتف القرآن الكريم بالنص على تحريم الكذب وقول الزور، بل أمر بعدم

---

[١] انظر الطبري. ج٧ ص٢١-٢٢ ومن الآيات التي تتحدث عن حال المكذبين وعقابهم: البقرة ١: ١٠. الأنعام ٦: ٩٣. التوبة ٩: ٧٧. يونس ١٠: ٦٩. النحل ١٦: ٥٦. طه ٢٠: ٦١.

[٢] القرآن، الزمر ٣٩: ٦٠.

[٣] انظر الطبري. ج١١ ص٢١.

[٤] القرآن، النحل ١٦: ١٠٥.

[٥] ابن كثير الدمشقي. ج٢ ص٥٨٧. وانظر: النساء: ٥٠. والمائدة: ١٠٣.

الاستماع إلى ذلك وقبوله، والاحتراز من مجالسة الفاسقين الذين يكذبون بآيات الله سبحانه وتعالى ويستهزئون بها، وذلك حماية للمجتمع المسلم من الآثار السلبية لهذا الأمر الخطير. فإن في الاستماع إلى الكذب ومجالسة الكاذبين إقرارا لهم على كذبهم وبهتانهم، وتأييدا لما هم عليه من باطل، كما أنه قد يؤدي مع مرور الوقت إلى أن يألف المرء باطلهم ويسلك مسلكهم ويتشبه بهم، ويروي للناس افتراءاتهم.

وقد عاب الله عز وجل على أهل الكتاب استماعهم للكذب وقبوله من أحبارهم ورهبانهم، فقال سبحانه: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[١].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ يقول الإمام الطبري: "يقول تعالى ذكره: هؤلاء اليهود الذين وصفت لك يا محمد صفتهم، سماعون لقيل الباطل والكذب، ومن قِيلِ بعضهم لبعض: محمد كاذب، ليس بنبي، وقيل بعضهم: إن حكم الزاني المحصن في التوراة الجلد والتحميم، وغير ذلك من الأباطيل والإفك، ويقبلون الرُّشا[٢]، فيأكلونها على كذبهم على الله وفريتهم عليه[٣].

ويحذر القرآن الكريم من حضور المجالس التي يكذب أصحابها بآيات الله سبحانه وتعالى ويستهزئون بها، وذلك لما في مجالستهم من مخاطر الاقتداء بهم، والرضا بأحوالهم. يقول تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[٤]. يفسر الإمام الطبري هذه الآية

---

[١] القرآن، المائدة ٥: ٤١.

[٢] الرشا بكسر الراء أو بضمها: جمع رشوة بكسر الراء وبضمها. انظر الرازي. مادة "رشا".

[٣] انظر الطبري. ج٤ ص٥٧٩.

[٤] القرآن، النساء ٤: ١٤٠.

بقوله: "وقد نزل عليكم أنكم إن جالستم من يكفر بآيات الله، ويستهزئ بها وأنتم تسمعون فأنتم مثله، يعني: فأنتم إن لم تقوموا عنهم في تلك الحال مثلهم في فعلهم، لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم، وأنتم تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها، كما عصوه باستهزائهم بآيات الله، فقد أتيتم من معصية الله نحو الذي أتوه منها، فأنتم إذا مثلهم في ركوبكم معصية الله، وإتيانكم ما نهاكم الله عنه"[١].

وتدل الآية على النهي عن مجالسة الفاسقين وأهل البدع والأهواء، عند خوضهم في باطلهم، وأن من جالسهم حكمه حكمهم. "وقد ذهب إلى هذا جماعة من أئمة هذه الأمة، وحكم بموجب هذه الآيات في مُجالس أهل البدع على المعاشرة والمخالطة، منهم الإمام أحمد بن حنبل والأوزاعي وابن المبارك، فإنهم قالوا في رجل شأنه مجالسة أهل البدع: يُنهى عن مجالستهم، فإن انتهى وإلا ألحق بهم، يعنون في الحكم"[٢].

٤. النهي عن القول بغير علم أو بالظن

القول بغير علم مطلقا، أو بالظن الذي هو محض الخيال والتوهم من الأمور التي نهى عنها القرآن الكريم وحذر منها، وهدد مرتكبها بالحساب عليها. ويدخل في ذلك الرواية عن الله عز وجل ورسوله ﷺ دون علم بصحة الرواية من عدمها، أو عند الشك في صحتها. يقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[٣].

أخرج الإمام الطبري في تفسير هذه الآية عن قتادة أنه قال: "لا تقل رأيتُ ولم تر، وسمعتُ ولم تسمع، وعلمتُ ولم تعلم، فإن الله تبارك وتعالى سائلك عن ذلك

---

[١] الطبري. ج٤ ص٣٢٨. ومن الآيات التي تنهى عن مجالسة المكذبين والمستهزئين بالله عز وجل وآياته: الأنعام ٦: ٦٨. والخطاب في هذه الآية وإن كان للنبي ﷺ. فإن المؤمنين داخلون معه في ذلك الخطاب. انظر القرطبي. ج٧ ص١٢.

[٢] القرطبي. ج٧ ص١٤٢؛ والطبري ج٤ ص٣٢٨.

[٣] القرآن، الإسراء ١٧: ٣٦.

كله"[١]. وقد لخص الحافظ ابن كثير ما ذكر في تفسير هذه الآية بقوله: "ومضمون ما ذكروه أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم، بل بالظن الذي هو التوهم والخيال"[٢].

ومن الآيات التي حذرت من أن يصدر الإنسان في أقواله وأفعاله عن التوهم والظن، قوله عز وجل: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْم﴾[٣]. ويقول سبحانه في آية أخرى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُون﴾[٤].

يقول الإمام القرطبي: "وللظن حالتان: حالة تُعرف وتقوى بوجه من وجوه الأدلة فيجوز الحكم بها، وأكثر أحكام الشريعة مبنية على غلبة الظن، كالقياس وخبر الواحد وغير ذلك من قيم المتلفات وأروش الجنايات. والحالة الثانيه: أن يقع في النفس شيء من غير دلالة فلا يكون ذلك أولى من ضده، فهذا هو الشك، فلا يجوز الحكم به، وهو المنهي عنه على ما قررناه آنفا"[٥].

وقد عاب القرآن الكريم على كثير من الأمم السابقة اتباعها للظن واعتمادها عليه. ففي معرض الحديث عن اليهود، يقول الله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّون﴾[٦]. والظن في هذه الآية بمعنى الكذب. فقد نقل الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية عن أحمد بن يحيى النحوي قوله: "إن العرب تجعل الظَّن علما وشكا وكذبا، وقال: إذا قامت براهين العلم فكانت أكثر من براهين الشك فالظن يقين، وإذا اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشك فالظن شك، وإذا زادت براهين الشك على براهين اليقين فالظن كذب، قال

---

[١] الطبري. ج٨ ص٨٠؛ وابن كثير الدمشقي. ج٣ ص٣٩.

[٢] ابن كثير الدمشقي. ج٣ ص٣٩.

[٣] القرآن، الحجرات ٤٩: ١٢.

[٤] يونس:٣٦. وانظر النجم ٥٣: ٢٨.

[٥] القرطبي. ج١٦ ص٣٣٣.

[٦] القرآن، البقرة ١: ٧٨.

الله عز وجل ﴿وإن هم إلا يظنون﴾ أراد إلا يكذبون"[١].

وفي آية أخرى يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾[٢]. يقول الحافظ ابن كثير: "يعني ذلك من ادعى أنه قتله من اليهود ومن سلّمه إليهم من جهال النصارى، كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسعر. ولهذا قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾ أي وما قتلوه متيقنين أنه هو، بل شاكين متوهمين"[٣].

وفي الحديث عن مشركي مكة، يقول سبحانه: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾[٤].

وهنا أمر من الله تعالى لرسوله ﷺ أن يخاطب المشركين ويقول لهم: إن تقولون ما تقولون أيها المشركون، وتعبدون من الأوثان والأصنام ما تعبدون، وتُحرّمون من الحروث والأنعام ما تحرمون، إلا ظنا وحسبانا أنه حق، وأنكم على حق وهو باطل، وأنتم على باطل. وما أنتم في ذلك كله إلا تتقوّلون الباطل على الله ظنا بغير يقين علم ولا برهان واضح[٥].

وهكذا يعد النهي عن القول بغير علم أو بالظن ضابطا رئيسا من ضوابط الرواية. فالراوي الملتزم بهذا الضابط سوف يتحقق من الروايات والأخبار ويدقق فيها قبل روايتها ونشرها، فلا يروي إلا ما تحقق منه وتيقن صحته أو غلب على

---

[١] القرطبي. ج٢ ص٧.

[٢] القرآن، النساء ٤: ١٥٧.

[٣] ابن كثير الدمشقي. ج٢ ص٥٧٤.

[٤] القرآن، الأنعام ٦: ١٤٨. وانظر: الأنعام ٦: ١١٦. يونس:٦٦. النجم ٥٣: ٢٣.

[٥] انظر الطبري. ج٥ ص٣٨٨.

ظنه ذلك، ويتجنب الروايات المبنية على الشكوك والأوهام.

٥. النهي عن التحريف والتبديل

التحريف والتبديل صورة من صور الكذب، فالكذب الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه[١]. وقد يكون ذلك اختلاقا لأمر ما لا وجود له في الواقع، أو يكون تحريفا أو تبديلا لأمر موجود، وتصويره على غير حقيقته. وقد نص القرآن الكريم على تحريم التحريف والتبديل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير﴾[٢]. والإلحاد يأتي بمعنى الكفر والتكذيب والاستهزاء والتحريف والتبديل، وقد روى الإمام الطبري في تفسير الإلحاد في هذه الآية عددا من الأقوال، ختمها بتفسير ابن عباس ﷺ للإلحاد بأنه تبديل الكلام ووضعه على غير مواضعه، ثم علق على ذلك قائلا: وكل هذه الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك قريبات المعاني، وذلك أن اللحد والإلحاد: هو الميل، وقد يكون ميلا عن آيات الله، وعدولا عنها بالتكذيب بها، ويكون بالاستهزاء مكاء وتصدية، ويكون مفارقة لها وعنادا، ويكون تحريفا لها وتغييرا لمعانيها. ولا قول أولى بالصحة في ذلك مما قلنا، فالأولى أن يعم الخبر عنهم بأنهم ألحدوا في آيات الله، كما عم ذلك ربنا تبارك وتعالى. ثم يبين سبحانه أنه عالم بهؤلاء لا يخفون عليه، وأنه لهم بالمرصاد حين يَرِدون عليه، فيجازيهم على فعلهم هذا، وذلك تهديد من الله جل ثناؤه لهم[٣].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ فيه تهديد ووعيد لكل من تسول له نفسه فيكذب بآيات الله سبحانه وتعالى أو يستهزئ بها، أو يحرف أوامره أو

---

[١] انظر القرطبي. ج١١ ص٣٠١.

[٢] القرآن، فصلت ٤١: ٤٠.

[٣] انظر الطبري. ج١١ ص١١٥.

يستبدل بها غيرها[١].

ومما يظهر من دراسة الآيات المتعلقة بهذا الموضوع، أن التحريف والتبديل في الأوامر والتشريعات من الأمور التي اشتهر بها اليهود أكثر من غيرهم، فقد تحدث القرآن الكريم في عدد من آياته عن تحريفهم لأوامر الله عز وجل وتبديلهم لتشريعاته وعدم تطبيقها كما أمر سبحانه. يقول تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٢].

أي: أفترجون يا معشر المؤمنين بمحمد ﷺ والمصدقين بما جاءكم به من عند الله أن يؤمن لكم يهود بني إسرائيل وأن يصدقوا بما جاءكم به نبيكم ﷺ من عند ربكم[٣]. يقول الإمام القرطبي: وهذا استفهام فيه معنى الإنكار، كأنه أيأسهم من إيمان هذه الفرقة من اليهود، أي إن كفروا فلهم سابقة في ذلك. والخطاب لأصحاب النبي ﷺ. وذلك أن الأنصار كان لهم حرص على إسلام اليهود للحلف والجوار الذي كان بينهم. وقد ذهب مجاهد والسدي إلى أن المقصود بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَه﴾: علماء اليهود الذين يحرفون التوراة، فيجعلون الحرام حلالا والحلال حراما، اتباعا لأهوائهم[٤]. ومن عناد اليهود وتماديهم في الباطل أنهم يقومون بالتحريف والتبديل بعدما عرفوا كلام الله سبحانه وتعالى وعلموه، فهم يخالفونه على بصيرة، وهم يعلمون أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من التحريف والتأويل[٥].

وفي آية أخرى يخاطب الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ

---

[١] انظر ابن كثير الدمشقي. ج٤ ص١٠٢.

[٢] القرآن، البقرة ١: ٧٥.

[٣] انظر الطبري. ج١ ص٤٠٩.

[٤] انظر القرطبي. ج٢ ص٢-٣.

[٥] ابن كثير الدمشقي. ج١ ص١١٥.

مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١].

يفسر الإمام ابن جرير الطبري التحريف بقوله: "وكان تحريفهم ذلك تغييرَهم حكم الله تعالى ذكره، الذي أنزله في التوراة في المحصنات والمحصنين من الزناة، بالرجم إلى الجلد والتحميم"[٢]. وذلك بعد ما روى عن السدي قوله: "كان بنو إسرائيل أنزل الله عليهم: إذا زنى منكم أحد فارجموه. فلم يزالوا بذلك حتى زنى رجل من خيارهم؛ فلما اجتمعت بنو إسرائيل يرجمونه، قام الخيار والأشراف فمنعوه. ثم زنى رجل من الضعفاء، فاجتمعوا ليرجموه، فاجتمعت الضعفاء فقالوا: لا ترجموه حتى تأتوا بصاحبكم فترجموهما جميعا! فقالت بنو إسرائيل: إن هذا الأمر قد اشتد علينا، فتعالوا فلنصلحه! فتركوا الرجم، وجعلوا مكانه أربعين جلدة بحبل مقيَّر -مطلي بالقار، وهو الزفت- ويحممونه -يصبغون وجهه بالحُمم، وهو الفحم- ويحملونه على حمار ووجهه إلى ذنبه، ويسودون وجهه، ويطوفون به"[٣].

وروى الإمام مسلم في سبب نزول هذه الآية عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: مُرّ عَلَى النّبِيّ ﷺ بِيَهُودِيَ مُحَمّماً -مصبوغا وجهه بالحُمَم، أي: بالفحم- مَجْلُوداً. فَدَعَاهُمْ ﷺ فَقَالَ: «هَكَذَا تَجِدُونَ حَدّ الزّانِي فِي كِتَابِكُم؟» قَالُوا: نَعَمْ. فَدَعَا رَجُلاً مِنْ عُلَمَائِهِمْ. فَقَالَ: «أَنْشُدُكَ بِاللّهِ الّذِي أَنْزَلَ التّوْرَاةَ عَلَى مُوسَىَ: أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدّ الزّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟» قَالَ: لاَ، وَلَوْلاَ أَنّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ. نَجِدُهُ الرّجْمَ، وَلَكِنّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا، فَكُنّا إِذَا أَخَذْنَا الشّرِيفَ تَرَكْنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا

---

[١] القرآن، المائدة ٥: ٤١.

[٢] الطبري. ج٤ ص٥٧٦.

[٣] المرجع نفسه. ج٤ ص٥٧٥-٥٧٦. ومن الآيات الدالة على تحريف اليهود لكتاب ربهم وشريعته: النساء ٤: ٤٦. والمائدة ٥: ١٣.

الضّعيفَ، أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدّ. قُلْنَا: تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشّرِيفِ وَالْوَضِيعِ. فَجَعَلْنَا التّحْمِيمَ -أي: تسويد الوجه بالحُمَم- وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرّجْمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «اللّهُمّ إِنّي أَوّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ». فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فَأَنْزَلَ اللّهُ عز وجل: ﴿يَا أَيّهَا الرّسُولُ لاَ يَحْزُنْكَ الّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾. إِلَى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾[١].

ويبين القرآن الكريم للمسلمين عقوبة اليهود الذين حرفوا كلام الله عز وجل، محذرا من تقليدهم واتباع طريقتهم، حيث يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ . فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[٢].

أخرج البخاري ومسلم في تفسير هذه الآية حديث أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ. فَبَدَّلُوا، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ وَقَالُوا حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ»[٣].

ويفسر الإمام الطبري هذه الآية بقوله: "فتأويل الآية: وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية مباحا لكم كل ما فيها من الطيبات، موسعا عليكم بغير حساب، وادخلوا الباب سجدا، وقولوا: سجودنا هذا لله حطّة من ربنا لذنوبنا يحط به آثامَنا، نتغمد لكم ذنوب المذنب منكم فنسترها عليه، ونحط أوزاره عنه، وسنزيد المحسنين منكم

---

[١] أخرجه مسلم. كتاب الحدود. باب حد الزنى. انظر الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري. د.ت. *صحيح مسلم*. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. حديث رقم: ١٧٠٠. ج٣ ص١٣٢٧.

[٢] القرآن، البقرة ١: ٥٨-٥٩.

[٣] الحديث متفق عليه. أخرجه البخاري في كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآن. باب "وَقُولُوا حِطَّة". انظر البخاري. حديث رقم: ٤٣٦٥. ج٤ ص١٧٠١؛ وأخرجه مسلم في كتاب التفسير. انظر النيسابوري. حديث رقم: ٣٠١٥. ج٤ ص٢٣١٢. وقد أشار القرآن إلى الواقعة نفسها. في سورة الأعراف. آية: ١٦١-١٦٢. (أستاههم) جمع أست. وهي الدبر. انظر الإمام ابن الأثير المبارك بن محمد الجزري. ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. *النهاية في غريب الحديث*. بيروت: دار الفكر. ط٢. ج٢ ص٢٤٩.

إلى إحساننا السالف عنده إحسانا"[١].

قال الحافظ ابن كثير: "وحاصل ما ذكره المفسِّرون وما دلّ عليه السياق أنهم بدّلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل، فأُمروا أن يدخلوا سجداً فدخلوا يزحفون على أستاههم، من قبل أستاهم رافعي رؤوسهم، وأُمروا أن يقولوا حطة، أي: احطط عنا ذنوبنا وخطايانا، فاستهزؤوا، فقالوا: حنطة في شعيرة. وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة، ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم، وهو خروجهم عن طاعته"[٢].

أما عن العقاب الذي حل باليهود بسبب تحريفهم لكلام الله عز وجل وعدم خضوعهم لأوامره، فقد أشار إليه الله عز وجل بقوله: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُون﴾[٣]. وقد روى الإمام الطبري عن ابن زيد[٤] تفسيره الرجز بالطاعون، ثم قال: "وقد دللنا على أن تأويل الرجز: العذاب، وعذاب الله جل ثناؤه أصناف مختلفة. وقد أخبر الله جل ثناؤه أنه أنزل على الذين وصفنا أمرهم الرجز من السماء، وجائز أن يكون ذلك طاعونا، وجائز أن يكون غيره، ولا دلالة في ظاهر القرآن ولا في أثر عن الرسول ثابت أي أصناف ذلك كان. فالصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل: فأنزلنا عليهم رجزا من السماء بفسقهم. غير أنه يغلب على النفس صحة ما قاله ابن زيد للخبر

---

[١] الطبري. ج١ ص٣٤٣.

[٢] ابن كثير الدمشقي. ج١ ص٩٩.

[٣] القرآن، البقرة ١: ٥٩.

[٤] ابن زيد: هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم صاحب التفسير. قال أبو حاتم: "كان في نفسه صالحا. وفي الحديث واهيا". وقال ابن الجوزي: "أجمعوا على ضعفه". وقال ابن خزيمة: "ليس هو ممن يحتج أهل العلم بحديثه لسوء حفظه. هو رجل صناعته العبادة والتقشف. ليس من أحلاس الحديث". مات سنة ١٨٢هـ. انظر الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. *تهذيب التهذيب*. (بيروت: دار الفكر. ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م). ج٦ ص١٧٧-١٧٩. أحلاس: جَمْع حِلْس. وهو الكِسَاء الذي يَلِي ظَهْرَ البعير تحت القَتَب. وفيه معنى اللزوم والدوام. انظر ابن الأثير الجزري. ج١ ص٤٢٣. وقوله "ليس من أحلاس الحديث" أي ليس من الملازمين لعلم الحديث والمعتنين به.

الذي ذكرت عن رسول الله ﷺ في إخباره عن الطاعون أنه رجز، وأنه عذب به قوم قبلنا. وإن كنت لا أقول إن ذلك كذلك يقينا، لأن الخبر عن رسول الله ﷺ لا بيان فيه أي أمة عذبت بذلك"[١].

في مقابل ذلك تبين لنا آية أخرى ما أعد الله لأهل الكتاب، حال التزامهم بأوامر ربهم، واتباعهم لما جاء في الكتب المقدسة التي أنزلها عليهم، يقول عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُون﴾[٢].

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أي: لو أنهم عملوا بما في الكتب التي بأيديهم عن الأنبياء، على ما هي عليه من غير تحريف ولا تبديل ولا تغيير، لقادهم ذلك إلى اتباع الحق والعمل بمقتضى ما بعث اللّه به محمداً ﷺ، فإن كتبهم ناطقة بتصديقه والأمر باتباعه حتماً لا محالة. وقوله تعالى: ﴿لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ يعني بذلك كثرة الرزق النازل عليهم من السماء، والنابت لهم من الأرض"[٣].

وهكذا يأمر القرآن الكريم باجتناب التحريف والتبديل عموما، ويشدد على فعل ذلك غاية التشديد عندما يتعلق الأمر بآيات الله عز وجل، وبكل ماله صلة به سبحانه وتعالى من كتب مقدسة أوحى بها إلى عباده، ورسل كرام أرسلهم بالهدى ودين الحق، ويشمل ذلك القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وقد جاء الأمر باجتناب التحريف والتبديل من خلال النهي عن هذا الفعل مباشرة، وبيان عقاب

---

[١] الطبري. ج١ ص٣٤٦. والخبر الذي أشار إليه الطبري هو حديث أُسَامَةَ بْنِ زَيْد ﷺ عن الطاعون، وفيه: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ ذَكَرَ الْوَجَع، فَقَال: «رِجْزٌ أَو عَذَابٌ عُذِّبَ بِه بَعْضُ الأُمَمِ ثُمَّ بَقِيَ مِنْهُ بَقِيَّة، فَيَذْهَبُ الْمَرَّةَ وَيَأْتِي الأُخْرَى. فَمَنْ سَمِعَ بِه بِأَرْضٍ فَلا يُقْدِمَنَّ عَلَيْه، وَمَنْ كَانَ بِأَرْضٍ وَقَعَ بِهَا فَلا يَخْرُجْ فِرَارًا مِنْه». والحديث أخرجه البخاري في كِتَاب الْحِيَل، بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ الاحْتِيَال فِي الْفِرَار مِن الطَّاعون. انظر البخاري. حديث رقم:٦٥٧٣. ج٦ ص٢٥٥٧. وأخرجه الإمام مسلم بألفاظ مقاربة. في كتاب السلام. باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها. انظر النيسابوري. حديث رقم: ٢٢١٨. ج٤ ص١٧٣٧.

[٢] القرآن، المائدة ٥: ٦٦.

[٣] ابن كثير الدمشقي. ج٢ ص٧٦.

من اقترفه وتلبس به، وثواب من اجتنبه وابتعد عنه.

٦. الأمر بالتثبت في الرواية

يعد الأمر بالتثبت في الرواية ونقل الأخبار أحد التوجيهات الرئيسة التي صرح بها القرآن الكريم ونبه إليها في أكثر من مناسبة. ففي سورة الحجرات يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[١]. فهذه الآية تدل على "وجوب التثبت من الأخبار المنقولة والروايات المروية، أخذا بالحيطة والحذر ومنعا من إيذاء الآخرين"[٢].

وقد استدل الإمام مسلم على ضرورة التثبت في الروايات قبل روايتها ونشرها، مستدلا بهذه الآية وبقوله سبحانه: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾[٣]، وقوله عز وجل: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[٤]، فقال: "اعلم، وفقك الله تعالى، أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها، وثقات الناقلين لها من المتهمين، أن لا يروي منها إلا ما عرف صحة مخارجه، والستارة في ناقليه. وأن يتقي منها ما كان منها من أهل التهم والمعاندين من أهل البدع"[٥].

ومن الآيات الدالة على أهمية التثبت قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٦].

---

[١] القرآن، الحجرات ٤٩: ٦.

[٢] الزحيلي. وهبة. ١٩٩١م. *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. بيروت: دار الفكر المعاصر. ج٢٦ ص٢٢٩.

[٣] القرآن، البقرة ١: ٢٨٢.

[٤] القرآن، الطلاق ٦٥: ٢.

[٥] مقدمة صحيح *مسلم*. انظر النيسابوري. ج١ ص٨.

[٦] القرآن، النساء ٤: ٨٣.

يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: "والمعنى أنهم إذا سمعوا شيئا من الأمور فيه أمن، نحو ظفر المسلمين وقتل عدوهم، أو الخوف، وهو ضد هذا، أذاعوا به، أي أفشوه وأظهروه وتحدثوا به، قبل أن يقفوا على حقيقته"[١]. وروى السيوطي عن السدي في تفسير هذه الآية قوله: إذا جاءهم أمر أنهم قد أمنوا من عدوهم، أو أنهم خائفون منه، أذاعوا بالحديث حتى يبلغ عدوَّهم أمرُهم... ولو سكتوا وردوا الحديث إلى النبي ﷺ، أو إلى أميرهم حتى يتكلم به، ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ وهم الذين ينقرون عن الأخبار[٢].

ففي هذه الآية أمر بالتثبت في الأخبار وعدم قبولها ونشرها إلا بعد ردها إلى أولي الأمر وإلى أهل العلم والاختصاص والخبرة. كما أن فيها الإنكار على من يبادر إلى نشر الأخبار قبل التحقق من صحتها ودقتها، وقد لا يكون لها صحة[٣].

والغفلة عن التثبت في قبول الروايات لها آثارها الخطيرة على الفرد والمجتمع، فكم كان قبول الأخبار ونشرها دون تمحيص ونقد وتدقيق سببا في تفريق القلوب وتقطيع أواصر الألفة والمحبة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، بل ربما كان سببا في نشر الرعب والذعر في المجتمع بشكل عام.

المطلب الثالث: الضوابط العامة للرواية

ويقصد بالضوابط العامة للرواية مجموع الأصول والمبادئ التي لا تختص بموضوع الرواية، بل تتعلق به وبغيره، ولكن الإيمان بتلك الأصول والمبادئ ومراعاتها يؤدي إلى ضبط عملية الرواية وسلامتها. وتتمثل هذه الضوابط فيما يلي:

---

[١] القرطبي. ج٥ ص٢٩١.

[٢] انظـــر السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. ١٩٩٠م. *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*. بيروت: دار الكتب العلمية. ج٢ ص٦٠١.

[٣] انظر ابن كثير القرشي الدمشقي. ج١ ص٥٣٠.

١. تنمية الشعور بمراقبة الله عز وجل

لم يكتف القرآن الكريم بالأمر بالصدق ومرافقة الصادقين، والنهي عن الكذب والاستماع إلى الكاذبين، بل أحاط تلك الأوامر ببعض العقائد والتشريعات التي تحث على تطبيقها والاستجابة لها، ومن ذلك التأكيد على أن الله سبحانه وتعالى مطلع على جميع خلقه، يعلم سرهم وجهرهم، ويسمع حديثهم ونجواهم، ويحيط بجميع ما يصدر منهم من أقوال وأفعال وحركات وسكنات. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُون﴾[١]. أي: "وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات وفي الأرض فلا يخفى عليه شيء"[٢]. والمراد بالسر ما يخفيه الإنسان في ضميره، فهو من أعمال القلوب، وبالجهر ما يظهره الإنسان، فهو من أعمال الجوارح. والمعنى أن الله لا يخفى عليه خافية في السماوات ولا في الأرض. أما قوله عز وجل: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُون﴾ يعني من خير أو شر. "فإن قيل: إن الكسب إما أن يكون من أعمال القلوب وهو المسمى بالسر، أو من أعمال الجوارح، وهو المسمى بالجهر، فالأفعال لا تخرج عن هذين النوعين، وهذا يقتضي عطف الشيء على نفسه، وذلك غير جائز. فالجواب عن ذلك -كما قرره الفخر الرازي-: أنه يجب حمل قوله ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُون﴾ على ما يستحقه الإنسان على فعله وكسبه من الثواب والعقاب. والحاصل فيه أنه محمول على المكتَسَب، فهو كما يقال: هذا المال كسْبُ فلان، أي مكتَسَبه، ولا يجوز حمله على نفس الكسب، وإلا لزم عطف الشيء على نفسه"[٣].

وفيما يتعلق بما يصدر عن الإنسان من أقوال، سواء أعلن بها للناس أو أسرها في نفسه، يقول الله عز وجل: ﴿سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ

---

[١] القرآن، الأنعام ٦: ٣.

[٢] القرطبي. ج٦ ص٣٩٠.

[٣] الخازن. ج٢ ص٤.

مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾[١]. وإسرار القول: ما يحدث به المرء نفسه، والجهر ما يحدث به غيره. والمراد بذلك أن الله سبحانه يعلم ما أسره الإنسان من خير وشر، كما يعلم ما جهر به من خير وشر. فسواء في علم الله عز وجل من أسر قوله وأخفاه عن الناس، ومن جهر به فأخبر به غيره، وسواء في علمه سبحانه من يستخفي بمعصيته في ظلمة الليل ومن يظهرها ويعلنها في ضوء النهار، فلا يخفى عليه شيء من ذلك[٢]. ويروى عن قتادة في تفسير هذه الآية قوله: "كل ذلك عنده سواء، السر عنده علانية، والظلمة عنده ضوء"[٣].

وفي آية أخرى يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٤]. عن ابن عباس ﷺ قال: "نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي ﷺ فيخبره جبريل عليه السلام؛ فقال بعضهم لبعض: أسروا قولكم كي لا يسمع رب محمد؛ فنزلت: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾"[٥].

ويؤكد سبحانه إحاطة علمه بما يكنه الخلق في صدورهم، فيقول عز وجل: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[٦]. يقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: "وإن ربك ليعلم ضمائر صدور خلقه، ومكنون أنفسهم، وخفي أسرارهم، وعلانية أمورهم الظاهرة، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو محصيها عليهم حتى يجازي جميعهم بالإحسان إحسانا وبالإساءة جزاءها"[٧].

ويقول سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ

---

[١] القرآن، الرعد ١٣: ١٠.

[٢] انظر الطبري. ج٧ ص٣٤٨؛ والقرطبي. ج٩ ص٢٨٩-٢٩٠.

[٣] السيوطي. الدر المنثور. ج٤ ص٨٨. وانظر الطبري. ج١٣ ص١١٤.

[٤] القرآن، الملك ٦٧: ١٣.

[٥] القرطبي. ج١٨ ص٢١٤.

[٦] القرآن، النمل ٢٧: ٧٤. وانظر القصص:٦٩.

[٧] الطبري. ج١٠ ص١١.

أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد ﴾[١]. أي: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تحدث به نفسه، فلا تخفى علينا سرائره وضمائر قلبه. وفي هذا بيان لكمال علمه سبحانه وتعالى بأحوال خلقه، وزجر لخلقه عن المعاصي التي يستخفون بها[٢]. يقول الخازن في تفسيره لهذه الآية: "ومعنى الآية أن أجزاء الإنسان وأبعاضه يحجب بعضها بعضا، ولا يُحجب عن علم الله شيء"[٣].

ويقرر القرآن الكريم إحاطة علمه سبحانه بكل ما في هذا الكون صغيره وكبيره، فيقول عز من قائل: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾[٤]. وهذا إخبار منه سبحانه "عن علمه تعالى بالأشياء على التفصيل؛ ومثله في القرآن كثير. فهو العالم بما كان وما يكون وما لا يكون"[٥]. وفي ذلك إشارة إلى كمال علمه سبحانه المتعلق بجميع المعلومات[٦].

إن استشعار إحاطة علم الله سبحانه وتعالى بجميع ما في هذا الكون، واطلاعه سبحانه على ما يصدر عن المرء من أقوال وأفعال، بل بما يفكر به وبما تحدثه به نفسه، يمثل ضابطا آخر من ضوابط الرواية، فالراوي الذي يعلم أن الله سبحانه وتعالى الذي أمره بالصدق ونهاه عن الكذب وقول الزور مطلع على أفعاله وأقواله، عليم بسره وجهره، سيفكر مليا في كل كلمة ينطق بها، ويحتاط كثيرا في كل خبر ينقله ويرويه.

٢. تسجيل الملائكة لأعمال الإنسان

لقد جعل الله تعالى لكل إنسان سجلا خاصا تُدون فيه أعماله، خيرها وشرها،

---

[١] القرآن، ق ٥٠: ١٦.

[٢] انظر الطبري. ج١١ ص٤١٥؛ والقرطبي. ج١٧ ص٨.

[٣] الخازن. ج٤ ص١٧٦.

[٤] آل عمران:٥.

[٥] القرطبي. ج٤ ص٧.

[٦] الخازن. ج١ ص٢١٥.

صغيرها وكبيرها، سرها وجهرها، وتُسجل عليه فيه حركاته وسكناته، مع علمه عز وجل بتلك الأعمال، وذلك من أجل إقامة الحجة على خلقه. وقد وكّل سبحانه بأداء هذه المهمة ملكين كريمين: أحدهما عن يمين الإنسان يكتب الحسنات، والآخر عن شماله يكتب السيئات، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ . مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد﴾[١].

نقل الإمام القرطبي في تفسير "المتلقيان" عن مجاهد، قال: "وكل الله بالإنسان -مع علمه بأحواله- ملكين بالليل وملكين بالنهار يحفظان عمله، ويكتبان أثره، إلزاما للحجة: أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات، والآخر عن شماله يكتب السيئات، فذلك قوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيد﴾"[٢]. وقال الأحنف بن قيس: "صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمين على صاحب الشمال، فإن أصاب العبد خطيئة قال له: أمسك، فإن استغفر الله تعالى نهاه أن يكتبها وإن أبى كتبها"[٣].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد﴾، يقول عبد الله بن عباس ﷺ: "يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر، حتى إنه ليكتب قوله: أكلت، شربت، ذهبت، جئت، رأيت. حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقي سائره، وذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَاب﴾[٤]".[٥]

ويقول الحسن البصري: "يا ابن آدم بُسطت لك صحيفة، ووُكِّل بك ملكان كريمان: أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك. فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر،

---

[١] القرآن، ق ٥٠: ١٧-١٨.

[٢] القرطبي. ج١٧ ص٩؛ وانظر الطبري. ج١١ ص٤١٦؛ والسيوطي. *الدر المنثور*. ج٦ ص١١٨.

[٣] ابن كثير الدمشقي. ج٤ ص٢٢٤. وروى القرطبي نحوه عن سفيان. انظر القرطبي. ج١٧ ص١٠-١١.

[٤] القرآن، الرعد ١٣: ٣٩.

[٥] ابن كثير الدمشقي. ج٤ ص٢٢٤.

حتى إذا مت طويت صحيفتك، وجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا . اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[١]". [٢]

وأخرج البيهقي عن عطاء بن أبي رباح (١١٤هـ) قال: "إن من كان قبلكم كان يكره فضول الكلام ما عدا كتاب الله أن يقرأه، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، وأن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها. أتنكرون أن عليكم حافظين ﴿كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾، وأن ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيد . مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد﴾؟ أما يستحي أحدكم لو نشر صحيفته التي ملأ صدر نهاره، وأكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه؟". وفي رواية أخرى: "وليس فيها شيء من أمر آخرته"[٣].

يقول الإمام النووي، مؤكدا على أهمية حفظ اللسان عن الحرام والمكروه، بل حتى عن المباح: "اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء"[٤].

إن المرء الذي يدرك أن أفعاله وأقواله محفوظة ومسجلة عليه، كبيرها وصغيرها، ليحسب لكل كلمة يتفوه بها حسابا، ويحتاط في كل خبر ينقله عن غيره، فلا يخبر إلا بما هو صحيح وصادق، ويبتعد عن اختلاق الأخبار ونشرها. وبذلك يكون الإيمان بهذه الحقيقة أحد الضوابط المهمة التي تضبط عملية الرواية وتحافظ عليها.

---

[١] القرآن، الإسراء ١٧: ١٣-١٤.

[٢] ابن كثير الدمشقي. ج٤ ص٢٢٤.

[٣] السيوطي. *الدر المنثور*. ج٦ ص١٢٠؛ وانظر: ج٢ ص٣٩١.

[٤] النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف الدمشقي. ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. *رياض الصالحين*. دمشق: دار المأمون للتراث. ط٣. كتاب الأمور المنهي عنها. باب تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان. ص ٥٧٣.

٣. تقرير مبدأ المسؤولية الفردية عن الأعمال

إن مبدأ مسؤولية الفرد عما يصدر عنه من أفعال وأقوال من المبادئ الرئيسة في الإسلام، فقد قرر القرآن الكريم في أكثر من موضع مسؤولية الإنسان عما يقدمه من خير أو يقترفه من إثم وشر، فـ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[١]، لا يُحسب له إلا ما قدم هو لنفسه، كما لا يأخذ أحد شيئا مما عمله وكسبه. ولا يَحمل عنه أحد شيئا من آثامه وأوزاره، كما لا تُحمَل عليه ذنوبُ غيره من الناس وأوزارهم، فليس للإنسان إلا عمله وسعيه، له ما كسب وعليه ما اكتسب.

قال الله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[٢]. قال السدي: يريد من الحسنات والسيئات. وقال ابن عطية: وجماعةُ المفسرين لا خلاف بينهم في ذلك[٣].

وفي آية أخرى يقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤].

وروى الترمذي عن قيس بن أبي حازم عن أبي بَكْرٍ الصّدّيق أَنَّهُ قال: "يا أَيّهَا النّاسُ إِنّكُمْ تَقْرَؤونَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، وإِنِي سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إِنّ النّاسَ إِذَا رَأَوْا ظَالِماً فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمّهُمُ الله بِعِقَابٍ مِنْهُ»"[٥]. وروي عن سعيد بن المسيب أنه قال: "معنى الآية: لا يضركم من ضل إذا اهتديتم بعد الأمر بالمعروف

---

[١] القرآن، الطور ٥٢: ٢١. وانظر المدثر ٧٤: ٣٨. والنجم ٥٣: ٣٩.

[٢] القرآن، البقرة ١: ٢٨٦. وانظر النجم ٥٣: ٣٩.

[٣] القرطبي. ج٣ ص٤٢٨.

[٤] القرآن، المائدة ٥: ١٠٥. وانظر الإسراء ١٧: ١٥.

[٥] الحديث أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رَسُولِ الله ﷺ. باب وَمِنْ سُورةِ الْمَائِدَة. وقال: هذا حديث حسن صحيح. الترمذي، محمد بن عيسى. د.ت. سنن الترمذي. تحقيق أحمد شاكر وآخرين. بيروت: دار إحياء التراث العربي. حديث رقم: ٣٠٥٧. ج٥ ص٢٥٦.

والنهي عن المنكر"[١].

وعن أبي أُمَيّةَ الشّعْبَانِيّ قال: أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيّ فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ تَصْنَعُ فِي هَذِهِ الآيةِ؟ قال: أَيّةُ آيَةٍ؟ قلت: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، قال: "أَمَا واللهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيراً، سَأَلْتُ عَنْهَا رسولَ اللهِ ﷺ فقال: «بَلْ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتّى إِذَا رَأَيْتَ شُحّا مُطَاعاً، وَهَوًى مُتّبَعاً، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ الْعَوَامّ، فَإِنّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيّاماً الصّبْرُ فِيهِنّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ». قال عَبْدُ اللهِ بنُ الْمُبَارَكِ: وَزَادَنِي غيرُ عُتْبَةَ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلاً مِنّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قال: «لاَ، بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلاً مِنْكُمْ»[٢].

وفي سورة أخرى نقرأ قول الله سبحانه وتعالى، مؤكدا المسؤولية الفردية لكل شخص على أعماله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللّه أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[٣].

وقد روي في سبب نزول هذه الآية "أن الكفار قالوا للنبي ﷺ: ارجع يا محمد إلى ديننا، واعبد آلهتنا، واترك ما أنت عليه، ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك وآخرتك؛ فنزلت الآية. وهي استفهام يقتضي التقرير والتوبيخ"[٤].

وتبين هذه الآية أن كل نفس محاسبة بما اكتسبته من آثام وأوزار، فـ"لا تحمل حاملة ثقل أخرى، ولا تؤخذ نفس بذنب غيرها، بل كل نفس مأخوذة بجرمها

---

[١] القرطبي. ج٦ ص٣٤٤.

[٢] الحديث أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رَسُولِ اللهِ ﷺ. باب وَمِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ. وقال: هذا حديث حسن غريب. انظر الترمذي. حديث رقم: ٣٠٥٨. ج٥ ص٢٥٧.

[٣] القرآن، الأنعام ٦: ١٦٤. وانظر فاطر:١٨. والزمر ٣٩: ٧.

[٤] القرطبي. ج٧ ص١٥٥-١٥٦.

ومعاقبة بإثمها"[١].

ويؤكد القرآن الكريم أن مبدأ المسؤولية الشخصية الذي نبه إليه وأكد عليه من المبادئ الرئيسة التي قررتها الأديان السابقة، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى . وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى . أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى . وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إلا مَا سَعَى . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الأَوْفَى﴾[٢].

يقول الإمام القرطبي: "وخص صحف إبراهيم وموسى بالذكر؛ لأنه كان ما بين نوح وإبراهيم يؤخذ الرجل بجريرة أخيه وابنه وأبيه... قال ابن عباس ﷺ: كانوا قبل إبراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره، ويأخذون الولي بالولي في القتل والجراحة؛ فيقتل الرجل بأبيه وابنه وأخيه وعمه وخاله وابن عمه وقريبه وزوجته وزوجها وعبده، فبلغهم إبراهيم عليه السلام عن الله تعالى: ﴿أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾"[٣].

ومن رحمة الله بعباده أنه لم يؤاخذهم بما تحدث به نفوسهم ولم تعمله جوارحهم، فقد أخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر عن محمد بن كعب القرظي قال: "ما بعث الله من نبي ولا أرسل من رسول أنزل عليه الكتاب إلا أنزل عليه هذه الآية: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤]، فكانت الأمم تأبى على أنبيائها ورسلها، ويقولون: نؤاخذ بما نحدث به أنفسنا ولم تعمله جوارحنا؟! فيكفرون ويضلون، فلما نزلت على النبي ﷺ اشتد على المسلمين ما اشتد على الأمم قبلهم، فقالوا: يا رسول الله، أنؤاخذ بما نحدث به أنفسنا ولم تعمله جوارحنا؟ قال: «نعم،

---

[١] المرجع نفسه. ج٧ ص١٥٧.

[٢] القرآن، النجم ٥٣: ٣٦-٤١.

[٣] القرطبي. ج١٧ ص١١٣.

[٤] القرآن، البقرة ١: ٢٨٤.

فاسمعوا وأطيعوا واطلبوا إلى ربكم»، فذلك قوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[١]. فوضع الله عنهم حديث النفس إلا ما عملت الجوارح، لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر. ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[٢]، قال: فوضع عنهم الخطأ والنسيان. ﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ الآية. قال: فلم يكلفوا ما لم يطيقوا، ولم يحمل عليهم الإصر الذي جعل على الأمم قبلهم، وعفا عنهم وغفر لهم ونصرهم"[٣].

وقد نقل الإمام النووي عن القاضي عياض قوله: "وقد اختلف الناس في هذه الآية، فأكثر المفسرين من الصحابة ومن بعدهم على ما تقدم فيها من النسخ، وأنكره بعض المتأخرين قال: لأنه خبر ولا يدخل النسخ الأخبار، وليس كما قال هذا المتأخر، فإنه وإن كان خبرا فهو خبر عن تكليف ومؤاخذة بما تكن النفوس والتعبد بما أمرهم النبي ﷺ في الحديث بذلك وأن يقولوا سمعنا وأطعنا، وهذه أقوال وأعمال اللسان والقلب، ثم نسخ ذلك عنهم برفع الحرج والمؤاخذة"[٤].

ولا تعارض بين مبدأ المسؤولية الشخصية وما ورد من قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٥]، وذلك لأن من لم ينه عن المنكر ويأخذ على يد العاصي، كان عاصيا مثله، فاستوجب بذلك غضب الله سبحانه وتعالى وعقابه. وقد نقل القرطبي عن القاضي أبي بكر ابن العربي توضيح هذا الإشكال والإجابة عنه بقوله: "فإن قيل: فقد قال الله تعالى

---

[١] القرآن، البقرة ١: ٢٨٥.

[٢] القرآن، البقرة ١: ٢٨٦.

[٣] السيوطي. *الدر المنثور*. ج١ ص٦٦٢. والحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان. باب بيان تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر. وبيان أنه سبحانه وتعالى لم يُكلف إلا ما يطاق. دون ذكر الأمم السابقة. انظر النيسابوري. حديث رقم: ١٢٥. ج١ ص١١٥.

[٤] النووي. *صحيح مسلم بشرح النووي*. ج٢ ص١٥٠.

[٥] القرآن، الأنفال ٨: ٢٥.

﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[١]. ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٢]. ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[٣]. وهذا يوجب ألا يؤخذ أحد بذنب أحد، وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب. فالجواب أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر فمن الفرض على كل من رآه أن يغيره؛ فإذا سُكت عليه فكلهم عاص، هذا بفعله وهذا برضاه. وقد جعل الله في حكمه وحكمته الراضي بمنزلة العامل؛ فانتظم في العقوبة"[٤].

يقول الإمام النووي في شرحه لحديث: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِه...»: "وأما قول الله عز وجل: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[٥]، فليس مخالفا لما ذكرناه (وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، لأن المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية: أنكم إذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم، مثل قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[٦]. وإذا كان كذلك فمما كلف به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا فعله و لم يمتثل المخاطَب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل لكونه أدى ما عليه، فإنما عليه الأمر والنهي لا القَبول، والله أعلم"[٧]. ويؤيد ذلك ما روي عَنْ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ رضي الله عنها أَنّ النّبِيّ ﷺ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِه وَهُوَ يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ. وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍ قَدِ اقْتَرَبَ. فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذه»، وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِه عَشَرَةً. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّه، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصّالِحُونَ؟ قَالَ:

---

[١] القرآن، الأنعام ٦: ١٦٤.

[٢] القرآن، المدثر ٧٤: ٣٨.

[٣] القرآن، البقرة ١: ٢٨٦.

[٤] القرطبي. ج٧ ص٣٩٣.

[٥] القرآن، المائدة ٥: ١٠٥.

[٦] انظر الإسراء ١٧: ١٥.

[٧] النووي. ج٢ ص٢٢-٢٣. وحديث: «من رأى منكم منكرا...» أخرجه مسلم في كتاب. باب بيان كون النهي عن المنكـــر من الإيمان. وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان. انظر النيسابوري. حديث رقم:٤٩. ج١ ص٦٩.

«نَعَمْ. إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»[١].

إن الراوي الذي يستشعر مسؤوليته تجاه ما يصدر منه من أقوال وأفعال، سيكون حريصا على أن يكون على مستوى هذه المسؤولية، وأن يبتعد عن كل ما يخل بها. وهكذا يمثل مبدأ المسؤولية الفردية عن الأعمال ضابطا مهما من ضوابط الرواية، وعاملا رئيسا من عوامل الحفاظ على عملية الرواية سليمة من التحريف والتبديل.

٤. تقرير عقيدة الحساب والجزاء

إضافة إلى مبدأ المسؤولية الشخصية، يقرر القرآن الكريم عقيدة الحساب والجزاء، التي تقتضي أن كل فرد سيحاسب على أعماله التي اكتسبها، خيرها وشرها، صغيرها وكبيرها، وهي مبدأ مكمل لمبدأ المسؤولية الفردية. يقول الله عز وجل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٢].

ويُروى عن سعيد بن جبير في سبب نزول هذه الآية قوله: لما نزل قول الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[٣]، "كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، فيجيء المسكين إلى أبوابهم، فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك، فيردونه ويقولون: ما هذا بشيء، إنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه. وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، يقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر. فرغّبهم في القليل من الخير أن يعملوه فإنه يوشك أن يكثر، وحذرهم

---

[١] الحديث أخرجه البخاري في كِتَاب الْفِتَنِ. باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ»؛ وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب اقتراب الفتن. واللفظ لمسلم. انظر البخاري. حديث رقم: ٦٦٥٠. ج٦ ص٢٥٨٩؛ والنيسابوري. حديث رقم: ٢٨٨٠. ج٤ ص٢٢٠٧.

[٢] القرآن، الزلزلة ٩٩: ٦-٨.

[٣] القرآن، الإنسان ٧٦: ٨.

اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثر، فنزلت ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...﴾"[١]. إن هذه "الآية تقرر أن من عمل في الدنيا وزن ذرة من خير يرى ثوابه هنالك، ومن عمل في الدنيا وزن ذرة من شر يرى جزاءه هنالك"[٢].

ويقول الإمام القرطبي: "هذا مثل ضربه الله تعالى: أنه لا يُغفل من عمل ابن آدم صغيرةً ولا كبيرة. وهو مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[٣]"[٤]. وروي عن كعب الأحبار أنه قال: "لقد أنزل الله على محمد آيتين أحصتا ما في التوراة والإنجيل والزبور والصحف"، وذكر هذه الآية[٥].

وكان النبي ﷺ يسمى هذه الآية الآية الجامعة الفاذة، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة ﷺ أن رَسُول اللَّه ﷺ سئل عَنْ الْحُمُرِ فَقَال: «مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهَا إِلا هَذِهِ الآيَةُ الْجَامِعَةُ الْفَاذَّةُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾»[٦]. قال الحافظ ابن حجر: "سماها جامعة لشمولها لجميع الأنواع من طاعة ومعصية، وسماها فاذة لانفرادها في معناها"[٧]. وفي الآية حث على العمل بطاعة الله عز وجل، وزجر عن مخالفة أوامره وارتكاب معاصيه.

ويروى عن عبد الله بن عمر ﷺ، أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج ذات يوم إلى الناس فقال: أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن، وأعدلها، وأخوفها، وأرجاها؟ فسكت القوم. فقال ابن مسعود ﷺ: على الخبير سقطت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أعظم

---

[١] ابن كثير الدمشقي. ج٤ ص٥٤١.

[٢] الطبري. ج١٢ ص٦٦١.

[٣] القرآن، النساء ٤: ٤٠.

[٤] القرطبي. ج٢٠ ص١٥٠-١٥١.

[٥] المرجع نفسه. ج٢٠ ص١٥٢.

[٦] الحديث أخرجه الإمام البخاري في كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ. باب الْخَيْلُ لِثَلاثَةٍ؛ والإمام مسلم في كتاب الزكاة. باب إثم مانع الزكاة. انظر البخاري. حديث رقم:٢٧٠٥. ج٣ ص١٠٥٠؛ والنيسابوري. حديث رقم:٩٨٧. ج٢ ص٦٨٢.

[٧] العسقلاني. *فتح الباري*. ج٦ ص٥٠.

آية في القرآن: ﴿ اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[١]، وأعدل آية في القرآن: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[٢] إلى آخرها، وأخوف آية في القرآن: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾[٣]، وأرجى آية في القرآن: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رحْمَةِ اللّه﴾[٤]»[٥].

ويقرر القرآن الكريم أن المرء محاسب على كل ما يتلفظ به لسانه، أو تنظر إليه عينه، أو تستمع إليه أذنه، أو ما تقوم به أعضاؤه وجوارحه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[٦].

يقول الإمام القرطبي: "أي: يُسأل كل واحد منهم عما اكتسب، فالفؤاد يسأل عما افتكر فيه واعتقده، والسمع والبصر عما رأى من ذلك وسمع. وقيل: المعنى أن الله سبحانه وتعالى يسأل الإنسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده... والمعنى الأول أبلغ في الحجة، فإنه يقع تكذيبه من جوارحه، وتلك غاية الخزي"[٧].

وهكذا تمثل عقيدة الحساب والجزاء ضابطا رئيسا من الضوابط المتعلقة برواية الأحاديث ونشرها، لكونها تجعل الراوي يحتاط فيما يتلفظ به ويرويه، وتحجزه عن الكذب والاختلاق في الرواية، لاعتقاده بأن الله عز وجل سيحاسبه عن كل قول صدر منه، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

---

[١] القرآن، البقرة ١: ٢٥٥.

[٢] القرآن، النحل ١٦: ٩٠.

[٣] القرآن، الزلزلة ٩٩: ٧-٨.

[٤] القرآن، الزمر ٣٩: ٥٣.

[٥] انظر السيوطي. *الدر المنثور*. ج١ ص٥٧٣-٥٧٤. وقد حكم السيوطي على هذا الحديث بالضعف. انظر السيوطي. جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر. ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. *الجامع الصغير من حديث البشير النذير*. مكة المكرمة: مكتبة مصطفى نزار الباز. ط٢. ج١ ص٢٥٩.

[٦] القرآن، الإسراء ١٧: ٣٦.

[٧] القرطبي. ج١٠ ص ٢٥٩.

الخاتمة

تلك هي أهم ضوابط الرواية التي تمكن الباحث من استخلاصها من القرآن الكريم. وإن المتأمل لتلك الضوابط ليدرك مدى أهميتها في ضبط عملية رواية الأخبار ونشرها، لاسيما الأخبار والنصوص ذات الصبغة الشرعية، كالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وإذا علمنا شدة تمسك أبناء القرن الأول الهجري، من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان، بتعاليم القرآن الكريم، وحرصهم على تطبيقها بشكل دقيق ومفصل، وصبغ حياتهم بها، أدركنا أثر تلك الضوابط في السلوك العلمي لأبناء ذلك القرن، الأمر الذي أدى إلى الحفاظ على روايات الحديث في ذلك العصر سليمة من التحريف أو التبديل، والزيادة أو النقصان، وذلك في إطار الحركة العلمية المباركة التي قام بها علماء الصحابة رضوان الله عليهم ومن تتلمذ على أيديهم من التابعين لهم بإحسان. تلك الحركة التي أولت عناية كبيرة لتحمل حديث رسول الله ﷺ وحفظه ونقله إلى الأجيال اللاحقة ملتزمة بتلك الأصول والمبادئ، حتى وصلتنا الأحاديث خالصة سليمة من تحريف المغرضين وتأويل الجاهلين. ويمكن تلخيص نتائج البحث في النقاط التالية:

١. اشتمال القرآن الكريم على عدد من الأصول الدينية والضوابط الأخلاقية التي يمكن أن تعد ضوابط مهمة لعملية الرواية، والتي تعين على الحفاظ عليها من الخطأ. وقد استنبط الباحث عشرة ضوابط، وقسمها إلى قسمين: خاصة وعامة.

٢. يمكن أن تعد تلك الضوابط النواة الأولى لما سمي فيما بعد علم "أصول الحديث" أو "مصطلح الحديث". فعلى تلك الأصول والمبادئ بنى علماء الحديث صرح علم الحديث.

٣. الرد على المستشرقين ومن نحا نحوهم من أبناء جلدتنا في زعمهم أن عملية الرواية في القرن الهجري الأول كانت تمضي حرة دون أي قيد أو شرط.

ويوصي البحث بالاهتمام بضوابط الرواية وتربية النشء المسلم عليها، لتؤدي دورها مرة أخرى في الحفاظ على المجتمعات المسلمة، وتهيئة الأجواء الصالحة التي تجعل الأمة المسلمة تتحقق بوصف الخيرية الذي وصفها الله تعالى به في قوله سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّه﴾[1]. فإن مجتمعا يتربى على هذه الأسس ويعمل على مراعاة تلك الضوابط في سماع الأخبار ونشرها لهو مجتمع نقي وسليم من الأمراض والآفات الناتجة عن عدم الالتزام بتلك الضوابط في عملية الرواية، كانتشار الأكاذيب والإشاعات، والعمل على نشرها وترويجها، الأمر الذي يؤدي إلى عدم الثقة بكثير من مصادر الأخبار والمعلومات، وانتشار الفوضى والفرقة بين الأفراد المجتمعات، إلى غير ذلك من العلل والأدواء. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن الأثير الجزري، الإمام المبارك بن محمد. ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. *النهاية في غريب الحديث*. ط٢. بيروت: دار الفكر.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري. ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

أنيس، إبراهيم وآخرون. د.ت. *المعجم الوسيط*. دون مكان نشر.

البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري. ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. *صحيح البخاري*. تحقيق الدكتور مصطفى البغا. ط٣. بيروت: دار ابن كثير.

الترمذي، محمد بن عيسى. د.ت. *سنن الترمذي*. تحقيق أحمد شاكر وآخرين. بيروت: دار

[1] القرآن، آل عمران ٢: ١١٠.

إحياء التراث العربي.

الخازن البغدادي، علاء الدين علي بن محمد. د.ت. *تفسير الخازن "لباب التأويل في معاني التنزيل"*. بيروت: دار المعرفة.

الدمشقي، الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير. ١٤٠١هـ. *تفسير ابن كثير*. بيروت: دار الفكر.

الرازي، الإمام محمد بن أبي بكر. ١٩٨٧م. *مختار الصحاح*. بيروت: مكتبة لبنان.

الزحيلي، د. وهبة. ١٤١١هـ/١٩٩١م. *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. بيروت: دار الفكر المعاصر.

السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر. ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. *الجامع الصغير من حديث البشير النذير*. ط٢. مكة المكرمة: مكتبة مصطفى نزار الباز.

السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر. ١٤١١هـ/١٩٩٠م. *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الطبري، الإمام أبي جعفر محمد بن جرير. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. *جامع البيان*. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية.

عتر، نور الدين. ١٤٠١هـ/١٩٨١م. *منهج النقد في علوم الحديث*. ط٣. دمشق: دار الفكر.

العسقلاني، الحافظ أحمد بن علي بن حجر. ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. *تهذيب التهذيب*. بيروت: دار الفكر.

العسقلاني، الحافظ أحمد بن علي بن حجر. ١٣٧٩هـ. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. بيروت: دار المعرفة.

القرطبي، الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد. ١٩٦٥م. *الجامع لأحكام القرآن*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

النووي، الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف الدمشقي. ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. *رياض الصالحين*. ط٣. دمشق: دار المأمون للتراث.

النووي، الإمام يحيى بن شرف. ١٣٩٢هـ. *شرح النووي على صحيح مسلم*. ط٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

النيسابوري، الإمام مسلم بن الحجاج. د.ت. *صحيح مسلم*. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

"*The Writers Dictionary*" (1974-76), London / New York, 1973.

"*Who's* is *Who*", An annual biographical dictionary, London, 1981.

"*Who was Who*" vol. viii, (1981-1990), London, 1991.

المقالات (Articles)

"Muslim Tradition: The question of authenticity", by James Robson, (*Memoirs and proceedings of the Manchester Literary & Philosophical Society* (*Manchester Memoirs*), 93, 1951/52).

"Non-Resistance in Islam", by James Robson, (*Transactions of the Glasgow University Oriental Society. Glasgow*, 9, 1938/39).

"Tradition: investigation and classification", by James Robson, (*The Muslim World.* Hartford. 41, 1951).

"Tradition, the second foundation of Islam", (*The Muslim World.* Hartford. 41, 1951).

معالم القرآن والسنة
مجلة محكمة
السنة الأولى ♦ العدد الأول ♦ ٢٠٠٥

الدكتور محمد أبو الليث الخيرآبادي*

حديث «ناقصات عقل ودين»: إشكالية، أسباب، حلول

تمهيد

حديث «ناقصات عقل ودين» من الأحاديث التي كثر الجدل حولها منذ أمد بعيد، على الرغم من أن معناه كان مفهوماً، ومحتواه كان مقبولاً، فمنذ عصر الصحابة حتى القرن العشرين لم يسجل المؤرخون -مسلمين وغير مسلمين- اعتراضاً يؤدي إلى رفضه أو إلغاء مفهومه، بل قبلته الأمة الإسلامية بأجمعها تسليماً، رجالاً ونساءً من الصحابة والصحابيات وغيرهم على مدى القرون الطويلة، وحتى السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها المعروفة بالاستدراكات على الصحابة، خاصة الأحاديث التي تمس -حسب رؤيتها- من كرامة المرأة ووقارها، لم تتناول هذا الحديث بالنقد والاستدراك، بل لم تُقابله بالتعبُّس والتذمُّر. ولو كان في هذا الحديث شيء من ذلك القبيل لما سكتت، ولا أحجمت عن الرد عليه.

ولكن في هذا الزمن تعرَّض هذا الحديث للنقد أو الرفض من قبل بعض أبناء المسلمين، كما استخدمه الآخرون لاتهام الإسلام أو رسول الإسلام عليه الصلاة

* دكتوراه في الحديث. جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٩٩٢م. وأستاذ الحديث المشارك في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

والسلام بإهانة المرأة، والحط من شأنها، شأنَ كثيرٍ من الأحاديث الصحيحة الأخرى، فيقولون: إنه يمس من كرامة النساء، ويحط من مكانتهن، وأنه ينتقص منهن ومن حقوقهن. حتى آل الأمر ببعض البنات المسلمات المثقفات أن خرجن على ما أجمعت الأمة عليه، ورفضن قبوله، أو شككن في صحته، أو على الأقل تأولنه بتعسف، وقد عُقدت ولا تزال تُعقد لأجل هذا الغرض الكثير من البرامج والندوات والمناظرات في أماكن مختلفة، وبوسائل إعلامية متنوعة. وفي هذا الإطار تأتي هذه الدراسة لتقدِّم شيئاً ربما يكون مقبولاً عندهن وعند رجال الأمة بإذنه تعالى.

وقبل أن أدخل في صميم الموضوع أود أن أقول لأخواتنا في الإسلام أن الله سبحانه وتعالى خلق الرجال والنساء، وأودع كلاًّ منهما ما يناسبه من القدرات والصلاحيات، وهو الذي شاء أن لا يكون هذان الصنفان متساويين من كل ناحية، جسدياً ونفسياً. وهو الذي منح الرجال منصب القوامة على النساء منحة تكليفية أصالةً، وتشريفية ضمناً؛ إذ التكليف بمنصب لا يكون إلا لمن فيه نوع من الأولوية في مقابل الآخرين، وهو الذي جعل المرأة نصف الرجل في مسألتين في القرآن الكريم، وهما:

الأولى: الميراث فإنه للذكر مثل حظ الأنثيين.

الثانية: الشهادة في الدين فإن شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل واحد. وحديثنا موضوع هذه الدراسة له علاقة بهذه المسألة.

وهاتان المسألتان ليستا مرتبطتين بزمان أو مكان، ولا يتغير حكمهما بتغير حالة النساء -في الظاهر- في زمان أو مكان ما. ولا يقال إن مسألة الشهادة مرتبطة بالعلة، والحكم يبقى ببقاء العلة، وينتفي بانتفائها. وكذلك لا يقال إن هذا التعليل ليس بخاص بالنساء، بل قد يحصل مع الرجال فيتعدى الحكم إليهم أيضاً. لا يقال هذا ولا ذاك لأن الله الخالق لهما قد قال ذلك، وهو يعلم أن من يتعرض عموماً للضلال -أيا كان سببه- فيحتاج إلى من يذكِّره، ومن لا يتعرض لذلك فلا

يحتاج إلى المذكّر. فتخصيص الحكم بالنساء يشير إلى أن هذه الصفة في النساء صفة عامة دائمة.

وهناك مسألتان أخريان جعل النبي ﷺ فيهما المرأة نصف الرجل، وهما:

الأولى: العقيقة فإنها عن الأنثى شاة، وعن الذكر شاتان عند الجميع بأحاديث صحيحة[١].

الثانية: العتق: إعتاق رجلٍ أَمَتين مسلمتين يساوي إعتاقَ عبدٍ مسلمٍ واحدٍ في الثواب عند الجميع بحديث صحيح قال النبي ﷺ: «أيما امرئ مسلم أعتق امرأً مسلماً كان فكاكه من النار يجزي كل عضو منه عضواً منه، وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين ينفذ فكاكه من النار يجزي كل عضو منهما عضواً منه، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار يجزي كل عضو منها عضوا منها»[٢].

وهناك مسألة خامسة جعل الإجماع فيها المرأة نصف الرجل، وهي دية المرأة على النصف من دية الرجل. قال الكاساني: "وإن كان أنثى فدية المرأة على النصف

---

[١] منها:

١. حديث أم كرز رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. *الجامع*: ج٤ ص٩٨ رقم١٥١٦ (تحقيق أحمد شاكر. دار إحياء التراث العربي بيروت) وغيره.

٢. حديث عائشة رواه ابن ماجه في *السنن*: ج٢ ص١٠٥٦ رقم٣١٦٣ (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر بيروت) وابن حبان في صحيحه: ج١٢ ص١٢٦ رقم٥٣١٠ (تحقيق شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة بيروت. ط٢. ١٩٩٣م) والحاكم في *المستدرك*: ج٤ ص٢٦٦ رقم ٧٥٩٥ وصححه (تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية بيروت. ط١. ١٩٩٠م).

٣. حديث عبد الله بن عمرو رواه أبو داود في *السنن*: ج٣ ص١٠٧ رقم٢٨٤٢ (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الفكر بيروت) والحاكم في *المستدرك*: ج٤ ص٢٦٥ رقم٧٥٩٢ وصححه. وينظر أحاديث أخرى في *مجمع الزوائد* للهيثمي: ج٤ ص٥٧-٥٨ (دار الريان القاهرة. ١٤٠٧هـ).

[٢] رواه الترمذي في *جامعه* وصححه من حديث أبي أمامة وغيره: ج٤ ص١١٧ رقم١٥٤٧. وانظر: ابن القيم: *زاد المعاد*: ج ١ ص١٦٠ (تحقيق شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة بيروت. ط١٤. ١٩٨٦م) *وتحفة المولود*: ص٦٨ (تحقيق عبد القادر الأرنؤوط. مكتبة دار البيان بدمشق. ط١. ١٩٧١م) *وحاشيته على سنن أبي داود*: ج٨ ص٣١ (دار الكتب العلمية بيروت. ط٢. ١٤١٥هـ) *وإعلام الموقعين*: ج١ ص٩٥ (تحقيق طه عبد الرؤف سعد. دار الجيل بيروت. ١٩٧٣م).

من دية الرجل لإجماع الصحابة؛ فإنه روي عن عمر وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت ﷺ أنهم قالوا في دية المرأة إنها على النصف من دية الرجل، ولم ينقل أنه أنكر عليهم أحد فيكون إجماعا. ولأن المرأة في ميراثها وشهادتها على النصف من الرجل، فكذلك في ديتها"[١].

هكذا جعلت الشريعة الإسلامية المرأة نصف الرجل في خمس مسائل. ولم تتعرض الشريعة فيها لبيان العلة أو الحكمة، إلا في الشهادة: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ولم يجعل القرآن علة التذكير نقصان عقلها، وإنما جاء ذكرها في الحديث اجتهاداً منه ﷺ من هذه الآية على حسب العقليات العادية عند النساء آنذاك كما يدل عليه الأسلوب الذي استخدمه النبي ﷺ لتفهيمهن ذلك في الحديث الذي ورد فيه «ناقصات عقل ودين». وهذا الحديث رواه أربعة من الصحابة وهم: أبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود ﷺ. ولندرك سر الأسلوب الذي استخدمه النبي ﷺ لذلك نحب أن نذكر تلك الأحاديث بألفاظها:

١. حديث أبي سعيد الخدري

روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى -أو فطر- إلى المصلى، [فصلى] ثم انصرف فوعظ الناس، وأمرهم بالصدقة فقال: «أيها الناس! تصدقوا»، فمر على النساء فقال: «يا معشر النساء![٢] تصدَّقْنَ؛ فإني أريتكن أكثر أهل النار». فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «تُكْثِرْنَ اللعنَ، وتَكفُرنَ العشيرَ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أَذْهَبَ لِلُبِّ الرجل الحازم

---

[١] ففي *بدائع الصنائع* للكاساني: ج٧ ص٢٥٤ (دار الكتاب العربي بيروت. ط٢. ١٩٨٢م).

[٢] وأما ما ورد في رواية للبخاري: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى. فمر على النساء. فقال: «يا معشر النساء!...». *الصحيح*: ج٢ ص٥٣١ رقم١٣٩٣ (تحقيق مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير بيروت. ط٢. ١٩٨٧م) فهو مختصر لما ذكرته كما قال ابن حجر في *فتح الباري*: ج١ ص٤٠٥ (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار المعرفة بيروت. ١٣٧٩هـ).

من إحداكن». قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟» قلن: بلى. قال: «فذلك نقصان من عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل و لم تصم؟» قلن: بلى. قال: «فذلك من نقصان دينها»[١].

٢. حديث أبي هريرة

رواه الإمام الترمذي من طريق أبي صالح ذكوان السمان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ خطب الناس فوعظهم، ثم قال: «يا معشر النساء! تصدقن؛ فإنكن أكثر أهل النار»، فقالت امرأة منهن [جزلة][٢]: و لم ذاك يا رسول الله؟ قال: «لكثرة لعنكن وكفركن العشير». قال: «وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب وذوي الرأي منكن»، قالت امرأة منهن: وما نقصان دينها وعقلها؟ قال: «شهادة امرأتين منكن بشهادة رجل، ونقصان دينكن الحيضة، تمكث إحداكن الثلاث والأربع لا تصلي»[٣].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه: ج١ ص١١٦ رقم٢٩٨ ومسلم في صحيحه: ج١ ص٨٧ رقم٨٠ (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي بيروت.) وابن حبان في صحيحه: ج١٣ ص٥٤ رقم٥٧٤٤ وابن منده في *الإيمان*: ج٢ ص٦٨٠ رقم ٦٧٤ (تحقيق علي بن محمد الفقيهي. مؤسسة الرسالة بيروت. ط٢. ١٤٠٦هـ). وما بين المكوفين زيادة من صحيح ابن حبان.

[٢] ما بين المعكوفين زيادة من صحيح ابن خزيمة.

[٣] أخرجه الترمذي في *جامعه* -واللفظ له-: ج٥ ص١٠ رقم٢٦١٣ وقال: "هذا حديث صحيح غريب حسن من هذا الوجه". وابن خزيمة. ١٩٧٠م. في صحيحه: ج٢ ص١٠١ رقم١٠٠٠ (تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي. بيروت: المكتب الإسلامي. والحدث رواه جابر، ولكن لم يرد فيه ذكر «ناقصات عقل ودين» ولكن المرأة التي سألت كانت سفعاء الخدين، يقول: شهدت مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة، ثم قام متوكئا على بلال، فأمر بتقوى الله، وحث على طاعته، ووعظ الناس وذكرهم، ثم مضى حتى أتى النساء، فوعظهن وذكرهن، فقال: «تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم»، فقامت امرأة من سطة النساء [أي من وسطهن. وجاء في رواية: "سفلة النساء" عند الدارمي: ج١ ص٤٥٨ رقم١٦١٠ والنسائي: ج٣ ص١٨٦ رقم١٥٧٥ (تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب. ط٢. ١٩٨٦م) وأحمد: ج٣ ص٣١٨ رقم١٤٤٦٠] سفعاء الخدين فقالت: لم يا رسول الله؟ قال: «لأنكن تكثرن الشكاة، وتكفرن العشير»، قال: فجعلن يتصدقن من حليهن، يلقين في ثوب بلال من أقرطتهن وخواتمهن. صحيح *مسلم*: ج٢ ص٦٠٣ رقم٨٨٥. و"سفعاء" فيها تغير وسواد. شرح *النووي*: ج٦ ص١٧٥.

ورواه أحمد من طريق سعيد المقبري عن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - انصرف من الصبح يوما، فأتى النساء في المسجد فوقف عليهن، فقال: "يا معشر النساء! ما رأيت من نواقص عقول ودين أذهب لقلوب ذوي الألباب منكن، فإني قد رأيتكن أكثر أهل النار يوم القيامة، فتقربن إلى الله ما استطعتن". وكان في النساء امرأة عبد الله بن مسعود، فأتت إلى عبد الله بن مسعود، فأخبرته بما سمعت من رسول الله - ﷺ -، وأخذت حلياً لها، فقال ابن مسعود: فأين تذهبين بهذا الحلي؟ فقالت: أتقرب به إلى الله عز وجل ورسوله، لعل الله أن لا يجعلني من أهل النار، فقال: ويلكِ! هلمي فتصدقي به علي وعلى ولدي فإنا له موضع، فقالت: لا والله حتى أذهب به إلى النبي - ﷺ -، فذهبت تستأذن على النبي - ﷺ -، فقالوا للنبي - ﷺ -: هذه زينب تستأذن يا رسول الله؟ فقال: "أي الزيانب هي"؟ فقالوا: امرأة عبد الله بن مسعود، فقال: "ائذنوا لها"، فدخلت على النبي - ﷺ -، فقالت: يا رسول الله! إني سمعت منك مقالة، فرجعت إلى ابن مسعود فحدثته، وأخذت حلياً أتقرب به إلى الله وإليك، رجاء أن لا يجعلني الله من أهل النار، فقال لي ابن مسعود: تصدقي به علي وعلى ولدي فإنا له موضع، فقلت: حتى أستأذن النبي - ﷺ -، فقال النبي - ﷺ -: "تصدقي به عليه وعلى بنيه، فإنهم له موضع". ثم قالت: يا رسول الله! أرأيت ما سمعت منك حين وقفت علينا: "ما رأيت من نواقص عقول قط ولا دين أذهب بقلوب ذوي الألباب منكن" قالت: يا رسول الله! فما نقصان ديننا وعقولنا؟ فقال: "أما ما ذكرت من نقصان دينكن فالحيضة التي تصيبكن تمكث إحداكن ما شاء الله أن تمكث لا تصلي ولا تصوم فذاك من نقصان دينكن، وأما ما ذكرت من نقصان عقولكن فشهادتكن إنما شهادة المرأة نصف شهادة الرجل"[1].

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده: ج٢ ص٣٧٣ رقم٨٨٤٩ (مؤسسة قرطبة بمصر) وابن خزيمة في صحيحه: ج٤ ص١٠٦ رقم ٢٤٦١. قال الهيثمي في *مجمع الزوائد*: ج٣ ص١١٨: "رواه أحمد وأبو يعلى. ورجال أحمد ثقات".

٣. حديث عبد الله بن عمر

وروى الإمام مسلم عن عبد الله بن عمر، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا معشر النساء تصدقن، وأكثرن الاستغفار؛ فإني رأيتكن أكثر أهل النار». فقالت امرأة منهن جزلة: ومالنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن». قالت: يا رسول الله! وما نقصان العقل والدين؟ قال: «أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين»[١].

٤. حديث عبد الله بن مسعود

روى الإمام أبو يعلى عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال للنساء: «تصدقن فإنكن أكثر أهل النار»، فقالت امرأة -ليست من علية النساء-: لم -أو فيم أو بم- نحن؟ قال: «إنكن تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما من ناقصة عقل ودين أغلب للرجال ذوي الأمر من النساء»، قيل: فما نقصان عقلها؟ قال: «جعل شهادة امرأتين بشهادة رجل»، قيل: فما نقصان دينها؟ قال: «تلبث لا أدري كم يوماً لا تصلي»[٢].

فهذه الأحاديث الأربعة، ماعدا فروق بسيطة في بعض الألفاظ، أو التقديم والتأخير، متفقة تماماً على أن النبي ﷺ لم يصفهن بنقص العقل مطلقاً ومن كل ناحية،

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه: ج١ ص٨٦ رقم ٧٩وأبو داود في سننه: ج٤ ص٢١٩ رقم٤٦٧٩ وابن ماجه في سننه: كتاب الفتن. باب فتنة النساء: ج٢ ص١٣٢٦ رقم٤٠٠٣ وأحمد في مسنده: ج٢ ص٦٦ رقم٥٣٤٣ وابن منده في *الإيمان*: ج٢ ص٦٧٨ رقم٦٧٠ - ٦٧٣ وابن أبي عاصم في *السنة*: ج٢ ص٤٦٣ رقم ٩٥٥ (تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي بيروت. ط١. ١٤٠٠هـ) والبيهقي في *السنن الكبرى*: ج١٠ ص١٤٨ (تحقيق محمد عبد القادر عطا. مكبة دار الباز بمكة المكرمة. ١٩٩٤م).

[٢] أخرجه أبو يعلى في مسنده -واللفظ له-: ج٩ ص١٨٧ رقم٥٢٨٤ (تحقيق حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث بدمشق. ط١. ١٩٨٤م) والحاكم في *المستدرك*: ج٤ ص٦٤٥ رقم٨٧٨٣ وقال: "صحيح على شرط الشيخين".

وإنما وصفهن بنقصان العقل في باب من الأبواب، وهو الشهادة على الدَّين. ووصفهن به استنباطاً من آية الدَّين[١]: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فلا يحمد فهمه في معزل عنها. وكذلك لم يصفهن بنقصان الدِّين مطلقاً من كل ناحية، بل من عدم صلاتهن وصومهن في أيام العادة.

ملابسات الحديث

حصل هذا الوعظ بعد صلاة أحد العيدين، وهي مناسبة سعيدة، لا يتوقع أن يتخذ النبي ﷺ منها فرصةً للانتقاص من النساء، والحط من قيمتهن وكرامتهن، والنيل من شخصيتهن، وإنما هي مناسبة موعظة وتذكرة بأمور الآخرة، لذلك هو وعظ الرجال أولاً، ثم مر بالنساء ووعظهن بالتصدق وفعل الخيرات. ولما كانت عند وعظه النساءَ غالبيتُهن من نساء أهل المدينة أي نساء الأنصار اللاتي يغلبن رجالهن، كانت مناسبة لتوجيه خطابٍ لهن باعتبارهن أكثر، فقال: "ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن". فهذه الصيغة فيها تعجُّبٌ يحمل معاني المدح بأسلوب الملاطفة، لا الاستنكار الذي يفهم منه الطعن والانتقاص.

محتويات الأحاديث الأربعة

تتضمن هذه الأحاديث أمرين:

أولهما: الاستحثاث بالنساء على التصدق. وهو الذي هدف إليه الحديث أساساً. وأما ذكر كونهن أكثر أهل النار وإكثارهن اللعن وكفرانهن العشير فهما ليسا من أهداف الحديث، وإنما جاء ذكرهما سبباً للتصدق ولكونهن أكثر أهل النار.

---

[١] انظر *فتح الباري* لابن حجر: ج١ ص٤٠٦ حيث قال: "وأشار بقوله: «مثل نصف شهادة الرجل» إلى قوله تعالى: ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾".

ثانيهما: عدم رؤية النبي ﷺ من ناقصات عقل ودين أَذْهَبَ لِلُبِّ الرجل الحازم من إحداهن. وجاء ذكره ضمناً، لا كهدف. وأما ما جاء بعده فهو بيانٌ للمراد من نقصان عقلهن ودينهن.

لوحظ من قراءة الأحاديث الأربعة والتمعن فيها أن مقصود النبي ﷺ هو الأول أي حث النساء على التصدق. وأما الثاني أي "كونهن ناقصات عقل ودين" فإنما جاء ذكره لمناسبة عفوية، إذ من الواضح أن نقصان العقل والدين -حسبما ورد في الحديث- ليس سبباً لدخولهن في النار[1]؛ لأنه ﷺ ذكره كتقريرٍ للواقع المشاهَد، لا دخل للمرأة فيها. فوروده في الحديث إنما جاء زيادةً على الجواب، ومثل هذه الزيادة تسمى "الاستتباع"[2] في البلاغة.

وأما ما جاء عند أحمد في رواية سعيد المقبري عن أبي هريرة بدون المناسبة السابقة من أنه ﷺ انصرف من صلاة الصبح يوماً، فأتى النساء في المسجد فوقف عليهن، فقال: «يا معشر النساء! ما رأيت من نواقص عقول ودين أذهب لقلوب ذوي الألباب منكن، فإني قد رأيتكن أكثر أهل النار يوم القيامة، فتقربن إلى الله ما استطعتن». وكذلك حديث ابن عمر وابن مسعود لم يرد فيهما ذكر للمناسبة، فهو من قبيل الرواية بالمعنى، أو من قبيل تعدد الواقعة.

تنبيه: ولم يرد في حديثٍ مَّا ذكرُ ذلك الوصف للنساء ذكراً مستقلاً، وكوصف نسوي دائم، غير ما جاء في حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح، يقول: "فعل النبي ﷺ بولدي أم سلمة عمر وزينب، حيث كان يصلي في بيتها، فقام ولدها عمر ليمر

---

[1] وإن حاول بعض شراح الحديث خلق علاقة بينهما. قال الحافظ ابن حجر: "ويظهر لي أن ذلك من كونهن أكثر أهل النار لأنهن إذا كن سبباً لإذهاب عقل الرجل الحازم حتى يفعل أو يقول ما لا ينبغي فقد شاركنه في الإثم وزدن عليه". *فتح الباري*: ص١ ص٤٠٦. قلت: وأي ذنب لهن في أن رجلاً حازماً فقد عقله بحسنهن وجمالهن وارتكب ما ارتكب من المعاصي. فيكنَّ هن أكثر أهل النار بسببه؟ والله يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام ٦: ١٦٤]. لو كان ذلك الأمر صحيحاً فالذي منحهن ذلك الحسن والجمال هو الله. فهل نقول -والعياذ بالله- إنه السبب... إلخ.

[2] كما قال الطيبي. انظر: *فتح الباري*: ج١ ص٤٠٦.

بين يديه، فأشار إليه أن قف فوقف، ثم قامت بنتها زينب لتمر بين يديه، فأشار إليها أن قفي فأبت ومرت، فلما فرغ ﷺ من صلاته نظر إليها، وقال: ناقصات عقل، ناقصات دين، صواحب يوسف، صواحب كرسف، يغلبن الكرام، ويغلبهن اللئام"[1]. فقد وصفهن النبي ﷺ فيه بنقصان العقل والدين وصفاً مطلقاً.

قلت: لم أجد هذه القصة بهذا السياق، وبهذا التفصيل في أي كتاب من كتب الحديث، وأما قصة مرور زينب أمام النبي ﷺ وهو يصلي فقد رواها ابن أبي شيبة وابن ماجه وأحمد عن أم سلمة قالت: كان النبي ﷺ يصلي فمر بين يديه عبد الله أو عمر بن أبي سلمة فقال بيده فرجع، فمرت زينب ابنة أم سلمة فقال بيده هكذا فمضت، فلما صلى رسول الله ﷺ قال: «هن أغلب»[2]. وهو صحيح، رجاله ثقات. ولكنه جاء بدون قوله فيه: "ناقصات عقل، ناقصات دين". ولم أجده في هذه القصة عند من خرجها. فلا يمكن الاستشهاد بها لإلصاق نقص العقل مطلقاً بالنساء.

هذا ما ورد عن النبي ﷺ من الأحاديث في بيان نقصان عقل النساء ودينهن. ولم يتطرق لبيانه أو تأويله أحد من الصحابة والتابعين وغيرهم من العلماء المتقدمين. ربما لأنهم فهموا منه أن هذا النقصان ليس نقصانا عاماً شاملاً لجميع مجالات النساء.

---

[1] *حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح* لأحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي (ت١٢٣١هـ): ص٢٤٧ (مكتبة البابي بمصر. ط٣. ١٣١٨هـ).

[2] رواه ابن أبي شيبة في *مصنفه*: ج١ ص٢٥٣ رقم٢٩١٨ (تحقيق كمال يوسف الحوت. مكتبة الرشد بالرياض. ط١. ١٤٠٩هـ) (وعنه ابن ماجه في سننه: ج١ ص٣٠٥ رقم٩٤٨) وأحمد في مسنده: ج٦ ص٢٩٤ رقم٢٦٥٦٦. وأما قوله: "صواحب يوسف. صواحب كرسف. يغلبن الكرام. ويغلبهن اللئام". فقد رواه أحمد في *مسنده*: ج٥ ص١٦٣ رقم٢١٤٨٨ بسنده عن رجل عن أبي ذر نحوه. قال الهيثمي في *مجمع الزوائد*: ج٤ ص٢٥٠: "رواه أحمد وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات". ورواه أبو يعلى في *مسنده*: ج١٢ ص٢٦٠ رقم٦٨٥٦ والطبراني في *المعجم الكبير*: ج١٨ ص٨٥ رقم ١٥٨ (تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. مكتبة العلوم والحكم بالموصل. ط٢. ١٩٨٣م). قال الهيثمي في *مجمع الزوائد*: ج٤ ص٢٥١: "رواه رواه أبو يعلي والطبراني. وفيه أبو معاوية بن يحيى الصدفي وهو ضعيف". قلت: وفيه بقية بن الوليد المدلس أيضا. وعنعن. وينظر: *العلل المتناهية* لابن الجوزي: ج٢ ص٢٠٨-٢١٠ (تحقيق خليل الميس. دار الكتب العلمية بيروت. ط١. ١٤٠٣هـ). وكذلك جاء في *كتاب المعجم* لابن شاهين كما في *حاشية الطحطاوي*: ص٢٤٧.

الإشكالية: أسبابها ومراحلها

بدأت الإشكالية الكامنة في هذه الأحاديث منذ فترة مبكرة، يمكن أن نسميها "مرحلة الاستغراب"، استغربت النساء عند ما سمعن هذا الحديث؛ إذ لم يكن من الإمكان أن يصفهن أحد بنقصان الدين والعقل -ولو النبي ﷺ-، وبمر الأمر هكذا وحتى دون استغراب، إن لم نقل "اعتراض"، وإلا لَكُنَّ فعلا ناقصات عقل، وما كن كذلك، كما يدل عليه وصف الراوي المرأة المستغربة السائلة بالجزلة أي العاقلة، فلذلك سألن.

إشكالية نقصان دين النساء وحلها

تبين مما سبق أن الجزء الأول للحديث لا إشكال فيه، وهو الاستحثاث بالنساء على الصدقة؛ لأنها أمر يشترك فيه الرجال والنساء على السواء. وأما الجزء الثاني ففيه إشكال، وهو نقصان دينهن وعقلهن.

أما نقصان دينهن. فوجه الإشكالية فيه أن ترك النساء الصلاة والصوم في أيام الحيض والنفاس أمرهن به الدينُ، فعدم صلاتهن وصومهن فيها دين أيضاً، كما صلاتهن وصومهن في أيام الطهر دين، فكيف أطلق النبي ﷺ عليه "نقصان الدين"؟

ففي هذه المرحلة المبكرة أي مرحلة الاستغراب سكتت النساء اقتناعاً بجواب النبي ﷺ أو تسليماً له، ولأن المجتمع الذي كن يعايشنه كان وضعُ النساء فيه سامحاً لأي واحد أن يصفهن بذلك، فضلاً عن النبي ﷺ، فلا غرابة في سكوتهن. إلا أن وضع السكوت هذا في مرحلة الاستغراب لم يستمر في بعض الفترات اللاحقة، إذ ما زال وصفهن بنقصان الدين والعقل في دائرة الاستفهام، خاصة في هذه الآونة، فدخل الحديث في مرحلة نسميها "مرحلة التحليل". فأول من لفته هذا الاستفهام هو الإمام النووي (٦٧٦هـ) فقال: "وأما وصفه ﷺ النساء بنقصان الدين لتركهن الصلاة والصوم في زمن الحيض فقد يستشكل معناه، وليس بمشكل، بل هو ظاهر".

ثم أجاب عنه بتقسيم نقص الدين إلى ثلاثة أقسام. فقال: "نقصُ الدين قد يكون على وجهٍ يأثم به كمن ترك الصلاة أو الصوم أو غيرهما من العبادات الواجبة عليه بلا عذر. وقد يكون على وجهٍ لا إثم فيه كمن ترك الجمعة أو الغزو أو غير ذلك مما لا يجب عليه بلا عذر. وقد يكون على وجهٍ هو مكلف به كترك الحائض الصلاة والصوم".

ثم أثار الإمام النووي تساؤلاً مفاده تنظيرهن بالمسافر والمريض، قال: "فإن كانت معذورة، فهل تثاب على الصلاة في زمن الحيض وإن كانت لا تقضيها، كما يثاب المريض والمسافر ويكتب له في مرضه وسفره مثل نوافل الصلوات التي كان يفعلها في صحته وحضره؟". ثم أجاب عنه بقوله: "إن ظاهر هذا الحديث أنها لا تثاب، والفرق أن المريض والمسافر كان يفعلها بينة الدوام عليها مع أهليته لها، والحائض ليست كذلك، بل نيتها ترك الصلاة في زمن الحيض، بل يحرم عليها نية الصلاة في زمن الحيض، فنظيرها مسافر أو مريض كان يصلي النافلة في وقت، ويترك في وقت ناو الدوام عليها، فهذا لا يكتب له في سفره ومرضه في الزمن الذي لم يكن يتنفل فيه"[1].

قلت: ما زال الإشكال قائماً لأن الإمام النووي عدَّ نقصَ دين الحائض والنفساء من القسم الأخير، وهو غير مسلم به كما سيأتي؛ لأنه ليس حلاً مقنعاً للسبب الذي ذكرنا. وكذلك قياس قضية نقصان دين المرأة على قضية المريض والمسافر فيه ما فيه؛ لأن المريض والمسافر ليسا مأمورين بترك الصلاة والصوم أمرَ عزيمة، بل رخص لهما في تركهما اختياراً أو عجزاً، بينما الحائض والنافس مأمورتان بترك الصلاة والصوم في هذه الحالة أمر عزيمة، لا خيار لهن في فعلهما أو تركهما، وصلاتهما وصومها في هذه الحالة ذنب وعصيان.

---

[1] شرح صحيح مسلم للنووي: ج٢ ص٦٨ (دار إحياء التراث العربي بيروت. ط٢. ١٣٩٢هـ).

وقد أحس بذلك الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ) فبعد أن نقل قول النووي علق عليه بقوله: "وعندي في كون هذا الفرق مستلزِماً لكونها لا تثاب وقفة"[١]. وهذه المرحلة وما بعدها يمكن أن نسميها "مرحلة التنقيح والفرز".

قلت: قوله "فيه وقفة" يشير إلى أن الحافظ لم يقتنع بذلك القياس، ويميل إلى أن تثاب الحائض ومن في حكمها؛ لأنها -في حقيقة أمرها- تطيع ربها بترك الصلاة والصوم في هذه الحالة.

قلت: وأنا أرى ذلك أيضاً، ولكن ليس على إطلاق الحافظ، بل يجب تقييده بأن الحائض إذا كانت مداومة على الصلاة والصوم قبل أيام الحيض فهي تثاب على تركها. وأما المرأة التي ما كانت تصلي ولا تصوم قبلها عصياناً، فهي لا تثاب على تركها فيها.

ولعلنا نستأنس على قولنا بما رواه الإمام بحشل الواسطي (ت٢٩٢هـ) والإمام البيهقي (ت٤٥٨هـ) من طريق العباس بن الوليد بن مزيد أبي سعيد الساحلي -وهو عبد الله بن سعيد- نا أبو نصيرة مسلم بن عبيد، عن أسماء بنت يزيد تقول: "أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس مع أصحابه، فقلت: يا رسول الله! إني وافدة النساء إليك، أنه ليس من امرأة سمعت بمخرجي إليك إلا وهي على مثل رأيي: إن الله تبارك وتعالى بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك وبالهدى الذي جئت به، وإن الله قد فضلكم علينا معشر الرجال بالجماعة والجمعة وعيادة المرضى واتباع الجنائز، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى، وإن أحدكم إذا خرج غازياً أو حاجاً أو معتمراً حفظنا أموالكم، وغزلنا أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، وإنا معشر النساء مقصورات محصورات قواعد بيوتكم، ومواضع لشهوات الرجال، وحاملات أولادهم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟ فأقبل رسول الله ﷺ على أصحابه بوجهه كله، فقال:

---

[١] ابن حجر في *فتح الباري*: ج١ ص٤٠٦.

"سمعتم بمثل مقالة هذه المرأة"؟ قالوا: ما ظننا أن أحدا من النساء يهتدي إلى مثل ما اهتدت إليه هذه المرأة. فقال رسول الله ﷺ: "اعلمي وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها، واتباعها موافقته ومرضاته، يعدل ذلك كله"، فانطلقت تهلل وتكبر وتحمد الله عز وجل استبشاراً"[١].

النقص في الدين نقص صوري شكلي

وفي مرحلة التنقيح والفرز هذه، وعلى ضوء ما تقدم نقول: إن تعبير النبي ﷺ عن عدم صلاتها وصومها في أيامها بنقص الدين ليس تعبيراً عن النقص الحقيقي، وإنما هو نقص صوري فقط، بحيث إن الرجل يصلي ويصوم، وهي لا تصلي ولا تصوم، وكلاهما على دين. ولعل أقرب توجيه مما قلت ما قاله الإمام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) في توجيه نقصان دينهن. قال: "وهذا مما أمر الله به، فليس هذا النقص ديناً لها تُعاقَب عليه، لكن هو نقص حيث لم تؤمر بالعبادة في هذا الحال، والرجل كامل حيث أمر بالعبادة في كل حال، فدل ذلك على أن من أمر بطاعة يفعلها كان أفضل ممن لم يؤمر بها وإن لم يكن عاصياً، فهذا أفضل ديناً وإيماناً، وهذا المفضول ليس بمعاقب ومذموم"[٢]. قلتُ: القضية هنا ليست عدم معاقبتها لأنه حاصل، بل الأمر هو هل تثاب أم لا تثاب. ولكن قوله: "لكن هو نقص حيث لم تؤمر بالعبادة في هذا الحال، والرجل كامل حيث أمر بالعبادة في كل حال" يشير إلى أن هذا النقص صوري بحيث إنها ناقصة بعدم مأموريتها بالعبادة، والرجل كامل بمأموريته بها، وهذا أمر ظاهري بحت، لا علاقه له بالحقيقة.

---

[١] رواه بحشل في *تاريخ واسط*: ص٧٥ (تحقيق كوركيس عواد. عالم الكتب بيروت. ط١. ١٤٠٦هـ) والبيهقي في شعب *الإيمان*: ج٦ ص٤٢١ رقم٨٧٤٣ (تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية بيروت. ١٤١٠هـ). رجاله ما بين ثقات وصدوق ماعدا عبد الله بن سعيد فلم أجد له ترجمة.

[٢] ابن تيمية: *مجموع الفتاوى*: ج١٣ ص٥٤ (بدون أي بيان حول نشره).

إشكالية نقصان عقل النساء وحلها

بعد ما تناولنا قضية نقصان دين النساء بالبيان مراحلَ وأسباباً وحلولاً، نأتي إلى قضية نقصان عقل النساء التي هي في نظرنا أكثر حساسية، وأكثر جدلاً، وأكثر تعقيداً، فنحاول تناولها حسبما تناولنا أختها.

كما استشكلت النساء قضية نقصان الدين في حالة الحيض والنفاس، كذلك استشكلن قضية نقصان عقلهن أيضاً، وسكتن على جواب النبي ﷺ عن الإشكالين اقتناعاً أو تسليماً. ولكن الأمر ما زال ولا يشكِّل غصةً في حلق كثير من العلماء وبنات حواء في هذا العصر. فانتقلت القضية من مرحلة الاستغراب والتسليم إلى مرحلة الاستهزاء والتضخيم، كما سنراه في السطور الآتية إن شاء الله.

من الواضح من توجيه النبي ﷺ في الحديث أنه لم يرد بنقصان عقلها نقصاناً مطلقاً، بل نقصاناً مقيداً بنقصان شهادتها في الدَّين من شهادة الرجل، لا في غيرها من الأمور؛ إذ جاء ذكره على لسان النبي ﷺ مؤسَّساً على آية الشهادة في الدين. وبه قال كثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين كما سيأتي.

ولكن من الحقيقة المُرَّة -ولعله هو السبب المباشر للضجة التي أثارها أعداء الإسلام والمسلمين، وتأثُّرِ الأخوات المسلمات بها- أن المشهور بين الخاص والعام أن نقصان العقل في النساء نقصان مطلق وعام لجميع مسائل حياتهن، ومن كل ناحية. وكذلك نرى تعامل العلماء مع هذا الحديث صراحةً قوليةً أو تواتراً عملياً. فاطلعنا على تصريحات لهم في قضايا عدة أرجعوا السبب فيها إلى أنهن ناقصات عقل.

إليكم بعض تلك التصريحات مع العزو إلى مصادرها:

١. وإنما حُرِّمَ التصريح بخطبة المعتدة لأنها ربما تكذب في انقضاء العدة إذا تحققت رغبته فيها؛ لما عهد على النساء من قلة الديانة وتضييع الأمانة

فإنهن ناقصات عقل ودين[١].

٢. لا تولى امرأة الحكومة لقوله ﷺ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» رواه البخاري. ولأن «النساء ناقصات عقل ودين»[٢]. وذكر آخر: "قد وصف رسول الله ﷺ النساء بأنهن ناقصات عقل ودين، ومن كان بهذه المنزلة لا يصلح لتولي الحكم بين عباد الله، وفصل خصوماتهم بما تقتضيه الشريعة المطهرة، ويوجبه العدل، فليس بعد نقصان العقل شيء... وأما القضاء فهو يحتاج إلى اجتهاد أصحاب الرأي وكمال الإدراك والتبصر في الأمور والتفهم لحقائقها، وليست المرأة في ورد ولا صدر من ذلك"[٣].

٣. وقال الزنجاني (ت٦٥٦هـ): إن مذهب الشافعي أن شهادة النساء شهادة غير أصلية. واحتج في ذلك بأمرين: أحدهما أن الشهادة ولاية دينية وأمانة شرعية لا تنال إلا بكمال الحال لما فيها من تنفيذ قول الغير على الغير، وتنزيل قول المعصوم في إفادة الصدق في الخبر: «النساء ناقصات عقل ودين»، ولهذا لم تقبل شهادتهن في كثير من القضايا لما خصصن به من الغفلة والذهول ونقصان العقل... وقال أبو حنيفة: شهادة النساء شهادة أصلية بدليل وجوب العمل بها مع القدرة على شهادة الرجال، ولو كانت غير ضرورية لما سمعت مع القدرة على شهادة الرجال وقصورها عن كمال الحال؛ وما جبلن عليه من الغفلة والنسيان فقد جبر بالعدد، وقد نبه الشرع عليه بقوله تعالى: ﴿أَن

---

[١] *إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين* لأبي بكر السيد البكري بن السيد محمد شطا الدمياطي الشافعي: ج٣ ص ٢٦٨ (دار الفكر بيروت). وفتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين هو لزين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين بن علي بن أحمد الشافعي المليباري الفناني (لم أطلع على تاريخ وفاة الماتن ولا المعلق).

[٢] *مغني المحتاج* لمحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ): ج٤ ص٣٧٥ (دار الفكر بيروت).

[٣] *السيل الجرار* للشوكاني (ت١٢٥٠هـ): ج٤ ص٢٧٣. ٥٠٥ (تحقيق محمود إبراهيم زايد. دار الكتب العلمية بيروت. ط١. ١٤٠٥هـ).

تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾[١].

٤. وقال البيضاوي (ت٦٨٥هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾: "وإنما عبر عنهن بـ"ما" ذهاباً إلى الصفة، أو إجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن"[٢]. يبدو أنه أول من وجَّه"ما" بالتوجيه الثاني في هذا الموضع.

وذكره النسفي (ت٧١٠، أو ٧٠١هـ) بصيغة التمريض: "وقيل: "ما" ذهابا إلى الصفة لأن ما يجئ في صفات من يعقل فكأنه قيل الطيبات من النساء، ولأن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء"[٣]. وكذلك حكاه الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) أيضا بصيغة التمريض: "وقيل: إن إيثار "ما" على "مَنْ" بناءً على أن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لما روي في حقهن أنهن ناقصات عقل ودين"[٤]. وسكتا عليه، وذكره بصيغة التمريض لا يعذرهما، كان عليهما أن يردا عليه، أو أشارا إلى ضعفه، بأن المقصود ليس ذات النساء، وإنما "الوصف: طابت لكم"؛ لأن "ما" تأتي لصفات ما يعقل كما لما لا يعقل.

وأما أبو السعود فلم يسكت عليه فقال: "ما موصولة أو موصوفة، وما بعدها صلتها أو صفتها، أو أوثرت على "من" ذهابا إلى الوصف وإيذانا بأنه المقصود بالذات والغالب في الاعتبار، لا بناء على أن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لإخلاله بمقام الترغيب فيهن"[٥].

---

[١] *تخريج الفروع على الأصول* لأبي المناقب محمود بن أحمد الزنجاني: ص٢٦٦-٢٦٧ (تحقيق د. محمد أديب صالح. مؤسسة الرسالة بيروت. ط٢. ١٣٩٨هـ).

[٢] *تفسير البيضاوي*: ج٢ ص١٤٢ (تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة. دار الفكر بيروت. ١٩٩٦م).

[٣] *تفسير النسفي*: ج١ ص٢٠٣ (بدون أي معلومات عن نشره).

[٤] *روح المعاني* للآلوسي: ج٤ ص١٩٠.

[٥] *تفسير أبي السعود*: ج٢ ص١٤١ (دار إحياء التراث العربي بيروت).

٥. وقال الإمام القرطبي (ت٦٧١هـ) في حكمة جعل الطلاق بيد الرجل: "وأيضا فلكون النساء في الغالب ناقصات عقل، فلو علمتْ أن الرجل لم يُجعَل له سبيلٌ إلى مفارقتها لما كانت تحترمه وبادرت إلى ضرره، فأراد الشارع أن يجعل للرجل سبباً يحترم لأجله، وهو الطلاق؛ فإن المرأة إذا علمت أنها إن بالغت في ضرر زوجها طلّقها امتنعت من ضرره في الأكثر. فإن عورضنا وقيل لنا: فيلزم على ذلك أن تُطلِّق المرأةُ نفسَها متى شاءت؛ فإن الرجل قد يضر بها ضرراً لا يطّلع عليه أحدٌ، فإن راعيتم وجود الضرر وتوقُّعَه في حق الزوج فلم لم تراعوه في حق الزوجة كذلك؟ فنقول: إنما لم نراعه في حق المرأة؛ لأنا لو جعلنا للمرأة أن تُطلِّق نفسَها متى شاءت لما استقرت امرأةٌ عند زوجها في غالب الأمر؛ لأنهن ناقصات عقل، فلا يؤمن عليهن غلبة شهواتهن على عقولهن، وإن فُتِحَ هذا الباب طرأ منه من الضرر ما لا ينسدُّ ولا يتدارك، فسُدَّ هذا الباب في حق النساء لهذه الحكمة، وفتح في حق الرجال ليزول عن أعناقهم غل الضرر والنقمة"[1].

٦. ويقول الزرعي (ت٧٥١هـ) في معرض الرد على زعم النصارى بألوهية مريم: "ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ . أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٧، ١٨]: "ثم ذكر سبحانه ضعف هذا الجنس الذي جعلوه له وأنه أنقص الجنسين، ولهذا يحتاج في كماله إلى الحلية وأضعفهما بياناً فقال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ فأشار بنشأتهن في الحلية إلى أنهن ناقصات، فيحتجن إلى حلية يكملن بها، وأنهن عييات فلا يبن عن حجتهن وقت الخصومة. مع أن في

---

[1] *الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام* للقرطبي: ص٢٢٣ (تحقيق د. أحمد حجازي السقا. دار التراث العربي بالقاهرة. ١٣٩٨هـ).

قوله: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ تعريضاً بما وضعت له الحلية من التزين لمن يفترشهن ويطأهن، وتعريضاً بأنهم لا ينشأن في الحرب والطعان والشجاعة، فذكر الحلية التي هي علامة الضعف والعجز والوهن"[1].

٧. وجعل أكمل الدين محمد بن محمود البابرتي الحنفي (ت٧٨٦هـ) نقصان العقل في النساء نقصان العقل بالفعل. قال في العناية شرح الهداية: "لا نقصان في عقلهن فيما هو مناط التكليف. وبيان ذلك لأن للنفس الإنسانية أربع مراتب: الأولى استعداد العقل، ويسمى العقل الهيولاني، وهو حاصل لجميع أفراد الإنسان من مبدأ فطرتهم. والثانية أن يحصل البديهيات باستعمال الحواس في الجزئيات فتتهيأ لاكتساب الفكريات، ويسمى العقل بالملكة، وهو مناط التكليف. والثالثة أن تحصل النظريات المفروغ عنها متى شاء من غير افتقار إلى اكتساب بالفكرة، ويسمى العقل بالفعل. والرابعة هو أن يستحضرها ويلتفت إليها مشاهدة ويسمى العقل المستفاد"[2]. ثم قال: "وليس فيما هو مناط التكليف منها -وهو العقل بالملكة- فيهن نقصان بمشاهدة حالهن في تحصيل البديهيات باستعمال الحواس في الجزئيات، وبالنسبة إن ثبتت، فإنه لو كان في ذلك نقصان لكان تكليفهن دون تكليف الرجال في الأركان، وليس كذلك. وقوله: (ناقصات عقل) المراد به العقل بالفعل، ولذلك لم يصلحن للولاية

---

[1] *الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة* لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: ج٢ ص٤٨٣-٤٨٥ (تحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله. دار العاصمة بالرياض. ط٣. ١٩٩٨م).

[2] خلاصة كلامه: أن العقل الهيولاني عبارة عن الاستعداد المحض لإدراك المعقولات وهو قوة محضة خالية عن الفعل كما في الأطفال وإنما نسب إلى الهيولى لأن النفس في هذه المرتبة تشبه الهيولى الأولى الخالية في حد ذاتها عن الصور كلها. والعقل بالملكة هو العلم بالضروريات واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات. والعقل بالفعل أن تصير النظريات مخزونة ضد القوة العاقلة بتكرار الاكتساب بحيث يحصل لها ملكة الاستحضار متى شاءت في غير تجشُّمٍ لكسبٍ جديد. والعقل المستفاد أن يحضر عنده النظريات التي أدركها بحيث لا تغيب عنه. انظر: *التعاريف* للمناوي: ص٥٢١ (تحقيق د. محمد رضوان الداية. دار الفكر المعاصر بيروت. ط١. ١٤١٠هـ).

والخلافة والإمارة"[١].

٨. وانظروا إلى ما قال الشوكاني (١٢٥٠هـ): في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾: "وفي قوله: "طبن" دليل على أن المعتبر في تحليل ذلك منهن لهم إنما هو طيبة النفس، لا مجرد ما يصدر منهن من الألفاظ التي لا يتحقق معها طيبة النفس، فإذا ظهر منها ما يدل على عدم طيبة نفسها لم يحل للزوج، ولا للولي؛ وإن كانت قد تلفظت بالهبة أو النذر أو نحوهما" ثم قال: "وما أقوى دلالة هذه الآية على عدم اعتبار ما يصدر من النساء من الألفاظ المفيدة للتمليك بمجردها لنقصان عقولهن وضعف إدراكهن وسرعة انخداعهن وانجذابهن إلى ما يراد منهن بأيسر ترغيب أو ترهيب"[٢].

٩. ويقول الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: "لم يُصرِّح سبحانه بما به التفضيل رمزاً إلى أنه غني عن التفصيل، وقد ورد أنهن ناقصات عقل ودين، والرجال بعكسهن كما لا يخفى، ولذا خصوا بالرسالة وبالنبوة على الأشهر، وبالإمامة الكبرى والصغرى وإقامة الشعائر كالأذان والإقامة والخطبة والجمعة وتكبيرات التشريق عند إمامنا الأعظم..."[٣].

خرجت هذه القضايا بهذه الصورة التعميمية في شكل فتاوى فطارت، أو تفسيراً لآية فقرئ، أو جواباً لسؤال فسمع، من أقلام لها قيمتها في مجتمعاتها، وتأثيرها في قلوب متبعيها، واشتهرت بين الناس شهرةً جعلتها بمثابة العقيدة، واعتبر الكلام حولها بأقل مما قالوا مساساً بتلك العقيدة، وخلقت جواً ساعد على تصعيد قضية "نقصان عقل المرأة المقيد بالدَّين" تصعيداً أضرَّ بمكانة المرأة، وجعلتها ناقصة في القدرات

---

[١] نقله ابن نجم المصري (ت٩٧٠هـ) في *البحر الرائق شرح كنز الدقائق*: ج٧ ص٦١-٦٢ (دار المعرفة بيروت).

[٢] الشوكاني: *فتح القدير*: ج١ ص٤٢٢.

[٣] *روح المعاني* للآلوسي: ج٥ ص٢٣.

العقلية أو الذكاء، أو تركيبة الدماغ. وبلفظ آخر: اعتُبِرنَ غبيات.

حل هذه الإشكالية عند المتقدمين والمتأخرين

العلماء الذين فهموه على حقيقته أي قيدوه بالدِّين فقط، فلا إشكالية عندهم، وهم الجمهور. وأما القليل الذين رأوا فيه إشكالاً فتناولوه بالتوجيه والتأويل، كلٌّ حسب نظرته إلى المرأة، ونظرة الناس إليها في بيئتهم، وما يحيط بها من حالات وظروف ثقافية وغيرها. وفي السطور التالية تناولنا هذا الموضوع، وقسمنا العلماء إلى ثلاثة أقسام: المتقدمين (وهم من علماء ما قبل القرن العاشر الهجري)، والمتأخرين (وهم من علماء ما بعد القرن العاشر الهجري)، والمعاصرين (وهم من علماء القرن العشرين الميلادي).

آراء المتقدمين (من قبل القرن العاشر)

١. ابن حزم (٤٥٦هـ)

قال في شرح هذا الحديث: "قد بين رسول الله ﷺ وجه ذلك النقص، وهو كون شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل، وكونها إذا حاضت لا تصلي ولا تصوم، وليس هذا بموجب نقصان الفضل، ولا نقصان الدين والعقل في غير هذين الوجهين فقط؛ إذ بالضرورة ندري أن في النساء من هن أفضل من كثير من الرجال، وأتم دينا وعقلا في غير الوجوه التي ذكر النبي ﷺ؛ وهو عليه السلام لا يقول إلا حقا، فصح يقينا أنه إنما عبر عليه السلام ما قد بينه في الحديث نفسه من الشهادة والحيض فقط، وليس ذلك مما ينقص الفضل، فقد علمنا أن أبا بكر وعليا لو شهدوا في زنا لم يحكم بشهادتهم، ولو شهد به أربعة منا عدول في الظاهر حكم بشهادتهم، وليس ذلك بموجب أننا أفضل من هؤلاء المذكورين، وكذلك القول في شهادة النساء فليست الشهادة من باب التفاضل في ورد ولا صدر، لكن نقف فيها عند ما

حده النص فقط، ولا شك عند كل مسلم في أن صواحبه من نسائه وبناته عليهم السلام كخديجة وعائشة وفاطمة وأم سلمة أفضل دينا ومنزلة عند الله تعالى من كل تابع أتى بعدهن، ومن كل رجل يأتي في هذه الأمة إلى يوم القيامة"[١].

فقرر الإمام ابن حزم نقصان عقلهن ودينهن نقصاناً حقيقياً، ولو في نطاق محدود.

٢. المازري (ت٥٣٦هـ)

قال الإمام أبو عبد الله المازري محمد بن علي: "قوله ﷺ: "أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل" تنبيهٌ منه ﷺ على ما وراءه، وهو ما نبه الله تعالى عليه في كتابه بقوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ أي إنهن قليلات الضبط"[٢].

ويقرب منه قول الإمام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): "وحديث "ناقصات العقل" ليس في فضل العقل، وإنما ذكر فيه نقصان عقل النساء، وذلك أن العقل مصدر "عقل يعقل عقلا" إذا ضبط وأمسك ما يعلمه، وضبط المرأة وإمساكها لما تعلمه أضعف من ضبط الرجل وإمساكه"[٣].

وكذلك قال الطيبي (ت٧٤٣هـ): "إن الرسول ﷺ حين أجاب من استشكلن كونهن ناقصات عقل ودين بغير تعنيف، ولا لوم، بل خاطبهن على قدر عقولهن، وأشار بقوله: "مثل نصف شهادة الرجل إلى قوله تعالى: ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ لأن الاستظهار بأخرى مؤذن بقلة ضبطها، وهو مشعر

---

[١] *الفصل في النحل والأهواء والنحل* لابن حزم: ج٤ ص١٠٤ (مكتبة الخانجي بالقاهرة).

[٢] ذكره النووي في شرح *صحيح مسلم*: ج٢ ص٦٧-٦٨.

[٣] *بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية* لابن تيمية: ج٢ ص٤٨-٤٩ (تحقيق د. موسى سليمان الدويش. مكتبة العلوم والحكم بالموصل. ط١. ١٤٠٨هـ).

بنقص عقلها"[١].

ويميل إلى ذلك الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ) أيضاً حيث يقول: "(قلن: وما نقصان ديننا)؟ كأنه خفي عليهن ذلك حتى سألن عنه، ونفس السؤال دال على النقصان؛ لأنهن سلمن ما نسب إليهن من الأمور الثلاثة -الإكثار والكفران والإذهاب[٢]- ثم استشكلن كونهن ناقصات". ثم ذكر الحافظ قول الطيبي السابق تقريراً منه ذلك[٣].

وكذلك قال جلال الدين المحلي (ت٨٦٤هـ): "وتعدد النساء لأجل ﴿أَن تَضِلَّ﴾ تنسى ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن"[٤].

الحاصل أنهم أيضاً قرروا أن المرأة ناقصة عقل فعلاً؛ ولو هو فسروا نقصان العقل بقلة الضبط، أو ضعف الضبط، أو النسيان.

٣. ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ)

وقال ابن الصلاح: "فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل" أي هذا أمارة نقصان العقل أو رجاء"[٥].

الإمام ابن الصلاح هو أول من فسر قوله ﷺ: «فهذا نقصان العقل» بأنه أمارة أو رجاء نقصان العقل. كأنه يريد أن يقول: إن كون شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل لا يعني أن إحداهما ناقصة العقل حتماً، بل إنه علامةٌ لنقصان العقل. أو بلفظ آخر: "ربما هي ناقصة العقل" أي يمكن أنها ناقصة عقل، ويمكن ألا تكون كذلك.

---

[١] ذكره ابن حجر في *الفتح*: ج١ ص٤٠٦.

[٢] وهل تسليم الإنسان بما فيه من العيوب دليل النقصان في عقله؟!.

[٣] *فتح الباري*: ج١ ص٤٠٥.

[٤] *تفسير الجلالين* لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي: ص٦٣ (دار الحديث بالقاهرة. ط١).

[٥] *صيانة صحيح مسلم* لابن الصلاح: ص٢٥٣-٢٥٥ (تحقيق موفق عبد الله عبد القادر. دار الغرب الإسلامي بيروت. ط٢. ١٤٠٨هـ).

ابن الصلاح أيضاً قرر النقصان ولو حوله من الحتمية إلى الاحتمالية أو الرجائية.

هكذا فسر هؤلاء الأئمة نقصان عقل المرأة بقلة الضبط، أو ضعف الضبط، أو رجاء نقصان العقل، بعد تقريرهم وجود ذلك النقصان في النساء فعلاً.

عند المتأخرين (ما بعد القرن العاشر الهجري)

لا يختلف كثيراً أقوال المتأخرين عما قاله المتقدمون، فهو امتداد لما استقر في أذهانهم عن طريق التوارث العلمي والاجتماعي.

١. قال الشوكاني (١٢٥٠هـ)

قال في تفسير الآية: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾: "وهذه الآية تعليل لاعتبار العدد في النساء... وإنما اعتبر فيهما هذا التذكير لما يلحقهما من ضعف النساء بخلاف الرجال"[١].

٢. وقال الآلوسي (١٢٧٠هـ)

وعلل الآلوسي التذكير: "لما أن النسيان غالب على طبع النساء لكثرة الرطوبة في أمزجتهن"[٢].

٣. وقال القنَّوجي (ت١٣٠٧هـ)

وذكر القنوجي ما قاله الشوكاني دون عزو إليه، وزاد: "وسبب نسيان وضعف النساء أن الأمور المادية ليست من الاهتمامات الفطرية لدى النساء كما أن الأمور المادية يكثر من الرجل مزاولتها ويقل في النساء. ولذلك كانت المرأة

---

[١] *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير* للشوكاني: ج١ ص٣٠٢ (دار الفكر بيروت).

[٢] *روح المعاني* للآلوسي: ج٣ ص٥٨.

معروضة للنسيان فيها"[١].

هكذا وجدنا المتأخرين قد حاولوا الوصول إلى علة النقص العقلي عند النساء، فقال الآلوسي: إنه طبيعة عندهن لكثرة الرطوبة في أمزجتهن، إذاً هذا النقص طبيعي وخلقي عندهن، ولا يزول عنهن مدى الحياة مهما ثقفن عقولهن بالدراسة والتجربة.

بينما أرجع القنوجي سببه إلى عدم اهتمام النساء بالأمور المادية، مما يعني أنهن إذا بدأن الاهتمام بالأمور المادية فيتغير الوضع. وهذا الذي نشاهده في المجتمعات التي تعمل فيها النساء في التعليم والتجارة والحساب وغيرها من أمور الحياة الصعبة والمعقدة. ومن هنا دخل توجيه "نقصان عقل النساء" في طور التحليل الدقيق قليلاً، والذي توسعت دائرته عند المعاصرين أكثر كما نراه في السطور التالية.

عند المعاصرين

لم تختلف وجهات نظر المعاصرين في نقصان العقل في النساء كثيراً عما قال المتقدمون والمتأخرون، ماعدا تحليل وتفصيل أكثر لواقعهن في المجتمعات العربية.

٤. الشيخ محمد عبده (ت١٩٠٥م)

قال الشيخ محمد عبده: "ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوضات، ومن هنا تكون ذاكرتها فيها ضعيفة، ولا تكون كذلك في الأمور المترلية التي هي شغلتها؛ فإنها فيها أقوى ذاكرةً من الرجل، ومن طبع البشر عامةً أن يقوى تذكُّرهم للأمور التي تهمهم ويمارسونها، ويكثر اشتغالهم بها"[٢].

---

[١] القنوجي. محمد صديق حسن خان: *حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة*: ص٥٥ (تحقيق د. مصطفى سعيد الخن وغيره. مؤسسة الرسالة بيروت. ١٩٨٥م).

[٢] ذكره الشيخ محمد شلتوت في كتابه *الإسلام عقيدة وشريعة*: ص٢٤٠ (دار الشروق بيروت. ١٩٩٧م).

٥. سيد قطب الشهيد (ت١٩٦٦م)

وتساءل سيد قطب: لماذا امرأتان؟ ثم أجاب بقوله: "إن النص لا يدعنا نحدس، ففي مجال التشريع يكون كل نص محدداً واضحاً معللاً: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾. والضلالة هنا ينشأ من أسباب كثيرة، فقد ينشأ من قلة خبرة المرأة بموضوع العقد، مما يجعلها لا تستوعب كل دقائقه وملابساته، ومن ثم لا يكون من الوضوح في عقلها، بحيث تؤدي عنه شهادةً دقيقةً عند الاقتضاء، فتذكرها الأخرى بالتعاون معاً تذكر ملابسات الموضوع كله. وقد ينشأ من طبيعة المرأة الانفعالية؛ فإن وظيفة الأمومة العضوية البيولوجية تستدعي مقابلا نفسيا في المرأة حتما، تستدعي أن تكون المرأة شديدة الاستجابة الوجدانية الانفعالية لتلبية مطالب طفلها بسرعة وحيوية، لا ترجع فيهما إلى التفكير البطيء، وذلك من فضل الله على المرأة وعلى الطفولة"[١].

قلت: إذاً قلة الخبرة في المرأة -حسب قول سيد- قد تزول، ولكن الطبيعة الانفعالية عند المرأة لا تزول، فتبقى المرأة بهذا المعنى غير ضابطة للأمور طول الحياة.

٦. وقال الشيخ شلتوت

"إن الآية جاءت على ما كان مألوفاً في أن المرأة، ولا تزال أكثر النساء كذلك، لا يشهدن مجالس المداينات، ولا يشتغلن بأسواق المبايعات. واشتغال بعضهن بذلك لا ينافي هذا الأصل الذي تقضي به طبيعتها في الحياة، وإذا كانت الآية ترشد إلى أكمل وجوه الاستيثاق، وكان المتعاملون في بيئة يغلب فيها اشتغال النساء بالمبايعات وحضور مجالس المداينات، كان لهم الحق في الاستيثاق بالمرأة على نحو الاستيثاق بالرجل، متى اطمأنوا إلى تذكرهن وعدم نسيانهن على نحو تذكر

---

[١] سيد قطب: *في ظلال القرآن*: ج١ ص٣٣٥-٣٣٦ (دار الشروق بيروت. ١٩٩٢م).

الرجل وعدم نسيانه"[١].

قلت: فالشيخ شلتوت بتوجيهه هذا لَمّح للنساء ببصيص من الأمل في أن مجتمعاً إذا ثقفت النساء فيه أنفسهن وعقولهن بالدراسة أو التجربة فيمكن الاستيثاق بالمرأة على نحو الاستيثاق بالرجل، فكأن الشيخ يرى أن الآية تقرير للواقع، وليس حكماً دائماً.

٧. الدكتور وهبة الزحيلي

يقول في تفسير آية الشهادة: "فقد جرت العادة أن المرأة لا تهتم كثيراً بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوضات، فتكون معلوماتها محدودة، خبرتها قليلة، واهتماماتها بالوقائع المالية ضعيفة. وأما اشتغال النساء في هذا العصر بالمسائل المالية فلا يغير الحكم؛ لأن الأحكام إنما للأعم الأغلب". ثم يقول الدكتور ربما بتجربته الخاصة: "وبالرغم من إسناد الوظائف المالية للمرأة فإنها لا تأبه بغير العمل الذي وكلت به وفوض إليها، فلا تلتفت لما يجري بين الآخرين من منازعات على قضايا مالية، ويظل اهتمامها بالنواحي المالية أو العامة -بالرغم من توظفها- محصوراً بشؤون منزلها أثاثاً وترفهاً ونظافةً، وتوفيرَ مواد تموينية، وإعدادَ طعام وشراب لأسرتها، وتربية أولادها، فكان تذكرها للمعاملات -فيما عدا مشترياتها الخاصة- قليلاً"[٢].

لاحظنا في توجيه المتأخرين الذين ذكرنا أقوالهم أنهم أثناء تفسيرهم الآية لم يذكروا حديث «ناقصات عقل ودين» كما فعل المتقدمون، مما يثلج صدور الكثير من الرجال والنساء من أنهم ليسوا بقائلين بالنقصان الحقيقي في عقل المرأة، وإنما مقصود النبي ﷺ منه غير ما فهم.

---

[١] محمد شلتوت: *الإسلام عقيدة وشريعة*: ص٢٤٠.

[٢] الدكتور وهبة الزحيلي: *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*: ج٣ ص١٠-١١١ (دار الفكر المعاصر. بيروت. ١٩٩١م).

٨. مديحة خميس

قالت في توجيه حديث «ناقصات عقل ودين»: "إن نقص عقل المرأة ليس نقصاً في إدراكها أو ذكائها أو فهمها وتقييمها للأمور، وإلا لما استشار الرسول ﷺ زوجته وعمل بمشورتها، لذا نجد الرسول ﷺ حين أراد الإيضاح في نقص دين المرأة دلل على ذلك بإفطارها وعدم صلاتها أثناء الحيض والنفاس، كذلك دلل على نقص عقلها بأن شهادتها نصف شهادة الرجل، وليس المقصود أن هذه الأشياء هي السبب في هذا النقص، وإنما هي دليل عليه نتيجة عنه ومترتبة على وجوده، أي أنه بسبب قلة سيطرة العقل عند المرأة وتغلب العاطفة عندها بما يستتبع قلة سيطرة دينها وغيابه أحياناً، قد خفف الله عليها، فحملها عبء ومسؤولية نصف الشهادة رحمةً بها"[١].

هذه بعض الأقوال والآراء في توجيه النقصان في عقل النساء. واكتفينا بذكر البعض منها لأن الأقوال الأخرى لم تخرج عن هذا الإطار الذي جاء في كلام المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين. ما عدا من لم يرقهم الحديث أصلاً، أو عندهم حساسية ضده فهم لم يحاولوا فهمه، بل رفضوه رفضاً باتاً.

رأي الباحث في المراد من نقصان عقل النساء في الحديث

أريد -قبل أن أذكر رأيي فيه- أن أستحضر العلة التي تعلل بها النبي ﷺ في هذا الوصف. عند ما سألته النساء: ما نقصان عقلنا؟ قال: «أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل». وسبق أن ذكرنا قول الحافظ ابن حجر: "وأشار بقوله: «مثل نصف شهادة الرجل» إلى قوله تعالى: ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَآءِ﴾. قصدنا بذلك أن نقول: إن نقصان عقل المرأة لا يمكن فهمه في معزل عن هذه الآية؛ لأن النبي ﷺ عند ما وصفهن بنقصان العقل كان واضعاً أمام عينيه هذه الآية، لذلك لما سألنه عن سبب ذلك أشار إلى ما ورد فيها.

---

[١] مديحة خميس: *المرأة والشرائع السماوية*: ص٧٤ (مؤسسة دار الشعب بالقاهرة. ١٩٩١م).

نسأل: هل إطلاق النبي ﷺ نقصان عقل النساء على "كون شهادة المرأتين تعدل شهادة رجل واحد" إطلاق حقيقي؛ فنَصِفُهن به كوصف لازم؟ أم أراد به النبي ﷺ شيئاً آخر.

لا يمكن القول بالأول؛ لأن الآية عللت ذلك بخوف نسيان إحداهما. والنسيان عمل الذاكرة، لا عمل العقل. فتبين بذلك أن النبي ﷺ أراد بذلك شيئاً آخر، ما هو الشيء الآخر؟ ملاطفة ومزاح. مثله مثل ما قال النبي ﷺ للعجوز التي قالت له: ادع ربك يدخلني الجنة. فقال رسول الله ﷺ: «لا يدخلها عجوز»[١].

أو كما كان أهل المدينة يقولون: "من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة بنت زيد، كانت عند عبد الله بن أبي بكر فقتل عنها، ثم كانت عند عمر بن الخطاب فقتل عنها، ثم كانت عند الزبير فقتل عنها"[٢].

أو نقول: إنه لم يقصد بذلك النقصان الحقيقي، بل أراد أن يبين لأولئك النسوة اللاتي كن ذوات عقول صغيرة -بسبب من الأسباب- حسب عقولهن، لذلك أنه لم يعنفهن، ولا لامهن، وقال: "ألا تعدل شهادة امرأتين شهادة رجل واحد" في أسلوب مشابهٍ للكلام مع الأطفال الصغار.

---

[١] بقية الحديث: "ثم قام رسول الله ﷺ. فلما رجع أتى عائشة. فقالت: يا رسول الله! لقد لقيت خالتك من كلمتك مشقة شديدة. فقال رسول الله ﷺ: «إن ذلك كذلك. إن شاء الله تبارك وتعالى إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكاراً» رواه هناد بن السري في زهده: ج١ ص٥٨ رقم٢٤ قال: حدثنا عبدة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال: قلت له: أكان رسول الله ﷺ يمازح؟ قال: نعم. أتته عجوز من الأنصار فقالت. وهو مرسل صحيح. ورواه الطبراني في المعجم الأوسط موصولاً: ج٥ ص٣٥٧ رقم ٥٥٤٥ قال: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة. قال: حدثنا أحمد بن طارق الوابشي. قال: حدثنا مسعدة بن اليسع. قال: حدثنا سعيد بن أبي عروبة. عن قتادة. عن سعيد بن المسيب. عن عائشة أن نبي الله ﷺ أتته عجوز من الأنصار وذكر الحديث مثله. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ج١٠ ص٤١٩: "رواه الطبراني في الأوسط. وفيه مسعدة بن اليسع. وهو ضعيف".

[٢] *طبقات ابن سعد*: ج٣ ص١١٢. قال ابن عبد البر في *الاستيعاب*: ج٤ ص١٨٧٩ رقم٤٠٢٤: تزوجها عبد الله بن أبي بكر الصديق. فرمي بسهم في غزوة الطائف مع رسول الله ﷺ فمات. ثم تزوجها عمر بن الخطاب ثم قتل عنها. ثم تزوجها الزبير بن العوام. فقتل عنها. ثم خطبها علي بن أبي طالب ﷺ بعد انقضاء عدتها من الزبير. فأرسلت إليه: إني لأضن بك يا ابن عم رسول الله ﷺ عن القتل. وتزوجها الحسن بن علي فتوفي عنها وهو آخر من ذكر من أزواجها".

خلاصة الدراسة

أن النساء شقائق الرجال كما قال ﷺ، ولا فرق بين الرجل والمرأة في الدين والعقل، بل هناك -كما هو مشاهد- من النساء من يفقن الرجال ديناً وخلقاً وعقلاً، ومعنى "ناقصات دين" نقصان صوري شكلي، لا حقيقي، ولكن ذلك ليس بفعلها بل من طبيعة تكوينها البديع. ومعنى "ناقصات عقل" مجرد ملاطفة ومزاح، لا نقصان حقيقي، وإنما قاله لما ينتاب المرأة من عاطفة أو تغير في مزاجها إبان حيضها مما يجعلها تذهل أو تنسى، وكذلك لبعدها -عادة- عن مواضع النزاع التي تحتاج لشهادة الشهود، والله أعلم بالصواب.

معالم القرآن والسنة
مجلة محكمة
السنة الأولى ◆ العدد الأول ◆ ٢٠٠٥

محمد مستقيم بن محمد ظريف*

الإمام أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (١٢٦٤-١٣٠٤هـ) ومنهجه في التأليف

المقدمة

للعلماء دور مهم في نشر الدين والعلم وبيانه للناس، وهؤلاء -كما وصفهم الرسول عليه الصلاة والسلام- بمثابة ورثة الأنبياء[١] الذين حملوا لواء هذا الدين، ودافعوا عن اتهامات أعدائه ومناقضيه بالحجج القاطعة والبراهين النيرة، حسب مرور الأزمان والأوقات. فلولاهم، لهدمت أسس هذا الدين الحنيف وأصبح الناس متحيرين ضالين عن قواعد دينهم مذبذبين بين غرائب الأفكار وضلالتها شرقا وغربا، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. فلذلك تجد في كل عصر ومصر ظهور عدد من الشخصيات البارزة من المهتمين بأمور دينهم ومجتمعاتهم الإسلامية، وحاولوا إصلاح ما يرون من الفساد وقمع البدع والخرافات السائدة بين الناس، وإحياء

---

* القائم بأعمال عميد كلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا.

[١] كما ورد عنه ﷺ في حديث طويل أنه قال: «...إن العلماء هم ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر». رواه أحمد في مسنده. مسند الأنصار. حديث رقم ٢٠٧٢٣. شركة صخر لبرامج الحاسب. *موسوعة الحديث الشريف*. الإصدار الأول ١,٢.

العمل بالقرآن الكريم والاقتداء بسنن النبي الكريم.

ولو نظرنا إلى بلاد الهند بالذات، نجد أنها قد شهدت -منذ أن أسلم سكانها- ظهور جماعة من العلماء الذين تكفلوا بحفظ هذا الدين الحنيف وتفسيره تفسيرا صحيحا، بجانب إسهاماتهم في نشر العلوم وتطويرها في مختلف مجالاتها، لا سيما في الحديث والفقه والتاريخ وغيرها. فحسبنا ما سجله التاريخ من عناوين الكتب، التي ألفت من هؤلاء الأعلام بجانب توافر عدد من كتب تراجم الأعلام المنتسبين إلى الهند، حتى قيل: إن القرآن أنزل في الجزيرة العربية، وفهم في مصر، وحفظ في القارة الهندية.

فلذلك، كان الهدف من هذه الوريقات إعطاء نظرة موجزة عن واحد من أولئك الأعلام -الذين نالوا مكانة رفيعة في عصورهم، وتركوا لنا من كنوز معارفهم في الدواوين والسطور المتداولة، بين أيدينا اليوم خدمة للمسلمين ولمن لحقهم من الأجيال والأمة- وهو الإمام أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي، من أعلام المشهورين في القرن التاسع عشر الميلادي، وصاحب التصانيف الجمة اتفق العلماء على جلالة قدرها وعظمة فوائدها لا يستغني عنها أي دارس منصف محب للعلم، سالك لمنهج الوسط في الأحكام الدينية والمواقف الدنيوية. وستكون الدراسة عنه من خلال عرض ترجمة مختصرة لحياته، وتحليل أفكاره ومناهجه في النقد والتأليف لإبراز سموه وتفوقه على من عاصره من العلماء والمصنفين، وقدرته على استيعاب جميع مجالات العلوم، لا سيما الفقه والحديث في زمنه.

ترجمة الإمام أبي الحسنات اللكنوي[1]

اسمه ونسبه

هو محمد عبد الحي بن مولانا محمد عبد الحليم بن محمد أمين الله، ابن محمد أكبر

---

[1] من المهم ملاحظة أن مصادر ترجمة حياة الإمام اللكنوي تنقسم إلى ثلاثة أنواع: أولها ما كتبه الإمام عن نفسه. وهو مبعثر في عدد من مصنفاته كأمثال: النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير. والتعليق الممجد على موطأ الإمام محمد.=

ابن المفتي أحمد أبو الرحم، ابن محمد يعقوب بن عبد العزيز بن محمد سعيد بن ملا قطب الدين، الشهيد السهالوي الأنصاري اللكنوي الحنفي، يكنى بأبي الحسنات.

والسهالوي هي قصبة من قصبات بلدة (لكنو) بالهند، وموطن لأسرته في محلة بها مسماة بـــ (فرنكي محل). ويقال الأنصاري أيضا نسبة إلى الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري ﷺ، بحيث إن نسبه ينتهي إليه. وينسب باللكنوي باعتبار أنها موطن له.

مولده ونشأته

ولد الإمام أبو الحسنات في يوم الثلاثاء، السادس والعشرين من ذي القعدة

=والسعاية في كشف ما في شرح الوقاية. وعمدة الرعاية في حل شرح الوقاية. والتعليقات السنية على الفوائد البهية. ومقدمة كتابه الهداية. وثانيها، ترجمة معاصريه وتلاميذه عنه، مثل: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام لعبد الحي الحسني، والتاج المكلل من جواهر تراجم علماء فرنكي محل للشيخ محمد عبد الباقي اللكنوي وغيرهما. وثالثها، كتابة من جاء بعده من المحققين والباحثين من خلال تحقيقاتهم لمصنفاته ودراساتهم فيه، وأشهرهم الدكتور ولي الدين الندوي في كتابه "الإمام عبد الحي اللكنوي: علامة الهند وإمام المحدثين والفقهاء"، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة -رحمه الله تعالى- بحيث إنه قد حاول أقصى جهده في جمع المعلومات النفيسة عن الإمام ونقل كثيرا من مصادر ترجمته من المخطوطات التي لم تطبع بعد، وقدمها لنا في سلسلة سماها "سلسلة مؤلفات الإمام اللكنوي" التي تشمل سبع كتب مهمة في مختلف مجالات العلوم خاصة الكتاب الأول منها. وفي هذا البحث، حاول الباحث أن يقدم خلاصة من ترجمة الإمام المحققة من خلال تلك المصادر الثلاثة المذكورة آنفا حسب ما هو متوافر لديه، وأهمها ما يلي: اللكنوي، محمد عبد الحي. ١٩٩١. موطأ الإمام مالك مع التعليق الممجد على موطأ محمد. دمشق: دار القلم. ج١، ص ١٠٩-١١٣، واللكنوي، محمد عبد الباقي. (التاج المكلل من جواهر تراجم علماء فرنكي محل) مخطوط، نقلا عن اللكنوي، عبد الحي. ١٩٩٢. تحفة الأحيار بإحياء سنة سيد الأبرار. تحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غدة. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية. ص ٣٢-٣٧، واللكنوي، عبد الحي. ٢٠٠٠. الرفع والتكميل في الجرح والتعديل. تحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غدة. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية. ص ١٨-٣٣. واللكنوي، عبد الحي. ١٩٨٤. الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة. تحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غدة. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية. ص ١١-١٦. واللكنوي، عبد الحي. ١٩٨٤. الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة. تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتب العلمية. ص ٧ وما بعدها، ٧٨. والحسني، عبد الحي بن فخر الدين. ١٩٩٩. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام. بيروت: دار ابن حزم. ج٨ ص ١٢٦٨-١٢٧٠. والندوي، ولي الدين. ١٩٩٥. الإمام عبد الحي اللكنوي: علامة الهند وإمام المحدثين والفقهاء. دمشق: دار القلم. والزركلي، خير الدين. ١٩٩٩. الأعلام. بيروت: دار العلم للملايين. ج٦. ص ١٨٧. وكحالة. عمر رضا. د.ت. معجم المؤلفين. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج١١. ص ٢٣٥. والبغدادي، إسماعيل باشا. د.ت. هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج٢. ص ٣٨٥.

سنة ١٢٦٤هـ، الموافق ٢٤ أكتوبر ١٨٤٨م، في بلدة (باندا) بالهند عندما كان أبوه[١] مدرسا بها، في مدرسة النواب ذي الفقار الدولة. وقد سماه أبوه في اليوم السابع من ولادته وكناه بأبي الحسنات بعد بلوغه. وقد ابتدأ حياته العلمية منذ نعومة أظفاره فشرع في حفظ القرآن الكريم وهو ابن خمس سنين عند الحافظ قاسم علي اللكنوي، ولم يتجاوز جزء (عم يتسألون) وسافرت أسرته إلى بلدة (جونفور) فواصل قراءة القرآن وحفظه عند حافظ إيراهيم. وكان أبوه أيضا ممن يعلمونه القرآن، حتى تم حفظه عندما بلغ عمره عشر سنين، كما كان يدرس منه أهم الفنون، التي تتعلق بالإنشاء والخط وبعض الكتب الفارسية. فهذه الفترة تشكل مرحلة الدراسة الإبتدائية له.

والفترة ما بين الحادي عشر من عمره إلى أن يبلغ سبعة عشر عاما تشكل المرحلة الدراسية التخصصية له، بحيث إنه قد تلقى جميع الكتب المدرسية في مختلف الفنون كأمثال: التفسير والحديث والفقه والأصول، والطب والصرف وغيرها من أبيه مولانا عبد الحليم، الذي يعتبر من أكابر شيوخه في الدراسة إلى أن توفي في سنة ١٢٨٥هـ، ثم قرأ على يد خال والده وأستاذه مولانا محمد نعمت الله بن نور الله اللكنوي (ت ١٢٩٠هـ) علوما عديدة منها الرياضية وبرع فيها، ودرس علم الحساب من أرشد تلامذة والده محمد خادم حسين المظفر بوري العظيم آبادي. فاستمر الدرس والتعمق في مختلف مجالات العلوم في هذه الفترة حتى تمكن واستوعب كثيرا من مباحثها، وأصبح عالما بارعا ومصنفا جليلا في الفنون منها: النحو والصرف والمنطق والحكمة والطب، والفقه وأصول الفقه وعلم الكلام والحديث والتفسير.

---

[١] أبوه هو: الشيخ الفاضل العلامة عبد الحليم بن أمين الله بن محمد أكبر بن أحمد الأنصاري اللكنوي (١٢٣٩-١٢٨٥هـ) ولد بمدينة لكنو في الهند، وقرأ المنطق والكلام والحديث، أخذ عن عمه المفتي يوسف بن محمد أصغر اللكنوي وغيره، وكان مدرسا محسنا وبارعا في فنون الكلام وأصول الفقه والحديث وغيرها، له "العرفان" في المنطق، و"قمر الأقمار حاشية نور الأنوار" في أصول الفقه وغيرهما. أنظر: الحسني، عبد الحي. ١٩٩٩. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام. ج٧. ص ١٠٠٤-١٠٠٥. وكحالة، عمر رضا. د.ت. معجم المؤلفين. ج١٠. ص١٢٩.

وقد رزق رحمه الله بقوة الذاكرة حتى استطاع أن يحفظ العلوم بسرعة مدهشة وسهولة بارقة، كما دل إلى ذلك قوله عن نفسه قائلا: "ورزقت قوة الحفظ منذ زمن الصبا، حتى إني أحفظ كالعيان جميع وقائع تقريب قراءة الفاتحة حين كان عمري خمس سنين"[١]، ولكنه مع ذلك ابتلي بضعف الذاكرة عندما وصل قريبا من سن الأربعين حتى كان يضحك أحيانا ولا يشعر بضحكه.

منح الذكاء والفطنة في استيعاب الدروس وفهمها بدون تعسر حتى عبر عن نفسه قائلا: "لم أقرأ كتابا إلا درسته بعده"[٢]. فحبب إليه التدريس وقد درس فيما يخص مجالات تخصصه، وألف كتبا حافلة فيها. والأعجب من ذلك، أنه تمكن من تدريس بعض المواد، التي لم يدرسها من قبل مثل: شرح الإشارات للطوسي، وقانون الطب لابن سينا، وغير ذلك. ولكن كان اشتغاله بالمنقول أكثر من اشتغاله بالمعقول، ومن المنقول أكثر اشتغاله بخدمة الحديث والفقه.

ورزق كذلك بكمال القدرة والفطنة وغاية الفصاحة في المناظرة والجدل بطريق منصف موضوعي بعيد عن التحيز النفسي والرغبة الشخصية في إظهار الحق متى وجد، وقد سجل التاريخ عدة مناظرات علمية جرت بينه وبين بعض معاصريه في بعض القضايا العلمية، منهم المولوي عبد الحق بن فضل حق الخير آبادي، والمولوي محمد بشير السهسواني، والنواب صديق حسن خان الحسيني القنوجي، ويفوقهم فيها جميعا بالأدلة البينة والمواقف الراجحة وبأسلوب علمي مؤدب.

وفي الحقيقة، لا يحب الإمام أن يجادل الناس عشوائيا لإظهار هيبته وسعة علمه لهم، وإنما تصدى لذلك حسب الحاجة والظروف المعينة فحسب. وأكبر شاهد على هذا، أن من عادته عندما تجري المناظرة والمباحثة بين العلماء في فنون العلم لا يتكلم قط بل ينظر إليهم ساكتا فيرجعون إليه بعد ذلك، فيتكلم بكلام مقنع يقبله

---

[١] اللكنوي، عبد الحي. ٢٠٠٠. الرفع والتكميل في الجرح والتعديل. ص ٢٠.

[٢] المرجع نفسه. ص ٢١.

الجميع، ويكون مرجعا مرضيا في فصل النـــزاع والاختلاف بين الناس[١].

عندما توفي والده في حيدرآباد والذي كان ناظما للعدالة، عرض عليه القضاء فأبى عنه خوفا من أن ذلك يعوقه من التدريس والتصنيف، فعين له من حيدرآباد ما كفاه بالتدريس مدة من الزمان وله في حسن التعليم والتصنيف صناعة لا يقدر عليها غيره.

وقد قام برحلة في طلب العلم ثلاث مرات: الأولى من لكنو إلى حيدرآباد الدكن مع والديه في ١٢٨٤هـ، وأخرى أثناء الحج. فحج في المرة الأولى مع والده في سنة ١٢٧٩هـ، وكان خروجه في رجب من حيدرآباد وركب الطائرة من بومباي ودخل مكة في آخر العشرة من رمضان إلى أن أكمل فريضة الحج وزار المدينة الطيبة وأقام فيها ثمانية أيام، ورجع إلى حيدرآباد في جمادي الأولى سنة ١٢٨٠هـ. ثم حج في المرة الثانية بعد وفاة والده، وذلك في سنة ١٢٩٢هـ. فاستفاد من هذه الرحلات لقاء كبار مشايخ الحرمين وحصلت الإجازة منهم وربطت صلته العلمية بهم.

ثم إنه أخذ الرخصة من الولاة بحيدرآباد وتقاعد من وظيفته وقنع بمئتين وخمسين ربية بدون شرط الخدمة وقدم بلدته لكنو فأقام بها بقية عمره، ودرس وأفاد وصنف وذاكر. وكان من عاداته أن يصلي الصبح ثم يشتغل بالوظائف إلى طلوع الشمس، ثم يدرس ستة أسباق من المتوسطات والمطولات إلى الضحوة الكبرى ويأتي بتحقيقاته المبتكرة، ثم يقيل، ثم يصلي الظهر ويؤلف إلى العصر، ثم يزور الإخوان، ثم يصلي المغرب ويطالع ويصنف إلى قريب نصف الليل. فهكذا ملأ معظم أوقاته بالعبادات والاشتغال بالتدريس والتصنيف، وأنه في ذلك سلك مسلك المتقدمين من العلماء والمصنفين المجودين الذين قضوا معظم حياتهم بما ينفعهم وينتفع بهم الناس.

---

[١] الحسني، عبد الحي. ١٩٩٩. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام. ج٨. ص ١٢٦٨.

شيوخه وتلامذته

تلقى الإمام معظم مبادئ العلوم وتفصيلاتها من أبيه ومعلمه مولانا عبد الحليم أثناء فترة تحصيله العلوم، كما استفاد من عدد من كبار المشايخ في علم القراءات والحساب والرياضيات وغيرها، بعد وفات والده كما مر آنفا. ثم شرع في التدريس والتصنيف وتفوق على كثير من معاصريه، ومع ذلك تمنى أن يحصل على الإجازات من كبار شيوخ العصر في رواية كتب الحديث والعلوم، و لم أتيحت له ذلك حتى أتته الفرصة لأداء الحج فانتهزها للقاء كبار المشايخ الموجودين في الحرمين وروى عنهم. فمن المجيزين له الشيخ أحمد بن زيني دحلان مفتي الشافعية بمكة، والشيخ علي ملك باشلي الحريري المدني، ومولانا الشيخ عبد الغني ابن الشيخ أبي سعيد المجددي، والشيخ محمد بن محمد الغرب الشافعي مدرس بالمسجد النبوي، ومولانا محمد بن عبد الله بن حميد مفتي الحنابلة بمكة، وغيرهم.

إضافة إلى ذلك، فقد بايعه والده بما عنده من الأذكار والأشغال وأجازه بكل ما حصل له من شيوخ الحرمين وغيرهم قبل وفاته بشهر بما أجازه الشيخ جمال الحنفي، ومولانا حسين أحمد المحدث المليح آبادي، وخلق كثير. فهذه نبذة من مشايخه باختصار تبرز اهتمامه بالعلم والعلماء وطلب العلو والبركة فيهم برواية الكتب بإسنادها إلى رواتها ومؤلفيها واشتغاله بمصاحبة العلماء والمشايخ الموجودين في عصره.

وقد تتلمذ على يديه عدد كثير من الطلاب، فكانوا يأتون إليه من كل أنحاء بلاد الهند وحتى من بلدان إسلامية أخرى ليتشرفون بلقائه والأخذ منه، وأشهرهم العلامة عبد الحي الحسني الندوي اللكنوي، والد الشيخ أبو الحسن علي الندوي، والعلامة المحدث الشيخ محمد عبد الباقي اللكنوي، والشيخ إفهام الله بن إنعام الله بن ولي الله الأنصاري اللكنوي، والشيخ عبد المجيد بن عبد الحليم بن عبد الحكيم بن عبد الرب بن بحر العلوم عبد العلي الأنصاري ملقب بشمس العلماء، والعلامة عبد العلي المدراسي الذي ألف تاريخ شيخه بالمنظومات ملأها بفضائله ومناقبه.

فحسبنا ما سجله تلميذه في شأن الطلاب الذين جاءوا إليه قائلا:

كان يأتي طلاب من كل فج لدنه يحضر الطلاب في تدريسه من حضرموت
جاء علاما شهيرا كابرا عن كابر فاق أعلاما جميعا فوق سبق في الخبوت[1]

زواجه وأولاده

فقد تزوج الإمام ابنة عمه المولوي الحافظ محمد مهدي بن مولانا محمد يوسف في جمادي الثانية سنة ١٢٨٣هـ[2]، ورزق عددا من أولاد، إلا أنهم ماتوا في حياته فلم يعقب إلا بنتا واحدة صالحة عالمة بالمسائل الضرورية تزوجها ابن خالها ملا محمد يوسف[3]، فأنجب منها أولادا ماتوا إلا ابنا سمي بمحمد أيوب، يكنى بأبي الرحم، وهو الذي اعتنى بكتب جده وقام بطبع ونشر كثير من مخطوطاته أو أعاد طبعها من جديد، كما أهدى كثيرا منها إلى مكتبة جامعة (علي كره) بالهند، مع ابنه محمد مهدي أيوب لينتفع المسلمون بهذه الكنوز النفيسة، والذخائر الثمينة في مختلف مجالات العلوم الدينية.

أقوال العلماء فيه

تكاد تتفق الأقوال على فضل الإمام اللكنوي وعلمه وحسن تأليفه، وقد أثنى عليه كل من طلابه ومعاصريه وممن جاءوا بعده وعرفه من خلال مصنفاته وكتبه. ومن أبرز ذلك ما وصف تلميذه به العلامة عبد الحي الحسني قائلا: "وإني حضرت بمجلسه غير مرة، فألفيته صبيح الوجه أسود العينين، نافذ اللحظ، خفيف العارضين، مسترسل الشعر، ذكيا فطنا، حاد الذهن، عفيف النفس، رقيق الجانب، خطيبا

---

[1] اللكنوي، عبد الحي. د.ت. الموطأ للإمام مالك مع التعليق الممجد على الموطأ. كراتجي: مير محمد كتب خانة. ص ٤٠٨.

[2] اللكنوي، عبد الحي. ٢٠٠١. فتاوى اللكنوي المسماة نفع المفتي والسائل بجمع متفرقات المسائل. تحقيق: صلاح محمد أبو الحاج. بيروت: دار ابن حزم. ص ١٣.

[3] الندوي، ولي الدين. ١٩٩٥. الإمام عبد الحي اللكنوي: علامة الهند وإمام المحدثين والفقهاء. ص ٨٣.

مصقعا، متبحرا في العلوم معقولا ومنقولا، مطلعا على دقائق الشرع وغوامضه، تبحر في العلوم، وتحرى في نقل الأحكام، وحرر المسائل، وانفرد في الهند بعلم الفتوى، فسارت بذكره الركبان، بحيث أن علماء كل إقليم يشيرون إلى جلالته"[١].

"إنه علامة في كل علم بالكلام، سالما عن أفة الإكثار آخذا بالصموت، خيره الجاري من التصنيف جار في الواري فيضه قد شاع من هند إلى روم ولوت".[٢]

كما لخص الشيخ محمد عبد الباقي اللكنوي فضائله كلها قائلا: "وبالجملة، كان في المتأخرين آية من آيات الله، ومعجزة من معجزات رسول الله، دعا الله أن يجعله مجددا على رأس المئة الثالثة عشرة، أظن أن الله استجاب دعاءه"[٣].

وأما بالنسبة إلى ما جرى بينه وبين السيد صديق حسن خان الحسيني القنوجي من مباحثات، والتي تكاد أن تصل إلى المنافسة الشخصية، فإنها في الحقيقة أمر مرجعه الطبيعة البشرية البحتة، ولم تخرج إلى حدود علمية سليمة. ويدل على هذا أن السيد صديق عندما بلغه الخبر بوفاة الإمام، أمر بإغلاق بلدة "بهوبل" ثلاثة أيام حزنا عليه، وقال: "اليوم مات ذوق العلم، وما كان بيننا من منافسات، إنما كان للوقوف على المزيد من العلم والتحقيق"[٤].

وفي جانب آخر، نجد بعض العلماء والمهتمين بالدراسات الإسلامية أظهروا إعجابهم به واعترفوا بعلو شأنه ومكانته في مجالات العلوم، وذلك من خلال اطلاعهم بكتابته ومصنفاته، كما أعجب به الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، واهتم بتحقيق ونشر كثير من كتاباته القيمة، وقال في مقدمة تحقيقه لكتاب "التعليق الممجد على موطأ محمد" للشيخ اللكنوي ما يلي: "فهي موهبة عجيبة، وقدرة

---

[١] الحسني، عبد الحي. ١٩٩٩. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام. ج٨. ص ١٢٦٨.

[٢] اللكنوي، عبد الحي. د.ت. الموطأ للإمام مالك مع التعليق الممجد على الموطأ. كراتجي: مير محمد كتب خانة. ص ٤٠٨.

[٣] اللكنوي، محمد عبد الباقي. (التاج المكلل من جواهر تراجم علماء فرنكي محل) مخطوط. نقلا عن: اللكنوي، عبد الحي. ١٩٩٢. تحفة الأخيار باحياء سنة سيد الأبرار. ص ٣٧.

[٤] اللكنوي، عبد الحي. ٢٠٠٠. الرفع والتكميل في الجرح والتعديل. ص ٣٧-٣٨.

غريبة، أن يتسنم كتاب (الموطأ) شاب هندي اللغة والدار في هذه السن، وقد ضمنه زاهي علمه وأرقى معرفته في الحديث الشريف وعلومه، وفي الفقه الحنفي والمذاهب الأخرى، وسائر ما يتصل بذلك من العلوم من بعيد أو من قريب، فجاء هذا الكتاب درة فريدة من درر العلم، وجوهرة نفيسة من أنفس الجواهر"[١].

وأظهر الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الملك السعدي ثناءه على الإمام اللكنوي قائلا: "والمؤلف (أي اللكنوي) أشهر من أن يعرف، فهو عالم موسوعي اشتهر بالتحديث والفقه، وقد خدم الإسلام بقلمه ولسانه..."[٢]. فهذا الاعتراف والمدح إنما جاء من خلال النظر ومطالعة كتاباته كما لا يخفى ذلك على كل من يدرسها ويهتم بها من الدارسين والمحققين والعلماء.

وفاته

توفي الإمام في ليلة الثلاثين من ربيع الأول سنة أربع وثلاث مئة وألف (١٣٠٤هـ)، وله من العمر تسع وثلاثون سنة، ودفن في بستان مولانا أحمد عبد الحق، واجتمع عليه الجم الغفير من الناس وصلوا عليه ثلاث مرات.

مصنفاته وآثاره العلمية

بدأ الإمام اللكنوي بالتصنيف عندما كان عمره سبعة عشر عاما، وما زال يؤلف ويشرح ويعلق، على ما يهمه من المواضيع العلمية والكتب والدروس حتى وفاته. والمتأمل في مصنفاته يجد أنه قد ترك كنوزا حافلة بالفوائد والدرر الثمينة في معظم مجالات العلوم الشرعية والعقلية، حتى بلغ عدد مؤلفاته نحو مئة وعشرون (١٢٠) كتب. فهذه موهبة وبركة من الله عز وجل في حياته على الرغم من قصر

---

[١] وعمره عندما ألف الكتاب ٢٧ سنة وانتهى من تأليفه في خلال ثلاث سنوات. راجع: اللكنوي، عبد الحي. ١٩٩١. موطأ الإمام مالك مع التعليق الممجد على موطأ محمد. دمشق: دار القلم. ج١. ص ٤٢.

[٢] اللكنوي، عبد الحي. ٢٠٠١. فتاوى اللكنوي المسماة نفع المفتي والسائل بجمع متفرقات المسائل. ص ٨.

عمره، بحيث لا يقدر على ذلك كثير من الأفاضل والعلماء عربا وعجما في عصره، رغم طول مدة عمارهم في الحياة منه.

ويمكن أن تقسم مؤلفاته حسب طبيعتها وموضوعاتها إلى مجالات عدة: منها في التاريخ، والنحو، والصرف، والمنطق والحكمة، وعلم المناظرة، والعقائد، والفقه، والسير، والحديث، والرقائق، وما يتعلق بفقه الحديث وغيرها بجانب رسائله وتعليقاته المتفرقة على بعض الكتب والأقوال. ومعظم هذه الكتب مؤلفة باللغة العربية والتي تبلغ نحو ستة وثمانين (٨٦) كتابا، والباقي بالهندية والفارسية. ومن أشهر مصنفاته المطبوعة أو المتداولة بين أيدي الناس والمستخدمة كبعض المقررات الدراسية في الهند وغيرها ما يلي:

- في الحديث (فقهه وعلومه): الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، والتعليق الممجد على موطأ الإمام محمد، والآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، وظفر الأماني في شرح مختصر المنسوب للجرجاني في المصطلح، والأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، وشرح ثلاثيات البخاري،، وتحفة الأخيار في إحياء سنة سيد الأبرار، ونخبة الأنظار على تحفة الأخيار، وإقامة الحجة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة، ودافع الوسواس في أثر ابن عباس، وخير الخبر في أذان خير البشر، وشرح الحصن الحصين، وغيرها.
- في الفقه: حاشية على الهداية للمرغيناني، وعمدة الرعاية على شرح الوقاية، والسعاية في كشف ما في شرح الوقاية، وإمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام، وتذكرة الراشد برد تبصرة الناقد، ونفع المفتي والسائل بجمع متفرقات المسائل، وترويح الجنان بتشريح حكم شرب الدخان، وغيرها.
- في التاريخ: طرب الأماثل في تراجم الأفاضل، والفوائد البهية في تراجم الحنفية، والتعليقات السنية على الفوائد البهية، وتبصرة البصائر في معرفة

الأواخر، وغيرها.

- في النحو والصرف: خير الكلام في تصحيح "كلام الملوك ملوك الكلام"، والتبيان في شرح الميزان، و"جاركل" في تصريف الصيغ (بالفارسية)، وغيرها.
- في المنطق والحكمة: حل المغلق في بحث المجهول المطلق، والكلام المتين في تحرير البراهين، والتعليق العجيب لحل حاشية الجلال الدواني لمنطق التهذيب، وغيرها.
- في علم المناظرة: الهدية المختارية شرح الرسالة العضدية، وحاشية على شرح الشريفية المشتهر بالرشيدية.

ومن الجدير بالذكر أن معظم مؤلفاته قد نالت حسن القبول والاتفاق لدى الناس كافة، سواء من الخبراء أو الطلاب أو عامة الناس، وذلك لما فيها من رساخة المنهج ووسع الاطلاع على أقوال العلماء والأئمة السابقين، وأنها تتسم بصناعة نقدية وتحليلية عجيبة تتميز بالموضوعية والوسطية، لا يستغني عنها أي دارس منصف في هذا العصر.

أفكاره ومنهجه في التأليف

أ. عدم التعصب ونبذ التقليد

تربى الإمام اللكنوي على مذهب الإمام أبي حنيفة في الأحكام منذ صغره – وهو مذهب يتمسك به معظم مسلمي الهند خاصة في الشمال منذ أن أسلموا– ولكنه لم يكن متعصبا بأقوال المذهب، وإنما يتبع ما ترجح له من أقوال وما صح من أدلة، فخالف بعض الأقاويل في فروع المسائل الفقهية، مع شدة اتباعه المذهب واعترافه بذلك. فقد وصف ذلك تلميذه ومترجمه الشيخ عبد الحي بن فخر الدين الحسني ما نصه:

"وكان على مذهب أبي حنيفة في الفروع والأصول، ولكنه غير متعصب في

المذهب، يتتبع الدليل ويترك التقليد إذا وجد في مسألة نصا صريحا مخالفا للمذهب..."، ثم نقل قوله في كتابه النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير ما يلي: "ومن منحه (أي منح الله سبحانه) أني رزقت التوجه إلى فن الحديث وفقه الحديث، ولا أعتمد على مسألة مالم يوجد أصلها من حديث أو آية، وما كان خلاف الحديث الصحيح الصريح أتركه، وأظن المجتهد فيه معذورا بل مأجورا، ولكني لست ممن يشوش على العوام الذين هم كالأنعام، بل أتكلم مع الناس على قدر عقولهم"[١].

فالأمر ليس غريبا ولا ينفرد فيه الإمام، لأن ذلك كان من عادات العلماء والأئمة السابقين، كما هو واضح من خلال كتاباتهم في الفقه والخلاف، ولكن بعض المتحمسين ومقلدي المذهب في عصره حملهم التعصب والتعنت المبالغ إلى أن يخرجوه من زمرة أتباع المذهب ويتهموه بسبب ذلك، ولا يأتي ذلك من عوام الناس الذين لا يفرقون بين الاجتهاد والتقليد فحسب، ولكن الأشد ما صدر عن بعض هؤلاء المنتسبين إلى العلم وهم يتخلقون بأخلاق الجهال والعوام. فقد رد الإمام عن هؤلاء في إحدى كتاباته قائلا:

"...ويعلم أيضا أن الحنفي لو ترك في مسألة مذهب إمامه بقوة دليل، خلافا لا يخرج به عن ربقة التقليد، بل هو عين التقليد في صورة ترك التقليد، ألا ترى أن عصام بن يوسف ترك مذهب أبي حنيفة في عدم الرفع، ومع ذلك فهو معدود في الحنفية، ويؤيده ما حكاه أصحاب الفتاوى المعتمدة من أصحابنا من تقليد أبي يوسف يوما الشافعي في طهارة القلتين، وإلى الله المشتكى من جهلة زماننا، حيث يطعنون على من ترك تقليد إمامه في مسألة واحدة لقوة دليلها، ويخرجونه عن مقلديه، ولا عجب منهم، فإنهم من العوام، وإنما العجب ممن يتشبه بالعلماء ويمشي مشيهم كالأنعام"[٢].

---

[١] الحسني، عبد الحي. ١٩٩٩. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام. ج٨. ص ١٢٦٨-١٢٦٩.

[٢] المرجع السابق. ج٨. ص ١٢٦٩.

ظهر من خلال ما سبق أن الإمام اللكنوي عالم منصف -شأنه شأن من سبقه من الأئمة والمجتهدين، حيث يهمهم الحق متى وجدوه ولا يعدلون عنه، إلا برجحان الأدلة وثبوتها لديهم- وكان يهتم كثيرا بالحديث حفظا وفقها، ويسند القضايا الدينية على أساس القرآن والأحاديث النبوية الصحيحة، وأنه لم يتصد لإظهار آرائه واجتهاداته الشخصية للعوام مخافة أن ينشئ القلق والفتن بينهم فيما لا يفيدهم. فلذلك تعد مؤلفاته في الحديث وفقه الحديث أكبر المجالات العلمية في بيان أفكاره، وكذلك المناظرات والمباحثات العلمية التي شارك فيها من بين المثقفين والمتعلمين من حين إلى حين.

ب. الاعتدال والإنصاف

وإضافة إلى ذلك، يتصف الإمام اللكنوي بالاعتدال والإنصاف في اختيار الآراء، دون أن يميل إلى فرقة دون أخرى مهما أعجبته، وإنما حاول أن يبحث نقطة الانطلاق بينها ويجمعها حسب ما تبين له من الأدلة. فقد ورد عنه كلام عن موقفه هذا قائلا: "ومن منحه أنه جعلني سالكا بين الإفراط والتفريط، لا تأتي مسألة معركة الآراء بين يدي إلا أهمت الطريق الوسطى فيها، ولست ممن يختار التقليد البحت، بحيث لا يترك قول الفقهاء وإن خالفته الأدلة الشرعية، ولا ممن يطعن عليهم ويهجر الفقه بالكلية"[١].

والنظر إلى أحد كتبه يثبت أن هذا المنهج متبع بوضوح، فهذا كتابه الموسوم بـــ"الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة"، الذي ألفه ردا على من زعم أن بعض الصلوات مشروعة بخصوص يوم عاشوراء -مستندا إلى بعض الروايات المختلقة التي نشرها بعض الزهاد والأئمة الصوفية- بطريقة علمية مجردة عن أي التحيزات الشخصية أو المذهبية، وراح يبين أغلاطهم، وبين -مع احترامه لهم- بأنهم "ليسوا

[١] المرجع نفسه. ج٨. ص ١٢٦٩.

من المحدثين ولا أسندوا الحديث إلى أحد من المخرجين"[١]، و"الواجب أن ننـــزل الناس منازلهم ونوفيهم حظهم ونعرف مرتبتهم وقدرهم...فإن صاحب البيت أدرى بما فيه، والماهر في شيء أعلم من غيره مما يتعلق به، وقد نص المحدثون على أن أحاديث أمثال هذه الصلوات موضوعة، وإن ذكرها جمع من الصوفية"[٢].

ومع ذلك فلم يثبت عنه جرح هؤلاء المشايخ والزهاد بسبب ذلك ولا يعتبرهم من الوضاعين، وإنما بين أن أسباب رواياتهم بمثل تلك الأحاديث كثيرة منها: الجهل بأصول الروايات والغفلة والخطأ وغيرها بجانب بسط حكم رواية الأحاديث الموضوعة بالتفصيل، مدعما بالأحاديث والروايات وأقوال العلماء مما يدل على سعة اطلاعه بالموضوع.

وكذلك عندما سرد الروايات التي ثبتت بطلانها وكذبها، دعمها بأقوال المحدثين والحفاظ في ذلك، وإذا حصل أي اشتباه في حديث ما بين العلماء، فسرعان ما ذهب إلى ترجيحه وتوضيح الفيصل في ذلك، كما في قضية بعض الصلوات التي ذكرها الأئمة الصوفية في مصنفاتهم، بحيث إن أكثرها لم تكن مستندة إلى الروايات الصحيحة من الرسول عليه الصلاة والسلام، فكره بعض الناس العمل بها وأثبتوا تحريمها وابتداعها، في حين أن أصحاب الطرق دافعوا عنها وتساهلوا في أخذها والاهتمام التام بها أزيد من اهتمامهم بأداء ما ثبت عن الرسول عليه السلام حتى أكدوا على مشروعيتها وفضائلها. فاشتد النـــزاع بين الفريقين وسبب الخلاف والافتراق بين المسلمين فيما لا ينبغي لهم[٣].

والإمام في معالجته للقضية، رأى أن كلا من الفريقين سلك مسلك التشدد والمبالغة، فالقائلون بابتداعها ومخالفتها للسنة النبوية بالغوا إلى الطعن على كبراء

---

[١] اللكنوي، عبد الحي. ١٩٨٤. الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة. ص ٨.

[٢] المرجع السابق. ص ٨-٩.

[٣] المرجع نفسه. ص ١١٧.

المشايخ الصوفية، كما أن القائلين بمشروعيتها تساهلوا في الاعتقاد أنها من السنن الشرعية والآثار النبوية الثابتة. فالاتجاه الذي سلكه كل من الفريقين هو تقابل الأضداد بالأضداد، فأراد الإمام أن يتوسط بينهما ويبين القول الفيصل في ذلك مبنيا على الأسس العلمية الصحيحة "بحيث يختار منصف القلب والعين، ثم نحق الحق ونبطل الباطل ولو كره الجاهل الخامل أو الفاضل الغافل، ولمثل هذا فليعمل العاملون ولو كره الجاهلون، من غير خوف أن يلومه اللائمون الغافلون"[١].

وفيما يدل على اتباعه هذا المسلك المثالي، لم يصدر من الإمام قول عام في إباحة تلك الصلوات أو تحريمها، وإنما فصل فيه وبين أن مصدر تلك الصلوات ينقسم إلى قسمين: الأول، أنها معمولة لدى الناس وتعتبر صحيحة لحسن ظنهم بأهل الإسلام، والثاني، أنها وصلت إليهم من شيوخهم ولا تستند إلى المنصوص من الرسول عليه الصلاة والسلام تربية لهم دون أن يظنوا ثبوتها منه عليه السلام، ولكن بعض الجهلة من المريدين أسندوها إلى الرسول عليه السلام، فأصبحت جزءا من الشريعة. فحكم أداء تلك الصلوات من هذين القسمين أن مجرد أدائها لا تضر ما لم تخالف الشرع، وإلا لم يجز العمل بها مطلقا[٢].

ومع ذلك، فإن العمل بها ليس مطلقا، وإنما مقيد بالشروط المخصوصة أهمها: أن لا يظن ثبوتها من الرسول عليه السلام ولا يعتقد استحبابها، ولا يكون الاهتمام بها أكثر من الاهتمام بالصلوات المسنونة، لأن كل مباح أدى إلى التزام ما لم يلزم ويكون مكرها في الشرع، ولا يؤدي العمل بها إلى إفساد عقيدة الناس وإنشاء المفاسد بين الناس، وأن يكون الاهتمام بالقسم الأول (أي، الصلوات المعمولة بدون أن تفتش الروايات فيها نتيجة حسن الظن بالمسلمين) أقل من الاهتمام بالقسم الثاني لئلا يظن أن الأحاديث الموضوعة غير موضوعة، بل

---

[١] المرجع نفسه. ص ١١٧-١١٨.

[٢] المرجع السابق. ص ١٢١-١٢٢.

الأفضل تركها[١].

ومع هذا كله، اعترف الإمام أن "وجود من يشتغل بها مع الشروط التي ذكرناها في زماننا هذا نادر، وحكم أدائها بدون هذه الشرائط مما أسلفنا ذكرها ظاهر، وكعلم من التزم بأنواع العبادات الثابتة بتركها الواردة كفى ذلك له في الدنيا والآخرة من غير حاجة إلى التزام هذه الصلوات المخترعة، فافهم واستقم"[٢].

وكذلك لو نظرنا إلى قضية صلاة التسبيح التي اشتد فيها النـــزاع بين الناس في زمنه بين المجيزين له من جانب، وبين المانعين من جانب آخر اتباعا لما أثبته بعض الأئمة كأمثال ابن الجوزي وابن تيمية، أنها مبنية على الروايات كلها موضوعة. فسلك الإمام هذه القضية بنقد جميع الروايات ووضعها في ميزان ما سلف من أقوال الحذاق والمحدثين فيها مع البحث عن منبع الخلاف بينهم في الحكم على الرواية سواء أكان ذلك من ذات الحديث سندا ومتنا، أم كان من المحدث الذي يحكم عليه بناء على تساهله أو غفلته أو عدم معرفته وما أشبهها. ثم حاول جمع كل ما تيسر له من الروايات في صلاة التسبيح وتخريجها مع ذكر شواهدها ومتابعاتها، واستنتج أخيرا أن "هذه العبارات الواقعة من أجلة الثقات نادت على أن القول بوضع حديث صلاة التسبيح قول باطل ومهمل لا يقتضيه العقل والنقل، بل هو صحيح وحسن محتج به، والمحدثون كلهم ما عدا ابن الجوزي ونظرائه، إنما اختلفوا في تصحيحه وتضعيفه، و لم يفتوه أحد بوضعه"[٣].

ج. نقده لآراء العلماء

فتبين من خلال هذا، أن الإمام اللكنوي أكثر من انتقاد آراء العلماء في تأليفاته

---

[١] المرجع نفسه. ص ١٢٢-١٢٣.

[٢] المرجع نفسه. ص ١٢٣.

[٣] المرجع نفسه. ص ١٣٧.

خاصة ما ظهر له من أخطاء وزلات، ولا يعني هذا تهوينه عليهم أو تقليل من درجاتهم، وإنما كان من باب الحذر والانتباه من الوقوع في الأخطاء نفسها والزلات، لأن الحق أحق أن يتبع لمن أدركه وبان له أدلته. ومع ذلك، يلاحظ أن انتقاداته عليهم كانت بأسلوب علمي تتسم بالموضوعية والآداب الرفيعة كما يليق بشأنه كعالم الدين، وربما استخدم بعض التعبيرات الغليظة أو الكلمات القاسية في تعبير آرائه، ولكنها حسب ما رآه مناسبا وموجهة إلى الآراء، وليست شخصيات بعينها.

د. تتبع المنهج العلمي والتوثيق

والمتأمل لمصنفاته سيجد كذلك أن جميعها مبنية على أصول علمية قويمة معتمدة على أمهات المصادر الموثوقة عند أهل العلم، كما أنها مشتملة على أهم المراجع التي كتبها جهابذة من المتأخرين ومعاصريه، فاستطاع أن يكون من خلالها آراء متكاملة ونظرة شاملة للموضوع لا تصيبها العجلة والإسراع في التحكيم أو التخطئة. وأوضح مثال على هذا، أنه قد اعتمد كتابه "الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة" -الذي لا يتجاوز مئة وخمسين صفحة مطبوعا- على نحو من خمسين مصنفات، أكثرها من المصادر والمراجع المعتبرة في فن الحديث وأصول الحديث، ودعمها بعدة تأليفات عصرية مهمة ذات أهمية كبيرة للقضية، كمصنفات ملا علي القاري، والشيخ عبد الحق الدهلوي، وغيرهما[1].

ويفوق هذا كله، حسن تنظيم أفكاره في مصنفاته كلها مع انسجامها، رغم اختلاف موضوع الكتاب ومحوره، فلم يصدر منه رأي في كتاب يناقضه كتاب آخر، ولكنه أكثر من ربط أفكاره في قضية بالإشارة إلى ما كتبه في كتاب آخر، أو ما سيشرع في تأليفه في المستقبل، الأمر الذي يؤدي إلى حسن تنسيق أفكاره وآرائه ويظهر استقامة منهجه وسويته، وهكذا تكون جميع مصنفاته أفقا علميا واحدا رغم

[1] أنظر على سبيل المثال: المرجع السابق. ص ١٠، ٢١، ٧٤، وغيرها.

اختلاف زمن تدوينها والحالة التي دعت إلى كتابتها.

الخلاصة

يستفاد مما سبق، أن الإمام اللكنوي من أعلام الهند البارزين ذوي تأثيرات بالغة واسهامات كثيرة، في مجالات الدراسات الإسلامية والعلوم خاصة، أنه ترك لنا كنوزا من آرائه واجتهاداته ومعرفته في مؤلفات تجاوزت مئة كتب ورسالات وتعليقات قيمة، لم يزل المسلمون اليوم محتاجون إليها لما فيها من التعمق والموضوعية والإنصاف، بجانب رساخة المنهج وسعة الاطلاع على أقوال السابقين وأدلتهم، مما أدى كثير من المحققين والمشتغلين بالفنون الإسلامية إلى الاهتمام بها وتحقيقها أو إعادة طبعها ودراستها دراسة علمية وافية، لينتفع بها العلماء والمسلمون فيما يفيدهم.

وفعلا، نحن اليوم في حاجة ماسة إلى أن نستفيد من مثل هذه المصنفات، لشدة اختلاف الآراء بين المسلمين في بعض الأمور، التي قد تؤدي إلى الافتراق فيما بينهم وضعفهم إن لم نسلك في معالجتها بالحكمة واتباعا للمنهج العلمي المثلى قوامه الإنصاف والاعتدال بدون أن نتسرع إلى التكفير أو التخطيء على أمر هين لا ينبغي الجدال والاقتتال فيه.

ولعل أهم المناهج التي سلكها الإمام اللكنوي، والتي يمكن أن يستفاد منها هي: اتباع الراجح وترك المرجوح من الأقوال مهما جاء بدون تعصب أو تقليد، وسلوك منهج الوسطية في اختيار الآراء المتعارضة، والالتزام بالأدلة، وما مضى من أقوال الأئمة في الاحتجاج والإثبات، والتمسك بمبدئ نبوي حكيم القائل: بضرورة مخاطبة الناس حسب عقولهم. توقية من ذلك إنشاء الفتن والقلق بين الناس في جميع الأحوال، والشروع في بيان زلات العلماء ونقدها بأدب إسلامي رفيع، بحيث لا يقصد منه الإهانة قط، بل من باب الحذر والتنبيه عن الوقوع في مثل تلك الأخطاء، وبيان الحق فيها. والله الموفق.

المراجع

البغدادي، إسماعيل باشا. د.ت. *هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الحسني، عبد الحي بن فخر الدين. ١٩٩٩. *الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام*. بيروت: دار ابن حزم.

الزركلي، خير الدين. ١٩٩٩. *الأعلام*. بيروت: دار العلم للملايين.

شركة صخر لبرامج الحاسب. *موسوعة الحديث الشريف*. الإصدار الأول ١,٢.

كحالة، عمر رضا. د.ت. *معجم المؤلفين*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

اللكنوي، محمد عبد الحي. ١٩٨٤. *الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة*. تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتب العلمية.

ـــــــــــ. ١٩٨٤. *الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة*. تحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غدة. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

ـــــــــــ. ١٩٩٢. *تحفة الأخيار باحياء سنة سيد الأبرار*. تحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غدة. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

ـــــــــــ. ٢٠٠٠. *الرفع والتكميل في الجرح والتعديل*. تحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غدة. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

ـــــــــــ. ٢٠٠١. *فتاوى اللكنوي المسماة نفع المفتي والسائل بجمع متفرقات المسائل*. تحقيق: صلاح محمد أبو الحاج. بيروت: دار ابن حزم.

ـــــــــــ. ١٩٩١. *موطأ الإمام مالك مع التعليق الممجد على موطأ محمد*. دمشق: دار القلم.

ـــــــــــ. د.ت. *الموطأ الإمام مالك مع التعليق الممجد على الموطأ*. كراتجي: مير محمد كتب خانة.

الندوي، ولي الدين. ١٩٩٥. *الإمام عبد الحي اللكنوي: علامة الهند وإمام المحدثين والفقهاء*. دمشق: دار القلم.

معالم القرآن والسنة
مجلة محكمة
السنة الأولى ◆ العدد الأول ◆ ٢٠٠٥

Khairul Anuar bin Mohamad
Syed Ahmad Tarmizi bin Syed Omar

TOKOH PENDIDIK AL-QURAN DI MALAYSIA: DATO' HAJI MUHAMMAD NOR BIN HAJI IBRAHIM

PENGENALAN

Proses menghafaz al-Quran selalunya dikaitkan dengan maahad tahfiz. Walaupun terdapat mereka yang menghafaz al-Quran bukan dari maahad tahfiz, tetapi ia amat sedikit. Kelebihan sistem menghafaz al-Quran di maahad tahfiz adalah lebih tersusun dengan jadual yang konsisten dan kurikulum yang teratur. Keadaan ini sudah tentu membantu pelajar mengikuti proses hafazan al-Quran dengan baik. Selain itu, lepasan maahad tahfiz juga berpeluang menyambung pelajaran ke peringkat yang lebih tinggi umpamanya ke peringkat sarjana muda, sarjana dan seterusnya doktor falsafah.

Maahad tahfiz yang pertama ditubuhkan di Malaysia ialah Maahad Tahfiz al-Quran Wal-Qiraat pada 1 Mac 1966 (Prospektus Darul Quran 2002/2003 2002:8). Ia ditubuhkan semasa Tunku Abdul Rahman Putra al-Haj menjadi Perdana Menteri Malaysia yang pertama. Penubuhan ini dianggap satu langkah bijak bagi mengembangkan pengajian al-Quran di Malaysia dan juga sebagai pelengkap kepada kewajipan fardhu kifayah yang perlu dipenuhi; di mana jika terdapat seseorang yang menghafaz al-Quran, ia sudah mewakili masyarakat setempat dalam menunaikan kewajipan tersebut.

Berikutan daripada penubuhan maahad tahfiz yang pertama itu dan kejayaannya melahirkan huffāz al-Quran, banyak maahad tahfiz telah ditubuhkan samada oleh Kerajaan negeri atau pihak persendirian. Di antara faktor kejayaan maahad tahfiz ialah kewibawaan gurunya dan kebijaksanaannya dalam menyusun kurikulum pengajian. Faktor guru adalah satu asas penting kejayaan sesuatu maahad, lebih-lebih lagi ia bukan sekadar mengajar ilmu-ilmu agama tetapi juga mengajar cara yang betul untuk mengingati al-Quran. Oleh itu, jika guru al-Quran tidak prihatin dalam

mendidik, pelajar yang dihasilkan tidak akan dapat menguasai ilmu-ilmu al-Quran dengan baik. Antara tokoh yang paling masyhur dalam bidang tahfiz di Malaysia ialah Dato' Haji Muhammad Nor bin Haji Ibrahim yang merupakan bekas Mufti Negeri Kelantan antara tahun 1968 hingga 1987.

TUAN GURU DATO' HAJI MUHAMMAD NOR BIN HAJI IBRAHIM

Beliau ialah salah seorang ulama Kelantan yang terkemuka dan dianggap tokoh paling masyhur selepas Tok Kenali. Beliau dilahirkan pada 20hb. Ogos 1905 di Kampung Simpang Lido, Kota Bharu. Beliau ialah anak kepada Haji Ibrahim Yusuff, Mufti Kerajaan Kelantan antara 1928-1941. Bapanya berketurunan Tok Surau Banggol yang berasal dari Minangkabau, manakala ibunya berketurunan Tuan Padang yang berasal dari Negeri Cina. Moyangnya ialah Sheikh Abdul Halim, iaitu penasihat kepada Sultan Muhammad yang pertama (Pengasuh Bil 581 2003:17).

Ketika berusia lapan bulan, beliau telah dibawa ke tanah suci Mekah. Sekembalinya ke tanah air, bapanya telah memasukkan beliau ke Madrasah al-Muhammadiah pada tahun 1918. Setelah menamatkan persekolahan awalnya di sekolah tersebut, beliau telah melanjutkan pelajaran agamanya di Mekah pada tahun 1923. Bidang ilmu yang beliau pelajari meliputi bukan sahaja ilmu-ilmu agama tradisional seperti usuluddin, fiqh, hadith dan tafsir, tetapi juga ilmu-ilmu falak dan Qiraat. Guru-guru beliau di Mekah termasuklah Tok Senggora (pengarang kitab tajwid yang berjudul *Mawrid al-Ẓam'ān fi Tajwīd al-Qur'ān*), Syeikh Nuh Jamaluddin Kelantan, Syeikh Muhammad Nor Patani, Tengku Mahmud Zuhdi al-Fatani, Chek Pak Ya al-Ramani dan lain-lain (Ibid :18).

Menurut Prof. Dr. Abdullah Alwi Haji Hassan (Pengasuh, bil. 581: 18), beliau telah berjaya mendapat ijazah tujuh Qiraat daripada 20 orang qari tersohor di Mekah. Kemudian, beliau sempat menamatkan 14 Qiraat daripada Sheikh Tījiyy yang berasal dari Mesir. Mungkin berdasarkan faktor inilah beliau digelar "Bapa Qiraat Negeri Kelantan Darul Naim". Di samping ilmu-ilmu agama, Haji Muhammad Nor juga memiliki pengetahuan dalam bidang falak dan perubatan. Beliau juga dikatakan menguasai bahasa Tionghua dan Perancis di samping bahasa Melayu, Arab dan Inggeris.

Jawatan beliau yang pertama selepas pulang ke Kelantan ialah menjadi Qadi Besar Kelantan pada tahun 1937. Beliau pernah memangku jawatan Mufti Khas (Mufti Istana) antara 1hb. September 1941 hingga 28hb. Oktober 1944, iaitu sehingga jawatan berkenaan dihapuskan. Antara 1949 hingga pertengahan 1965, beliau menjadi guru di Jami' Merbau al-Ismail (yang kemudiannya dikenali sebagai Maahad Muhammadi) dan sekaligus mengajar di Masjid Muhammadi. Selang waktu antara pertengahan 1965 hingga April

1968 beliau habiskan di Masjid Negara Kuala Lumpur berkhidmat di Kelas Tahfiz al-Quran yang baru ditubuhkan (sekarang dikenali sebagai Darul Quran) dan bersama menyusun Tafsir Pimpinan Ar-Rahman dengan Abdullah Basmeih (Pengasuh Bil 581 2003:20).

Haji Muhammad Nor dilantik menjadi Mufti pada 1hb. Mei 1968 berikutan kematian sahabatnya Dato' Haji Ahmad Maher. Jawatan ini beliau sandang sehingga ke akhir hayatnya pada 13hb. Februari 1987. Lebih daripada seorang ulama, beliau adalah seorang hafiz dan ahli falak yang terkenal, serta seorang penulis yang menguasai bahasa Inggeris dengan baik. Kemasyhuran beliau lebih banyak terserlah dalam bidang-bidang Qiraat, falak, tafsir, usuluddin dan bidang fiqh sebagaimana layaknya seorang Mufti (http://www.kelantan.gov.my/maik/muhdnor.htm).

PERANAN GURU DALAM MENGHAFAZ AL-QURAN

Guru diibaratkan seperti obor atau penyuluh yang menunjuk arah kejayaan kepada pelajarnya. Sebelum seseorang itu menjadi guru, dia perlu menyiapkan dirinya terlebih dahulu dengan ilmu pengetahuan yang mencukupi berdasarkan bidang pengajian yang hendak diajar. Dalam bidang al-Quran, seseorang guru itu dikehendaki mendalami ilmu berkaitan al-Quran seperti hafazan, tajwid, Qiraat, *rasm*, *ḍabṭ* dan seumpamanya.

Dalam pengajaran hafazan al-Quran, guru memainkan peranan yang amat penting dalam memastikan kejayaan pelajar. Hasil didikan yang baik daripada guru membolehkan pelajar yang lemah mencapai prestasi yang cemerlang. Ini kerana, bidang hafazan al-Quran berlainan daripada bidang-bidang lain seperti tauhid, fiqh dan sebagainya. Ilmu-ilmu tersebut dipelajari daripada guru tanpa perlu menghafaz satu persatu teksnya, sedangkan hafazan al-Quran memerlukan hafazan dan pengulangan ayat-ayat yang dipelajari secara berterusan.

Di samping itu, guru al-Quran perlu memantau seluruh tindak-tanduk pelajarnya samada dalam kelas ataupun di luar kelas. Di dalam kelas, guru akan memberi pengajaran yang secukupnya dalam bidang hafazan al-Quran samada secara *talaqqi*, *tasmī'* dan pengajaran ilmu tajwid. Guru juga dapat melihat kesungguhan dan kesabaran pelajarnya menghadapi kesusahan menghafaz al-Quran dan memberi galakan, tunjuk ajar dan motivasi supaya pelajar tetap terus menghafaz sehingga berjaya mengingati keseluruhan al-Quran. Jika guru itu mendapati seseorang pelajarnya tidak mampu untuk menghafaz al-Quran, beliau seharusnya memberikan nasihat kepada pelajar itu supaya mendalami ilmu-ilmu agama yang lain seperti tafsir, fiqh dan sebagainya. Justeru, peranan guru amatlah besar dalam memastikan kejayaan pelajar lebih-lebih lagi untuk mengingati keseluruhan al-Quran sebanyak tiga puluh juzuk.

METOD *TALAQQĪ* AL-QURAN HAJI MUHAMMAD NOR

Kaedah menghafaz al-Quran di Malaysia ketika ini mempunyai beberapa cara atau bentuk. Ada yang memulakan hafazan dari juzuk pertama, diikuti juzuk kedua dan seterusnya hingga tamat, dan ada juga yang menghafaz al-Quran dengan juzuk 30 diikuti juzuk 29 hingga ke bawah. Antara dua cara tersebut, Haji Muhammad Nor telah mengajar dalam bentuk menghafaz bermula dari juzuk pertama, kedua sehingga khatam al-Quran.

Sebelum setiap kali menghafaz, Haji Muhammad Nor akan membaca al-Quran di hadapan pelajar (metod *talaqqī*). *Talaqqī* bermaksud guru membaca al-Quran dan pelajar mendengar bacaan tersebut, atau guru mendengar bacaan pelajar dan membetulkan bacaannya apabila terdapat kesalahan. *Talaqqī* adalah kaedah yang dilakukan oleh Jibril a.s. ketika mengajar al-Quran kepada Rasulullah s.a.w. Pernah berlaku Rasulullah s.a.w. terlalu ingin mengingati al-Quran dengan cepat sehingga Baginda membaca apa yang belum habis dibaca oleh Jibril a.s. Keadaan ini menghalang bacaan Jibril a.s. sehingga Allah s.w.t. menurunkan firmanNya:

﴿لا تُحَرِّكْ به لسَانَكَ لتَعْجَلَ به، إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، إذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾.

> *"Janganlah engkau (wahai Muhammad) kerana hendakkan cepat menghafaz Quran yang diturunkan kepadamu, menggerakkan lidahmu membacanya sebelum selesai dibacakan kepadamu. Sesungguhnya Kamilah yang berkuasa mengumpulkan al-Quran itu dalam dadamu dan menetapkan bacaannya pada lidahmu. Oleh itu, apabila Kami telah menyempurnakan bacaannya kepadamu dengan perantaraan Jibril maka bacalah menurut bacaannya itu. Kemudian, sesungguhnya kepada Kamilah terserah urusan menjelaskan kandungannya yang memerlukan penjelasan"* (al-Quran, al-Qiyāmah 75: 16-19)

Ketika beliau membaca al-Quran, pelajar hendaklah menanda tempat *waqaf*. Satu kelainan berbanding *talaqqī* pada hari ini ialah Haji Muhammad Nor menerangkan dengan menyebut jenis *waqaf* umpamanya *waqaf ṣāliḥ*, *waqaf lāzim* dan seterusnya. Menurut Ustaz Salahuddin Haji Omar, semua tempat *waqaf* yang disebut oleh Haji Muhammad Nor berdasarkan sebuah kitab berkaitan *waqaf* dan *ibtidā'* iaitu *Manār al-Hudā fi Bayān al-Waqf wa al-Ibtidā'* oleh al-Ashmūniyy.

Waqaf dan *ibtidā'* dalam bacaan al-Quran adalah perkara penting yang perlu dijaga dengan baik oleh pembaca al-Quran. Ia boleh mempengaruhi makna sesuatu ayat dan jika pembaca kurang mengambil perhatian terhadap waqaf ini, boleh jadi tempat yang diwaqafnya itu mengubah makna ayat tersebut. Terdapat ayat yang menceritakan tentang azab neraka yang disusuli dengan ayat yang menerangkan tentang syurga, dan begitulah sebaliknya.

Jika tidak berhenti di tempat yang betul pada ayat-ayat tersebut, akan mengubah maknanya. Justeru, Sayyidina ᶜAli r.a. telah menjelaskan maksud *tartīl* dalam ayat (al-Quran, al-Muzzammil 73:4):

﴿... وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾.

sebagai:

تجويد الحروف ومعرفة الوقوف.

yang bermaksud: "Memperelokkan sebutan huruf dan mengetahui tempat *waqaf*".

Sejak akhir ini, kita mendapati mushaf-mushaf telah tersedia dengan tanda-tanda waqaf seperti tanda لا ، م ، ج ، قلى، صلى dan lain-lain. Penandaan yang dibuat ini memudahkan para pembaca al-Quran jika mereka mengetahui maksud yang tersirat disebalik tanda-tanda tersebut.

Dalam temubual dengan Dato' Syeikh Ismail[1], beliau menjelaskan bahawa bacaan *talaqqī* Haji Muhammad Nor amatlah jelas dan tepat dengan hukum tajwid. Haji Muhammad Nor biasanya membaca al-Quran dengan tenang sambil melihat mushaf di hadapannya dan memerhati pelajar menandakan *waqaf*. Walaupun tidak mempunyai suara yang menarik, beliau tetap meminati lagu-lagu al-Quran yang berirama seperti lagu *ṣanᶜānīyy*.

METOD MENGHAFAZ AL-QURAN HAJI MUHAMMAD NOR

Menghafaz al-Quran adalah satu perkara yang sukar lebih-lebih lagi jika ia dari kalangan orang yang tidak bercakap Arab atau tidak memahami bahasa Arab. Justeru, sebelum menghafaz, ramai di kalangan penghafaz akan memulakan hafazan mereka dengan membaca tafsir atau terjemahan al-Quran. Apabila memahami maksud ayat, ia dapat membantu mereka mengingati ayat tersebut dengan lebih mudah dan senang. Terdapat sesetengah penghafaz yang hanya mengambil masa 15 minit untuk menghafaz satu muka al-Quran dengan menggunakan kaedah ini.

Haji Muhammad Nor telah menggunakan kaedah mentafsir dan memahami ayat al-Quran yang hendak dihafaz. Beliau telah meminta pelajarnya membaca dan menghuraikan ayat-ayat al-Quran dengan menggunakan beberapa buku tafsir. Menurut Ustaz Muhsin Haji Ahmad, antara kitab tafsir yang sempat dihabiskan di hadapan Haji Muhammad Nor ialah *Tafsir al-Marāghiyy* dan *Tafsir Bayḍāwiyy*. Menurutnya lagi, *Tafsir al-Marāghiyy* dipilih kerana bahasanya yang mudah. Tafsir ini juga mengandungi pandangan yang sederhana yang "tidak begitu tua dan tidak

[1] Temubual ini diadakan pada 24 Julai 2004 ketika berlangsungnya Majlis Menghafaz al-Quran Peringkat Kebangsaan Kali ke-25 di Alor Setar, Kedah.

begitu muda". Selain daripada tafsir tersebut, beliau juga telah menggunakan *Tafsir al-Alūsiyy, al-Nasafiyy, al-Qurṭubiyy, Ibn Kathīr* dan *al-Jawāhir.*

Apabila terdapat beberapa pandangan ulama dalam sesuatu ayat, beliau akan melakukan *tarjih* terhadap pandangan-pandangan tersebut. Menurut Haji Muhsin lagi, Haji Muhammad Nor amat arif mengenai tempat pengambilan tafsir yang dirujuk oleh pelajar. Beliau akan mengatakan tafsir ini diambil dari *al-Qurṭubiyy* atau *Ibn Kathīr.* Selepas memahami keseluruhan maksud ayat, pelajar akan mula menghafaz di waktu petang dan malam. Keesokan harinya di waktu pagi, sesi *tasmī'* iaitu mendengar bacaan hafazan akan dimulakan.

Keseluruhan pelajar yang mengikuti kelas hafazan generasi pertama ini mendapat pendidikan dari sekolah Arab dan ada juga yang mendapat pendidikan dari pondok. Oleh itu, secara keseluruhannya mereka memahami bahasa Arab dan ada yang boleh menguasainya dengan baik. Untuk mengendalikan bacaan tafsir, Haji Muhammad Nor telah melantik beberapa pelajar menjadi ketua *ṭalā'ah* seperti Haji Zainal Abidin, Haji Othman dan Dato' Syeikh Ismail.

Memahami tafsiran al-Quran adalah satu cara yang terbaik untuk mengingati al-Quran. Tetapi pada masa ini, tidak terdapat maahad yang menggunakan metod ini dalam pendidikan menghafaz al-Quran. Mungkin ia sukar dilakukan kepada pelajar yang tidak memahami bahasa Arab dan dalam usia yang masih muda. Namun, metod yang digunakan oleh Haji Muhammad Nor dalam mengingati al-Quran dengan menggunakan tafsir adalah bersesuaian dengan tahap pelajar dan usia mereka ketika itu.

METOD *TASMĪ'*

Setiap pagi pelajar akan memperdengarkan bacaan yang telah mereka hafaz pada malam sebelumnya. Kadar masa yang diperuntukkan untuk bacaan hafazan ini ialah selama 5 hingga 8 minit. Dalam tempoh tersebut, pelajar mestilah menghabiskan satu *maqra'*[1] yang telah di*talaqqī* pada hari sebelumnya. Tempoh lima hingga lapan minit diperuntukkan untuk satu *maqra'* bertujuan memantapkan hafazan pelajar. Jika hafazan dibaca dengan lancar tanpa kesalahan, maka tempoh tersebut sudah memadai, dan jika banyak pembetulan perlu dilakukan, tempoh tersebut adalah tidak mencukupi dan perlu ditambah lagi.

Hafazan yang dibaca di hadapan Haji Muhammad Nor ini mestilah menepati kaedah hukum tajwid dan juga *waqaf* yang telah diterangkan

[1] *Maqra'* ialah tempat bacaan. Ia ditanda dalam mushaf dengan lambang seperti bintang. Kadar panjangnya berbeza antara satu dengan yang lain. Adakalanya ia sepanjang dua mukasurat dan ada juga *maqra'* yang panjangnya tiga mukasurat. Setiap juzuk al-Quran mengandungi lapan *maqra'*.

ketika *talaqqi*. Jika pelajar tidak mematuhi *waqaf tam* yang bersifat sempurna dari sudut makna dan lafaznya, Haji Muhammad Nor akan menegur dengan berkata "اتق الله" yang bermaksud: "Takutlah kamu kepada Allah". Di sini jelas bahawa Haji Muhammad Nor mengingati al-Quran dengan baik dan juga mengingati tempat *waqaf* yang telah dibacanya sebelum itu.

Setelah pelajar membaca hafazan baru, Haji Muhammad Nor akan mendengar pula hafazan yang telah lama dihafaz. Untuk ini, beliau memperuntukkan masa selama dua puluh minit. Dalam tempoh tersebut, pelajar yang lancar hafazan berjaya menghabiskan sebanyak lima *maqra'*, dan bagi pelajar yang kurang lancar, mereka hanya mampu membaca sebanyak empat *maqra'* sahaja. Proses membaca atau mengulang hafazan yang telah lama ini perlu diberi perhatian kerana ia akan hilang jika tidak diulangi selalu. Rasulullah s.a.w. pernah bersabda dalam satu hadith:

والذي نفس محمد بيده، لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها.

> *"Demi jiwa Muhammad di dalam genggamanNya, sesungguhnya ia (al-Quran) lebih liar dari unta yang terlepas talinya"* (Muslim t.th: Jil 1: 545 #791)

Justeru mengulang-ulang hafazan al-Quran untuk mengingatinya perlu dilakukan setiap hari dengan kadar yang banyak.

Dalam menyemak bacaan hafazan atau mengulang hafazan yang telah dihafaz oleh pelajar, Haji Muhammad Nor mendengar setiap bacaan tersebut dengan teliti sambil menundukkan kepalanya. Beliau tidak melihat al-Quran untuk tujuan tersebut. Jika terdapat kesalahan dalam ayat, beliau mengisyaratkan dengan mengangkat kepalanya atau mengetuk meja dengan pen yang dipegangnya. Ketika ini pelajar mengetahui ada kesilapan dalam bacaan dan akan mengulang bacaan dari permulaan ayat. Dan jika beliau mengangkat kepalanya sebanyak tiga kali, pelajar akan balik ke tempat duduknya dan melancarkan lagi hafazan sehingga benar-benar mantap. Bacaan kali kedua akan di*tasmi'* pada keesokan harinya. Ini bermakna, pelajar akan menggandakan hafazan sebanyak dua *maqra'* jika gagal membaca di hadapan Haji Muhammad Nor pada hari tersebut.

Tindakan yang dilakukan dengan tidak menerima bacaan yang silap melebihi tiga kali adalah satu tindakan yang tepat. Dalam hal ini, guru sepatutnya tidak ada tolak ansur dan mesti tegas supaya hafazan mantap. Apabila pelajar dibenarkan juga membaca walaupun terdapat banyak kesalahan, ini akan mengganggu bacaan pelajar tersebut selepas sesi *tasmi'*, dan kesannya ialah pelajar tidak akan dapat mengingati al-Quran dengan baik selepas tamat hafazan tiga puluh juzuk kelak.

Menyemak hafazan tanpa melihat mushaf adalah satu tugas yang amat

berat dan ia tidak mungkin dapat dilakukan oleh guru yang tidak mengingati al-Quran. Kesukaran ini disebabkan banyak ayat al-Quran yang hampir sama seperti ayat yang berkaitan kisah nabi Musa dengan Firaun. Bentuk ayat-ayatnya hampir sama dalam beberapa tempat seperti dalam surah al-Aᶜrāf, surah Yūnus, surah Ṭāha dan surah al-Syuᶜarā'. Begitu juga dengan kisah Nabi Adam a.s. dengan Iblis. Ayat-ayat yang hampir sama terdapat dalam surah al- Aᶜrāf, surah al-Ḥijr, surah Ṭāha, surah al-Syuᶜarā', surah Ṣād dan sebagainya. Untuk mengingati kesemua ayat yang hampir sama tetapi tidak serupa ini memerlukan kepada penelitian dan ingatan yang kuat supaya kesemua ayat tersebut dapat dibaca dengan tepat dan betul tanpa kesalahan.

PENYUSUNAN JADUAL KELAS

Haji Muhammad Nor adalah seorang yang berilmu dan mempunyai disiplin yang amat tinggi. Selain itu, beliau juga arif menyusun jadual harian untuk kurikulum Maahad Tahfiz al-Quran yang pertama ditubuhkan ini. Beliau telah menyusunnya dengan baik dan kemas. Kekemasan penyusunan jadual dalam kurikulum ini penting dalam menyumbang kepada kejayaan sesebuah institusi pengajian. Memandangkan kepada subjek utama dalam pengajian di maahad tahfiz ini ialah menghafaz al-Quran, Haji Muhammad Nor telah memberikan masa yang panjang kepada subjek hafazan.

Setiap jam 7.00 pagi hari persekolahan, Haji Muhammad Nor akan memulakan kelas dengan mendengar hafazan dari setiap pelajar hingga ke jam 8.00 pagi. Selepas itu, dari pukul 8.00 hingga 10.30 pagi, beliau memenuhi masa tersebut dengan *talaqqī*, mendengar huraian tafsir dari pelajar, mengajar tajwid, fiqh, tauhid, Qiraat dan lain-lain. Pada pukul 10.30 pagi hingga 11.00 adalah waktu rehat. Jam 11.00 hingga 1.30 tengahari dipenuhi dengan aktiviti mengulang hafazan yang telah lama dari setiap pelajar. Ketika ini, pelajar akan membaca hafazan tersebut selama 20 minit. Ini bermakna, masa untuk *tasmīᶜ* hafazan baru dan ulangan hafazan yang lama ialah selama tiga jam setengah. Tempoh tersebut amat sesuai kerana bilangan pelajarnya seramai lapan orang sahaja dan kesemua mereka dididik dengan disiplin yang tinggi. Semuanya sempat membaca hafazan mengikut kehendak guru mereka.

Mengikut Ustaz Muhsin, Haji Muhammad Nor juga mengajar ilmu Qiraat pada tahun dua. Semua *uṣūl* yang berkaitan tujuh Qurra' dan perawinya sempat dikhatamkan. Walaupun begitu, beliau tidak sempat *talaqqī* al-Quran secara Qiraat kerana tempoh hampir tiga tahun itu banyak dihabiskan dengan menghafaz al-Quran. Ilmu Qiraat ialah ilmu yang berkaitan bentuk bacaan oleh *Qurrā' Sabᶜah* atau *ᶜAsharah*. Ilmu ini biasanya hanya dipelajari oleh orang yang menghafaz al-Quran dan ia memerlukan kepada kefahaman tentang *uṣūl* setiap imam dan seterusnya mempraktiknya dalam ayat-ayat al-Quran.

MOTIVASI PELAJAR UNTUK MENGINGATI AL-QURAN

Dalam menghadapi kesusahan menghafaz al-Quran, sudah pastinya memerlukan kepada kesabaran. Selain itu, faktor motivasi juga penting bagi mengembalikan semangat supaya terus menghafaz dan menghadapi segala kepayahan tersebut dengan tabah dan tenang. Motivasi juga akan menyemarakkan semangat dan mengukuhkan lagi cita-cita untuk menjadi penghafaz al-Quran. Walaupun bersikap tegas, Haji Muhammad Nor juga mengamalkan toleransi terhadap pelajar di luar kelas. Beliau sering mengajak mereka makan bersama di rumahnya. Menurut Ustaz Muhsin, Haji Muhammad Nor selalu membaca hadith Rasulullah s.a.w. :

القرآن غنى لا فقر معه.

"Al-Quran itu kaya dan tidak ada kefakiran bersamanya"[1]

Makna yang tersirat di sebalik hadith ini ialah menghafaz al-Quran merupakan satu aset penting untuk mencapai kebahagiaan di dunia dan akhirat. Apabila hadith ini selalu dibaca di hadapan pelajar dengan hati yang ikhlas, sudah tentu kesusahan menghafaz akan menjadi kurang dan semangat mengingati al-Quran akan bertambah.

Pernah satu ketika Ustaz Salahuddin mengadu kepada gurunya Haji Muhammad Nor kesusahan menghafaz al-Quran, lalu beliau dengan serta-merta diberi rehat seminggu untuk tujuan *tasmī'*. Dalam waktu tersebut, Ustaz Salahuddin telah menghabiskan masanya menghafaz dan mengingati al-Quran. Toleransi yang ditunjukkan ini merupakan satu perkara penting untuk menjayakan hafazan al-Quran, kerana rehat yang diberikan bukanlah bermaksud meninggalkan pengajian, tetapi ianya bertujuan memberikan peluang kepada pelajar untuk mengingati hafazan lama.

Haji Muhammad Nor selalu berpesan kepada pelajarnya supaya menghabiskan al-Quran dalam masa tujuh hari dengan mengikut kaedah فمي بشوقي . Huruf ف bermaksud surah al-Fatihah, huruf م bermaksud surah al-Ma'idah, huruf ي bermaksud surah Yunus, huruf ب bermaksud surah Bani Isra'il atau surah al-Isra', huruf ش bermaksud surah al-Shu^{c}ara', huruf و bermaksud surah wa al-Saffat, manakala huruf ق bermaksud surah Qaf.

Ertinya, pada hari pertama perlu dibaca dari surah al-Fātiḥāḥ hingga

---

[1] Di dalam riwayat yang lain disebut:

إن القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى بعده

Sila rujuk: Abu Ya^{c}lā, Aḥmad bin ^{c}Aliyy. 1984. *Musnad Abī Ya^{c}lā.* Dimashq: Dār al-Ma'mūn li al-Turāth. Jil 5. hlm 159; al-Quḍā^{c}iyy, Muḥammad bin Salāmah. 1986. *Musnad al-Shihāb.* Bayrūt: Mu'assasat al-Risālah. Jil 1. hlm 186; al-Daylamiyy, Abū Shujā^{c} Shīrawayh bin Shahradār. 1986. *al-Firdaws bi Ma'thūr al-Khiṭāb.* Bayrūt: Dar al-Kutub al-^{c}Ilmiyyah. Jil 3. Hlm 229.

surah al-Nisā'. Hari kedua pula dibaca dari surah al-Mā'idah hingga surah al-Taubah. Hari ketiga dari surah Yūnus hingga surah al-Naḥl. Hari keempat dari surah Banī Isrā'īl hingga surah al-Furqān. Hari kelima dari surah al-Shuʿarā' hingga surah Yāsīn. Hari keenam dari surah wa al-Ṣāffāt hingga surah al-Ḥujurāt, dan hari ketujuh dari surah Qāf hingga ke akhir al-Quran.

Menurut Ustaz Muhsin lagi, selepas khatam al-Quran, kebanyakan pelajar mampu mengingati keseluruhan al-Quran dengan baik. Terdapat juga pelajar mengkhatam al-Quran secara hafazan hanya dalam tempoh tiga hari sahaja. Pada bulan Ramadhan terakhir dalam tempoh pengajian, mereka semua telah bergilir-gilir menjadi imam sembahyang tarāwayḥ di rumah Haji Muhammad Nor dan menghabiskan al-Quran sebanyak tiga puluh juzuk.

PELAJAR GENERASI PERTAMA HAJI MUHAMMAD NOR

Salah seorang muridnya, Ustaz Salahuddin Omar pernah berkhidmat sebagai Pengetua Darul Quran, dan selepas itu beliau telah ke Brunei untuk menjadi pengetua pertama di Maahad Tahfiz Hasan al-Bolkiah. Sekarang ini, beliau mengajar al-Quran di sekitar Lembah Kelang dan Singapura melalui kelas yang dikendalikan oleh syarikatnya Ulung Gemilang. Dato' Sheikh Ismail pula ialah pengasas Maahad Tahfiz al-Quran Negeri Terengganu. Beliau berkhidmat sebagai pengetua di Maahad tersebut dari tahun 1984 hingga tahun 1993. Selepas itu, beliau ke Brunei untuk menjadi Timbalan Pengetua di Maahad Tahfiz Hasan al-Bolkiah. Sekarang ini beliau merupakan Imam Besar Masjid Putra di Putrajaya. Ustaz Haji Muhsin bin Haji Ahmad pula ialah guru al-Quran di Universiti Islam Antarabangsa Malaysia (UIAM). Kemudiannya, beliau menabur bakti menyebarkan al-Quran di Brunei. Sekarang ini, beliau menjadi pengetua di maahad tahfiz yang ditubuhkannya sendiri bernama Pusat Pendidikan Saidiyah di Senawang, Negeri Sembilan.

Seorang muridnya dari Kedah iaitu Sheikh Othman adalah pengasas Maahad Tahfiz Negeri Kedah. Beliau kemudiannya berkhidmat sebagai Pegawai Agama Daerah. Ustaz Kamarudin Amri pula adalah bekas pensyarah al-Quran di Darul Quran, JAKIM. Selain nama-nama yang tersebut di atas, terdapat murid-muridnya yang berkhidmat sebagai pegawai agama dalam perkhidmatan awam seperti Ustaz Zainal Abidin bin Haji Ahmad. Beliau adalah bekas guru agama di beberapa buah Sekolah Menengah Kebangsaan Agama dan selepas bersara, beliau pernah dilantik sebagai Timbalan Mufti Kerajaan Negeri Terengganu. Selain beliau, terdapat seorang lagi muridnya yang masyhur di tanah air kita iaitu Datuk Abu Hasan Din al-Hafiz. Beliau berkhidmat sebagai Pegawai Agama di Istana Negara.

Semua pelajar generasi pertama maahad tahfiz ini banyak menabur bakti dalam perkembangan pengajian al-Quran di tanah air kita ini. Bakti mereka ini adalah hasil didikan guru yang mengajar mereka iaitu Haji Muhammad

Nor Bin Haji Ibrahim. Walaupun tempoh pengajian di maahad tersebut hanya selama tiga tahun sahaja, namun ilmu yang dicurahkan kepada murid-muridnya menjadi panduan kepada mereka semua ketika menyambung pengajian di Mesir.

PENULISAN DALAM BIDANG QIRAAT

Haji Muhammad Nor juga menyumbangkan ilmu beliau dalam bidang Qiraat berbentuk penulisan. Beliau telah menulis sebuah buku berkaitan dengan Qiraat *Warsh* dari Imam Nāfiᶜ yang berjudul *Suluhan Darul Naim Bagi Penuntut Bacan Nāfiᶜ bin Abi Naᶜīm*. Kitab ini telah selesai disusun pada akhir Ramadhan 1353H bersamaan Januari 1935.

Antara kandungan buku tersebut ialah berkaitan ilmu Qiraat iaitu bentuk-bentuk bacaan al-Quran. Dalam pendahuluan kitab tersebut, beliau menyatakan bahawa bacaan yang telah diyakini sah dan betul dari Rasulullah s.a.w. hanya tujuh bacaan sahaja iaitu Nāfiᶜ, Ibn Kathīr, Abu ᶜAmrū, Ibn ᶜĀmir, ᶜĀṣim, Ḥamzah dan al-Kisā'iyy (Abdul Razak Mahmud, Pengasuh. Bil. 586. 2004: 23). Walaubagaimanapun, menurut ulama uṣūl dan Qurra', Qiraat yang *mutawātir* daripada Rasulullah s.a.w. ialah sebanyak sepuluh Qiraat iaitu tujuh Qiraat yang tersebut di atas serta tiga lagi Qiraat iaitu Abu Jaᶜfar, Yaᶜqūb dan Khalaf al-ᶜAshir (al-Zarqaniyy. 2001: Jil 1. hlm 388).

Antara isi kandungan kitab tersebut ialah uṣūl bacaan *Warsh* dari Imam Nāfiᶜ. Uṣūl tersebut ialah *al-basmalah*, *saktah* (berhenti dengan tidak bernafas), *al-waṣl* (melangsungkan bacaan) antara dua surah, *ḥā'* ganti nama, bab panjang dan pendek, bab dua *hamzah qatᶜ* pada satu kalimah, bab dua *hamzah qatᶜ* pada dua kalimah, bab *hamzah* tunggal, pindah baris, *idghām*, *imālah* dan *taqlīl*, bab *rā'*, bab *lām*, bab *yā'* ganti nama dan *yā'* tambahan. Seterusnya ialah bab-bab mengenai bacaan pada kalimah-kalimah tertentu dalam al-Quran yang dihuraikan dari surah ke surah mulai dari surah al-Fātiḥah, al-Baqarah dan berakhir dengan surah al-Masad.

Secara keseluruhannya, kitab ini meliputi bacaan *Warsh* daripada Imam Nāfiᶜ dari sudut uṣūl dan *farsh* (khilaf bacaan di tempat-tempat tertentu dalam surah al-Quran). Justeru, kitab ini memberi manfaat yang besar kepada para peminat ilmu Qiraat khususnya bacaan *Warsh* daripada Imam Nāfiᶜ.

KESIMPULAN

Dato' Haji Muhammad Nor Haji Ibrahim telah menyumbang jasa yang banyak dalam perkembangan ilmu Islam. Antara sumbangannya ialah mengasaskan maahad tahfiz yang pertama di Malaysia. Penubuhan maahad tahfiz ini menjadi sejarah kepada bermulanya perkembangan menghafaz al-

Quran di Malaysia. Dengan kepakarannya dalam bidang al-Quran, Dato' Haji Muhammad Nor telah membina kurikulum yang sesuai dengan pendidikan tahfiz al-Quran. Kurikulum tersebut meliputi hafazan 30 juzuk al-Quran, Qiraat, tajwid, tafsir dan lain-lain.

Kejayaan pelajar generasi pertama program tahfiz ini adalah hasil usaha yang berterusan daripada pengasasnya Dato' Haji Muhammad Nor sendiri. Kesemua pelajarnya seramai lapan orang telah berjaya menghabiskan hafazan al-Quran secara serentak. Di sini, kita dapat melihat sistem yang telah digunakan amat sesuai untuk pelajar mengingati al-Quran dan tidak ada pelajar yang tercicir dalam hafazan. Walaupun kaedah yang digunakan berbentuk tegas, tetapi di sebalik itu, ada toleransinya terutama ketika menghadapi pelajar yang sukar menghafaz atau mengingati al-Quran.

Bentuk pengajaran yang telah ditunjukkan oleh beliau sepatutnya menjadi tauladan kepada guru al-Quran masa kini untuk menghasilkan para penghafaz al-Quran yang berkualiti. Kualiti menghafaz al-Quran dan mengingatinya perlu diberi penekanan yang khusus di mana pelajar mestilah mampu membaca al-Quran dengan baik selain daripada memahami ayat-ayat al-Quran yang selalu diulang itu. Dengan kefahaman ini, kesan daripada al-Quran akan tersemat di dalam hatinya, dan secara tidak langsung dapat mengubah pekerti dan akhlak seperti yang disarankan oleh al-Quran.

BIBLIOGRAFI

Al-Quran.

Hassan, Abdullah Alwi. 2003. *Dato' Haji Muhammad Nor bin Haji Ibrahim (1905-1987).* Pengasuh. Bil. 581. Julai-Ogos.

Mahmud, Abdul Razak. 2004. *Suluhan Darul Naim.* Pengasuh. Bil. 585. Mei - Jun.

Abu Yaᶜla, Ahmad bin ᶜAliyy. 1984. *Musnad Abi Yaᶜla.* Dimashq: Dār al-Ma'mūn li al-Turāṯh.

al-Daylāmiyy, Abu Shujāᶜ Shirawayh bin Shahradar. 1986. *al-Firdaws bi Ma'thūr al-Khitāb.* Bayrut: Dār al-Kutub al-ᶜIlmiyyah.

Jabatan Kemajuan Islam Malaysia. 2002. *Prospektus Darul Quran 2002/2003.* t.tp: t.pt.

al-Naysaburiyy, Muslim bin al-Hajjaj. t.th. *Ṣaḥīḥ Muslim.* Bayrut: Dār Ihyā' al-Turāth al-ᶜArabiyy.

al-Quḍāᶜiyy, Muḥammad bin Salamah. 1986. *Musnad al-Shihāb.* Bayrut: Mu'assasat al-Risālah.

al-Zarqāniyy, Muḥammad ᶜAbd al-ᶜAẓīm. 2001. *Manāhil al-ᶜIrfān fi ᶜUlūm al-Qur'ān.* Bayrut: Dār al-Maᶜrifah.

Internet

http://www.kelantan.gov.my/maik/muhdnor.htm (18 Oktober 2004).

Temubual

Temubual dengan Dato' Sheikh Ismail bin Mohamad al-Hafiz, Imam Besar Masjid Putra, Putrajaya. 24 Julai 2004. Di Majlis Menghafaz al-Quran Peringkat Kebangsaan kali ke-25.

Temubual dengan Ustaz Haji Muhsin bin Haji Ahmad al-Hafiz. 24 Julai 2004. Di Majlis Menghafaz al-Quran Peringkat Kebangsaan kali ke-25.

Temubual dengan Ustaz Haji Salahuddin bin Omar al-Hafiz, Bekas Pengetua Darul Quran, JAKIM. 24 Julai 2004. Di Majlis Menghafaz al-Quran Peringkat Kebangsaan kali ke-25.

ISSN 1823-4356

Faculty of Qu'rānic and Sunnah Studies
Kolej Universiti Islam Malaysia
Bandar Baru Nilai
71800 Nilai
Negeri Sembilan